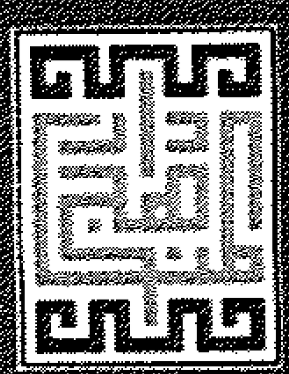
# الصلات بين العرب وإفريقيا

## ( الثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية )

الأستاذ الدكتور بدري محمد فهد

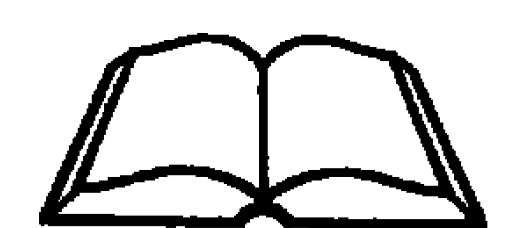


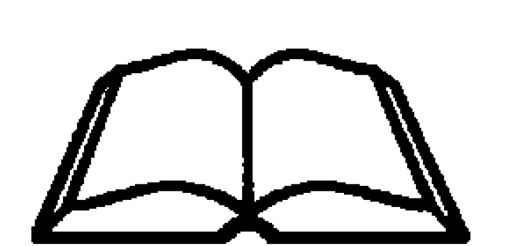
اهداءات ٢٠٠٢

دار المناهج للنشر و التوزيع
[illegible]

# الصلات بين العرب وأفريقيا

بسم الله الرحمن الرحيم





الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م

عمان - الأردن - شارع الملك حسين - بناية الشركة المتحدة للتأمين

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ فاكس (٠٠٩٦٢٦) ٤٦٥٠٦٢٤

ص.ب - ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠١/٧/١٤٩٥

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٢٠٠١/٧/١٥٣٠

# الصلات بين العرب وأفريقيا

أ.د. بدري محمد فهد

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية



# المحتويات

# مقدمة

يتناول هذا الكتاب الصلات الثقافية والسياسية والاجتماعية بين العرب وأفريقيا منذ أقدم العصور حيث انتقلت إليها طوائف من أبناء الشعب العربي عبر البحر الأحمر والبحر العربي وسيناء. وقد تعززت هذه الصلات بعد مجيء الإسلام فكانت بشكل شعبي عفوي دون تخطيط من دولة أو كيان رسمي في أغلب الحقب التاريخية. وقد أدت تلك الصلات إلى قيام نشاطات تجارية، وإلى استيطان أقوام من العرب في بقاع مختلفة من أفريقيا. ونتج عنها قيام حركات فكرية في بعض الجهات تحولت بعضها إلى دويلات صغيرة، أو دول كبيرة، واختلفت مدة أعمارها. كما أن بعض هذه الحركات لقيت رواجا شعبيا وقبلها الجمهور، إلا أنها لم تتحول إلى كيان سياسي، وبعضها الآخر لم يلق قبولاً تاماً، أو أن قبوله كان من قبل قلة من الشعب ثم حصلت له معارضة ورفض قبوله مما أدى إلى تقلص ظل مثل هذه الحركات وزوالها نهائيا.

إن الصلات بين العرب وأفريقيا كانت تمثل المنافع التجارية والاستيطان وإعمار الأراضي في الحقبة السابقة للإسلام، ثم أصبحت منطلقة من المنبع الإسلامي الثر بعد ذلك، مثل حركات المذاهب الفقهية، وحركات المذاهب الكلامية، وحركات المعارضة لدولة الإسلام، فضلاً عن حركات التصوف الإسلامي.

وقد أوجدت هذه الحركات صلات ثقافية متنوعة ما بين شعوب أفريقيا والعرب فوحدت المشاعر والآمال، وأدت إلى قيام دول شارك فيها الزنوج إلى جانب البربر والعرب، كما هو الحال بالنسبة للمرابطين وإمبراطورية سنغي (سنغاي) ودويلات السودان الشرقي. كما أدت إلى وجود تراث فكري وأدبي مشترك. فبعد أن كان الأفارقة متلقين عن العرب أصبح فيهم الأدباء المترسلون والشعراء والفقهاء ممن ألف وفق المذهب المالكي في الفقه. أو في الطبقات مكملا سلسلة كتب الطبقات التي بدأها الأندلسيون والمغاربة والمتصوفة المجاهدون الذين شرحوا عقائد الإسلام في أفريقيا الغربية والوسطى. وحتى أفريقيا الشرقية خلال قرون من العمل الدؤوب، لم

تنقطع صلتهم بالوطن العربي. وقد توجت بحركة التجديد في البلاد الإسلامية، فكـلنت صلتهم بمصر والحجاز وثيقة مما كان له اثره البليغ في ظهور حركات الجهاد التي تولاها الحاج عثمان بن فودي.

إن الصلات بين العرب وافريقيا قديمة متأصلة الجذور أتت أكلها قديمـــا، يثبــت ذلك التراث الخطي المكتوب باللغة العربية لدى عدة دول أفريقية، والألفاظ العربية التي تسربت إلى اللغتين الكبيرتين، الهوسا في غرب أفريقيا والسواحلية في شـــرقها، والـــتي تصل نسبتها إلى ٣٠% من مجموع مفرداتها.

إن هذه الصلة لم تنته لأن مصير وطننا العربي ودول أفريقيا مشترك. وكفاحــهما مشترك ضد الاستعمار بأشكاله وخططه المختلفة وحليفته إسرائيل، ممـــا يدعونـــا إلى إقامة الروابط التي تشدنا معا للتعاون وتحقيق أهدافنا الوطنية مسلمين وغير مســـلمين خاصة إذا علمنا أن بلادنا العربية أوسع رقعة في أفريقيا منها في آســيا. حيــث يقــع ٧٢% من مساحتها في أفريقيا وتشغلها ١٣ قطراً عربيا، كما أنها في أفريقيـــة أكـثر عددا مما عليه في آسيا حيث يبلغ السكان العرب في كلا القارتين ١٥٠ مليونا ثلثهم في آسيا والثلثان الآخران في أفريقيا. وإن اللغة العربية أكبر اللغات المكتوبـــة في أفريقيـــا وأغناها وأقدمها. وأن العقيدة الإسلامية التي تجمع الأفارقة مع العرب هي السائدة.

أن الوطن العربي وأفريقيا مطمع أنظار الاستعمار لأنهما يمتلكان مـــن احتيـــاطي المعادن الشيء الكثير، مما تحتاجه الصناعة الأوروبية والأمريكية، ففي الوطن العربي النفط والفوسفات، وفي أفريقيا اليورانيوم والماس والذهب والنحاس، فضلا عما تقدم هنـــاك أمر لا ينسى، ويجب أن يبقى ماثلاً في الأذهان وهو الهجمة الاستعمارية التي تعرضـــت لها أفريقيا مثل ما تعرض لها الوطن العربي من استلاب لخيراته وهيمنة لثقافـــة غربيــة غريبة عن تراث أوطاننا مما جعل الوطن العربي وأفريقيا أطرافا خاضعة لمراكز أوربيـــة، فانقطعت الصلة أو كادت بينهما فاستعمل المستعمر المهيمن هذه الحالة ليمعن في إبعـاد الأفارقة عن مصدر الحضارة الإسلامية ومنبعها لإضعاف الصلة العضوية ما بين العــرب وأفريقيا، وليصلوا بعدها إلى تغذية شعور الحقد ضد العرب، وشن الحملات الدعائيـــة

ضد الإسلام، لأنه استطاع أن يقوم بدور المحفز للمقاومة ضد الاستعمال والاستلاب الثقافي، كما استطاع أن يحقق للأفارقة وجودا حضاريا متميزاً.

وقد دفعني لكتابة هذا الكتاب تكليف أنيط بي لأقوم بتدريس مادة (الإسلام في أفريقيا) عام ١٩٨٤ ثم أعيد تكليفي عام ١٩٨٦. وشاءت الصدف أن أحضر ندوة عن العلاقة بين العرب وأفريقية في القطر التونسي في أيلول سنة ١٩٨٥. مما زاد إطلاعي على الموضوع، وحبب إلى نفسي الخوض فيه فضلا عن تهيئة مادة أستعين بها في تدريسي. وهكذا خضت غمار هذا الموضوع الواسع.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الجهود التي تبذلها بعض الهيئات العربية والإسلامية لترصين الصلة ما بين العرب وأفريقيا، ولا سيما فيما يتصل بنشر اللغة العربية وتعزيز مكانتها في البلاد الأفريقية غير العربية. ومن هذه الهيئات جامعة الدول العربية، والمؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وكلية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية العربية الليبية.

وهكذا تمثل هذه الدراسة المتواضعة رصدا تاريخيا مختصرا لما كان من صلات بين العرب وأفريقيا، أردنا منه بيان عمق هذه الصلة وتأكيد وجودها حاليا. وقد ختمتها بجملة مقترحات تفيد في رسم الخطط المستقبلية للتعاون بين أقطار الوطن العربي وأفريقيا استخلصتها من طائفة من الأبحاث الحديثة التي قرأتها.

**والله أسأل أن ينفع بها**

**الدكتور بدري محمد فهد**



الرباط
المغرب
طرابلس
الجزائر
الجماهيرية الليبية
ج.م.ع
موريتانيا
النيجر
تشاد
الخرطوم
السودان
جيبوتي
اثيوبيا
كينيا
تنزانيا
المحيط
الاطلسي
المحيط
الهندي

# ١ ـ الصلة قبل مجيء الإسلام وبعد مجيئه بين العرب وأفريقيا الشرقية

بلاد العرب مواجهة لسواحل أفريقيا الشرقية وهذه المواجهة وهذا القـــرب أدى إلى وجود صلات بشرية بمختلف أشكالها. وتاريخ هذه الصلات قديم كقـــدم هـــذا الوضع الجغرافي. والمرجح في الدراسات الحديثة أن هذه الصلة بين العـــرب وأفريقيـــا سلكت ثلاث طرق :

**أولها** : طريق البحر الأحمر، وخاصة مضيق باب المندب الذي اخترقتـــه الســـفن لتنقل الأقوام العربية من الجزيرة إلى أفريقيا والتي أوغلت من هناك حتى اســـتقرت في بلاد اليوربا غرب نيجيريا وفي السودان الغربي (غرب أفريقيا)، والذي لم ينقطع بعـــد ذلك إذ أصبح طريق الحجاج والتجار بعد استيطان العرب في جانبه الغربي[1].

**وثانيها**: طريق البحر إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ما بين القرن الأفريقـــي ورأس الرجاء الصالح.

**ثالثها**: طريقة سيناء القديم، وهو الجسر البري الذي ســـلكته مـــن وإلى الـــقارة الأفريقية الأقوام والجيوش عبر التاريخ، وكان عرب الرسالة الإسلامية ممن سلكه.

وسنؤخر الكلام عن طريق سينا، لأنه الطريق الذي نشط بعد مجيء الإسلام. أمـــا أقدم المصادر التي أمدتنا بمعلومات عن الطريقين المذكورين فهو كتاب مجهول المؤلـــف كتب في القرن الخامس ق.م وعرف باسم (الدليل الملاحي للبحر الأرتيري). وفيه تظـــهر أسماء موانئ البحر الأحمر على جانبيه وموانئ الجزيرة العربية الجنوبية، وكذلك الواقعـــة في

---

(١) أمين أسير: أفريقيا والعرب: ١٤، دكتور مصطفى مسعد، الإسلام والنوبة، ص ١٠٦.

الخليج العربي وأسماء القبائل التي سكنت تلك الموانئ كما يتضح من فقرات الكتاب عدد السفن العربية المترددة بين السواحل العربية والأفريقية واختلاط العرب وتزاوجهم من القبائل الأفريقية[١].

إن أقدم آثار العرب نحتا في منطقة الحبشة يرجع إلى القرن الرابع ق. م وإن هؤلاء العرب الذاهبين من الجزيرة قد توغلوا باتجاه الغرب داخل القارة إلى بحيرة تشاد، وهناك من يوصلهم إلى غرب أفريقيا- كما سلفت الإشارة[٢] وإن النقوش السومرية والبابلية في سواحل أفريقيا الشرقية تثبت وصول سكان الرافدين إلى هذه البقاع [٣].

وفي القرن الأول الميلادي ذكر المؤرخ الروماني بلينوس Pliny الاتصالات القديمة بين سواحل الخليج وسواحل شرق أفريقيا، وقد كشفت أبحاث وتقارير البعثات التنقيبية التي عملت في مناطق شرق أفريقيا عن جوانب هامة من تلك الصلات والروابط.[٤]

## أ- طريق البحر الأحمر:

لقد عبر العرب البحر الأحمر إلى أفريقيا من جهات كثيرة، وكان أيسرها عبوراً مضيق باب المندب وكانت تلك الموجات العربية قد انتشرت بعد عبورها إلى الحبشة أو إلى داخل القارة بعد ذلك كما أشرنا من قبل. وهذا ما دعا بعض الباحثين إلى القول بأن تلك المناطق التي هاجر إليها العرب قبل ظهور الإسلام كانت شبه عربية[٥] فإن الحبشة اسم أخذ من اسم قبيلة عربية (حبش أو حبشة) كانت تسكن في تهامة في غرب اليمن وقد هاجرت إلى أفريقيا في الفترة ما بين القرن العاشر والسابع ق.م. [٦]

---

(١) جواد علي، تأريخ العرب قبل الإسلام، ٣/٣٣٦-٣٤٨.

(٢) د. محمد عبد الغني سعودي: الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة ، ص٤ (ضمن كتاب العلاقات العربية الأفريقية).

(٣) د. محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، ٤٤-٤٥.

(٤) د. جمال زكريا قاسم: أثر الاستعمار، ٨٠١.

(٥) د. محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية: ٣١.

(٦) جويري: مادة الحبشة، دائرة المعارف الإسلامية.

وفي القرن السادس الميلادي سجل المؤرخون الرومان، وكذلك أصحاب الأخبار العرب الصلة التي كانت قائمة ما بين الحبشة وبلاد العرب إذ كانت الحبشة إحدى الطرق التي تسربت منها النصرانية إلى اليمن. ثم لما شاعت الصدف أن يتغلب يهود اليمن على النصارى عند قيام ذي نواس الملك الحميري (وهو في كتب اليونان والسريان دموس أو دميانوس). ولما كان هذا الملك متعصباً لدينه غاضه ما يلاقيه اليهود في بلاد البيزنطيين فطفق يعذب النصارى بتحريقهم بالنار وقد أشار القرآن إلى ذلك في سورة البروج ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ ﴾[1] ففر بعض النصارى إلى بلاد الروم، وإلى الحبشة مستصرخين فأنجدهم الأحباش بجيش عظيم قضي على الملك اليهودي. وفي رواية أخرى أن الأحباش نزلوا أرض اليمن قبل قيام ذي نواس بتعذيب النصارى فاضطر إلى الفرار إلى الجبال ثم بعد وفاة قائد الحملة، كر ذو نواس على الأحباش وبدأ باضطهاد النصارى مما حمل الأحباش على العودة. وقد تركوا بعدها جيشا في اليمن تولى قيادته أبرهة (صاحب قصة الفيل). الذين أراد هدم الكعبة وإكراه العرب على الحج إلى كنيسة القليس التي بناها في صنعاء[2] إلا أن حكم الحبشة لم يدم طويلا. أما ذكراه في أذهان العرب فظلت ماثلة مدة طويلة ويبدو أن الصلة السلمية التجارية عادت إلى سالف عصرها بين العرب والحبشة، مما جعل العرب على معرفة بعدالة ملك الحبشة وديانته، ولهذا نصح النبي ﷺ أتباعه باللجوء إلى الحبشة فراراً من اضطهاد قريش. وقد كانت الهجرة كما أورد أصحاب السيرة على دفعتين الأولى وكان فيها ١١ أو ١٢ رجلاً و ٤ أو ٥ نسوة خرجوا في السنة الخامسة من البعثة النبوية، ثم بلغهم أن قريشاً آمنت بالنبي ﷺ فرجعوا في نفس السنة. ثم تلتها هجرة ثانية في نفس السنة كان عدد المهاجرين فيها ٨٣ رجلاً و ١٨ امرأة. مكثوا في الحبشة حتى سنة ست للهجرة ثم عادوا بعد أن جاءهم نداء النبي ﷺ بالعودة. ويبدو أن الهجرة الأولى كانت للتعرف على مدى استعداد النجاشي على قبول المهاجرين إليه وحمايتهم ولهذا وجدنا النبي بعد معرفته

---

(١) سورة البروج، ٨٥ الآية ٤-٦.

(٢) د. جواد علي ٣/ ١٨٠-١٨١.

بقبول النجاشي استضافة المهاجرين وحمايتهم يوجه كلامــه إلى المـهاجرين بـأنهم سيكونون عند ملك لا يظلم عنده أحد[1].

ولقد كان النجاشي كما تصفه كتب السيرة يحترم النبي ﷺ وقد عبر عن احترامـه له بدفعه صداقاً مقداره (٤٠٠) دينار نيابة عنه إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان بعـد أن توفي عنها زوجها عبيد الله بن جحش نصرانياً بأرض الحبشة. وجهزها مـن عنـده وإرسالها إليه ليتزوجها، كما كان النجاشي برا بالمسلمين[2] لذلك ما أن بلغ خبر وفاته إلى النبي ﷺ حتى نعاه إلى أصحابه وقال "إن أخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليـه، فخرج فصفهم وصلى عليه".[3]

أما التأثير الحضاري للحبشة فيتجلى في شيوع الألفاظ الحبشية في كلام التجـار وقد استعملها القرآن في مواضع عدة منها.[4]

أليم : موجع

الأرائك: السرر

أواه: الموقن

أواب: مسبح

أوبي: سبحي

كما برز في الجزيرة جملة شعراء من أصل حبشي أو إفريقي كـان لهـم دور في الحياة الأدبية، مثل عنترة الذي عد من الشعراء الفحول، ومـن الفرسـان الشـجعان كانت أمه من أصل حبشي[5] ومنهم على سبيل المثال أيضاً خفـاف بـن ندبـة[6]

---

(١) الطبري ٢: ٣٢٩-٢٣١. ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير: ٥٠-٥٤، النويري ١٦/٢٣٣-٢٥٣.

(٢) النسائي: السنن٥/ ١٩٩، ابن كثير السيرة ٤/٥٨٤.

(٣) البخاري، الصحاح ١/ ٣١٥، مسلم الصحيح ٧/٢١.

(٤) السيوطي: الاتقان ١/ ١٣٧.

(٥) الأصفهاني: الأغاني ٨/٢٣٧.

(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٣٠٠، ابن عبد البر/ الاستيعاب ٢/٤٥.

والسليك بن السلكة[1]، ونصيب بن رباح[2]. والنجاشي قيس بن عمرو من أهل اليمن الذين تصاهروا مع الحبشة[3]. وقد خصهم ببحث قيم الدكتور عبدة بدوي[4].

وبرز في الحجاز جملة من المشهورين من العلماء من أهل أفريقيا مثل مؤذن الرسول ﷺ الصحابي بلال الحبشي، ومن علماء التابعين عطاء بن أبي رباح عالم مكة (١١٤هـ/ ٧٣٢م)[5]. كما برز في ميدان الفن عدة رجال أمثال سعيد بن مسجح وكان يغني في أول العهد الأموي (ت نحو ٨٥هـ/ ٧٠٤ن).[6]

وكلما تقدم الزمن زادت الصلة ما بين الحبشة والبلاد العربية وقد ازداد تسرب العرب أفراداً أو قبائل إلى أفريقيا بعد مجيء الإسلام. ففي عام ٨٣هـ/ ٧٠٢م أغار الأحباش على جدة وأثروا على تجارة مكة مما كان له رد فعل عند العرب فقرروا حماية تجارتهم في البحر الأحمر، لذلك نزلوا جزائر دهلك المواجهة لميناء مصوع، ومن هناك انحدروا إلى داخل بلاد الحبشة فأصبح ميناء مصوع وزيلع وجزء كبير من السلاحل بلاداً عربية.[7] وقد قامت الإمارات العربية بعد ذلك مثل مملكة شوا الإسلامية في وسط الحبشة منذ نهاية القرن الثالث للهجرة (٢٧٣هـ/ ٨٩٦م). بزعامة أسرة عربية تنتسب إلى قبلية مخزوم القرشية إذ لقب حاكمها باسم (المخزومي). واستمرت هذه القبلية العربية الإسلامية حوالي أربعة قرون حتى سقطت سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٥م) على يد سلطنة أوفات الإسلامية التي ورثت زعامة المراكز العربية الإسلامية[8].

---

(١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٢٤/١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٣٣٣/١.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢٨٨/١.

(٤) انظر السودان وخصائصهم في الشعر العربي.

(٥) الزركلي: الإعلام ٢٩/٥.

(٦) الأصفهاني: الأغاني ٢٧٦/٣-٢٨٤.

(٧) د. عبد الرحمن زكي: تاريخ الدولة الإسلامية ٤٢.

(٨) المقريزي: الإلمام: ٩، القلقشندي ٣٢٦/٥. د. حسن أحمد محمود. الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ٣٩٤، ٣٩٥.

وكانت سلطنة أو فات[1] قد تحكمت في الطريق التجاري بين ميناء زيلع والداخل وقد أسسها قوم من قريش من بني عبد الدار. أو من بني هاشم من ولد عقيل ابن أبي طالب. ولم تبرز هذه السلطنة إلا في نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عندما أصبح سلطانها أقوى السلاطين المسلمين. فقد بلغ عسكر سلطانها خمسة عشر ألفاً من الفرسان، وعشرين ألفاً فأكثر من الرجالة.[2] لذلك كان جميع ملوك هذه الدويلات يخضعون لصاحب أوفات وينقادون إليه.[3]

وفي القرن الرابع الهجري انتشر الإسلام إلى مدينة هرر التي أصبحت مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية.[4]

وفي القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد أصبح في بلاد الحبشة سبع إمارات عربية زاهرة هي، أوفات، دوار (دوارة)، أرابيني، هديا (هدية) شرحا، بالي، دارق، ولما كانت أراضي هذه الإمارات على شكل طراز يحيط بالحبشة من جهة الشرق لذا وصفها المؤرخون بإقليم الطراز الإسلامي وسماها المقريزي زيلع.[5] وأخذوا ينشرون الإسلام بين القبائل الوثنية.

وقد ساعد تدفق العرب من شمال وادي النيل وعبر البحر الأحمر من الحجاز إلى بلاد البجة إلى إسلام هؤلاء ومن البجه الساكنين في شمال الحبشة تسرب الإسلام إلى شمال الحبشة (مملكة أكسوم).[6]

---

(١)وقد نقل القلقشندي عن تقويم البلدان أن اسمها وفات وتسميها العامة أوفات ويقال لها جبره.

(٢) القلقشنده ٣٢٥/٥، انظر د. محمد محمد أمين: تطور العلاقات: ٣٩، ٤٠.

(٣) القلقشندي ٣٣٢/٥.

(٤) د. عبد الرحمن زكي، ٤٢.

(٥)القلقشندي ٥/ ٣٢٤، المقريزي، الإلمام، ٢، ٦.

(٦) د. عبد الرحمن زكي، ٤٢.

إن هذه الإمارات العربية التي انتشرت في بلاد الحبشة، وفي بعض مدن أفريقيا الشرقية كانت تتمتع باستقلال ذاتي. وثقافي رغم اشتراكها في وحدة الدين فكان لكل إمارة أولياؤها وطرقها الصوفية وأماكن عبادتها، ومدارسها، فمثلا مدينة هرر التي سكنها العرب والصوماليون والجلا وجد لكل قوم مسجدهم وكتاتيبهم ومذهبهم الخاص.

كان الطلبة وأئمة المساجد ينشؤون الكتاتيب لتعليم القرآن. ويتخذون مصلاهم تحت شجرة ضليلة في القرى حيث يجتمع الناس وقت الصلاة، وفي مساء الجمعة يجتمعون لتلاوة القرآن وقراءة الأوراد والسيرة النبوية وكتب الحديث والفقه.

أما في المدن فلهم المساجد. ويسمى الإمام الذي يصلي بالناس بأسماء مختلفة بحسب الأماكن التي يقيم فيها مثل معلم أو شيخ، وأحيانا فقير أوفقيه. وفي بلاد الصومال يسمى (وراداً) أو (كبيراً). وفي بلاد هرر يطلق على صغار المعلمين اسم (مومين). ولا يوجد مجتمع وإن كان صغيراً إلا وفيه مدرسة لتعليم القرآن برئاسة أحد الفقهاء. فيقتني قطعة أرض ويشرك الطلبة في فلاحتها ويؤم الناس في الصلاة تحت الشجرة. ويقوم فوق هذا بدور الطبيب، ويمنح البركات ويكتب التمائم فهو روح القرية. وهو الحافظ لتعاليم الإسلام. ورغم بدائية هذا الأسلوب فقد كان له أثر بعيد في نمو الثقافة العربية في هذا البلاد.[1]

إن علاقة الحبشة بالبلاد العربية شمالا بوادي النيل أو جنوباً بالإمارات العربية على الساحل الشرقي لأفريقيا، أو شرقاً عبر البحر الأحمر، زادت بمرور الزمن عن طريق التجارة والحج وطلب العلم. فقد توافد على مصر أساتذة العلم وطلابه من مسلمي الحبشة حتى صار لهم بالأزهر أروقة خاصة بهم ومن هؤلاء العلماء الإمام الزيلعي فخر الدين عثمان بن علي الحنفي الفقيه ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م.(٢) والمحدث الزيلعي جمال

(١)د. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ١٥٨.

(٢) انظر ترجمته عند ابن حجر، الدرر الكامنة ٣/ ٦١ (ترجمة رقم ٢٥٩٦).

الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الحنفي ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م[1] ومؤرخ مصر المشهور عبد الرحمن الجبرتي الحنفي ت ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م الذي سكنت عائلته القاهرة فولد فيها.[2]

وفي القرن السادس عشر الميلادي تعرض المسلمون لاضطهاد حكام الحبشة لا سيما في عهد النجاشي لينا دنجل وولده كلاوديوس. إذ كادت دولة الإسلام وعاصمتها هرر أن تنهار خاصة بعد اتصال الحبشة بالبرتغاليين وطلب المساعدة منهم لولا نهوض المجاهد أحمد بن إبراهيم جراني، الذي وحد كلمة المسلمين لا سيما الصوماليين وتولى زعامتهم وعزم على فتح الحبشة. وقد استطاع بمساعدة الترك (في اليمن وجدة) من التوغل إلى داخل الحبشة حتى وصل إلى أقاليمها الشمالية في (تيجري). وبقي المجاهد أحمد يقاتل بجيشه ما بين سنة ١٥٢٨ – ١٥٤٣ حيث استشهد في إحدى المعارك (سنة ١٥٤٣م) وخلفه ابن أخته الأمير نور الدين بن مجاهد في قيادة المجاهدين، وبفضل جهاد أحمد وابن أخته أصبح العرب سادة الحبشة.[3]

ثم اندفع الصوماليون إلى الجنوب بعد ذلك حيث اتصلوا بقبائل الجلا (الجالا) والبانتو الوثنيين ونشروا الإسلام بينهما ويمكن القول أن الإسلام قد عم جميع أرجاء الصومال في القرن السابع عشر.

وخلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين استمر انتشار الإسلام وقد ساعدت على ذلك الانقسامات بين الأحباش أنفسهم واشتمال الحروب الطائفية بينهم. فأسلم بعض زعماء الحبشة وتحولت نصف

---

(١) م.ن ٢، ٤١٧ (ترجمة رقم ٢٢٥٠)

(٢) الزركلي، الإعلام ٤/٧٥.

(٣) وقد خصص عرب فقيه كتاب فتوح الحبشة لتاريخ جهاد أحمد بن إبراهيم هذا وكتابه مطبوع الآن. وانظر أيضا توماس آرنولد، ١٣٧. د. عبد الرحمن زكي، ٤٣، ٤٤، ٤٥.

الولايات الوسطى إلى الإسلام[1]. كما أن سيطرة مصر في القرن التاسع عشر على شواطئ الصومال الشمالي والشرقي، وبعد ضم هرر سنة ١٨٧٥م إلى أملاكها أدى إلى تدعيم الإسلام ونشره بين الوثنيين. وبعد ثورة عرابي ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م أجبرت بريطانيا مصر على الابتعاد عن شرق أفريقيا وضمت الصومال الشمالي إليها وتسربت قواهما إلى الداخل.

ولما تولى حكم بلاد الحبشة (ليج أياسو) حفيد منليك أنكر الدين المسيحي وادعى أنه من سلالة النبي ﷺ وتزيا بزي المسلمين ونقش على العلم الحبشي عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بل أنه فكر في إعلان الجهاد والقضاء على المعارضين. وأعد جيشا لتنفيذ خطته وقرر في عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م تبعية بلاده لتركيا في الشؤون الدينية. فتدخلت الدول الأوروبية وأرغمته على النزول عن العرش. ومن ثم عمل خلفاؤه على الحد من النفوذ الإسلامي.[2]

ومن الجدير بالذكر أن نظام التعليم الإسلامي كان محصوراً في المدن الساحلية إلا أن النهضة الإسلامية التي حصلت في القرن التاسع عشر امتدت إلى بلاد الصومال والحبشة. كما أمتدت إلى غيرها من بلاد أفريقيا. فأخذ المشايخ بتأسيس المدارس في بلاد الحبشة والصومال، وكان يطلق على المعلم -كما مر بنا- اسم شيخ أو فقير في شمال الحبشة. ويطلق على الفقيه وراد (وجمعها ورادين) في الصومال، ويطلق عليه كبيراً في هرر، وبين قبائل الجلافي جنوب الحبشة.

وكان للطرق الصوفية دور في إنشاء المراكز الدينية لتدريس أصول الدين ونشر التعليم العربي كالطريقة القادرية، والصالحية، والأحمدية، والرفاعية.

---

(١) د. عبد الرحمن زكي: ٤٥.

(٢) د. عبد الرحمن زكي: ٤٧.

كانت القادرية أقدم الطرق التي دخلت الصومال بفضل اليمنيين والحضارمة الذين استقروا في مقديشو وزيلع، وغيرهما من المناطق الساحلية، ثم توغلت داخل البلاد منذ عام ١٨١٩م حينما أسس الشيخ إبراهيم حسن جبرو مركزاً لها في بلدة بربرة الحالية على نهر جوبا.

أما الطريقة الأحمدية التي أسسها أحمد بن إدريس الفاسي فقد أدخلها إلى شرقي أفريقيا الشيخ على مية درجبا الصومالي وكرس نفسه لنشرها في الصومال، فالتف حوله عدد كبير من المريدين وخاصة من سكان وادي شبيلي الأوسط.

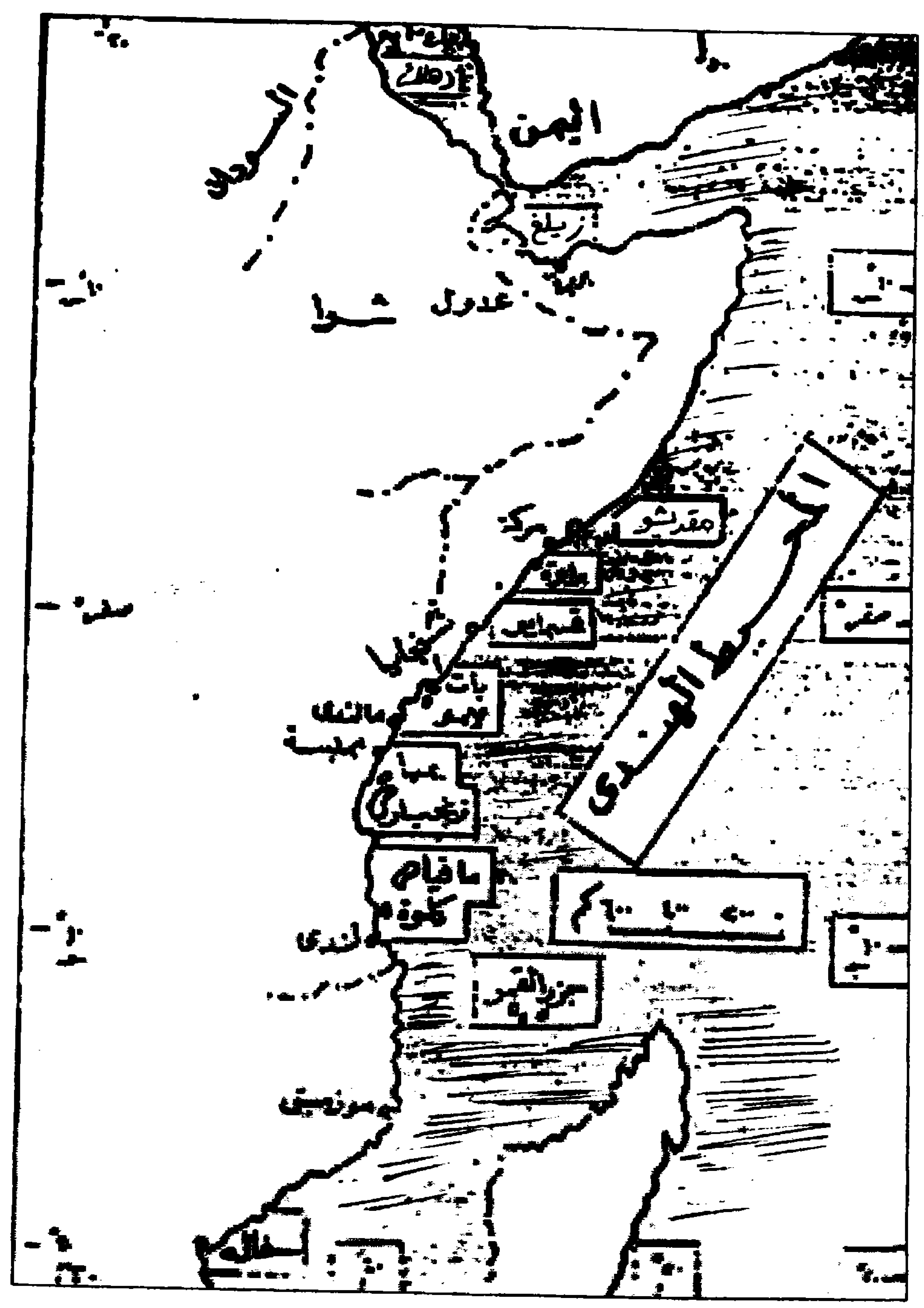
أما الطريقة الصالحية فمؤسسها محمد بن صالح بن أحمد أحد تلاميذ أحمد بن إدريس الفاسي، ومركز دعوتها في منطقة الشدلة بين بلدتي جوهر وبلعد على نهر شبيلي. وكان من أهم دعاتها محمد بن عبدالله بن حسن ويلقب بمهدي الصومال الذي ثار في وجه بريطانيا.

وتنتشر هذه الطريقة بين سكان الأقاليم الواقعة بين مديرية مجرتين وبين الصومال (الذي كانت تحتله بريطانيا) وفي منطقة الأوجادين، وفي بعض مناطق جنوب صوماليا.

وقد كان قيام مهدي الصومال هذا بجهاده ضد الإنكليز في نفس الوقت الذي قام فيه المهديون في السودان الشرقي بثورتهم ضد الإنكليز. و لم تستطيع بريطانيا أن تخمد الحركة حتى عام ١٣٤٠هـ/ ١٩١٢م، بعد أن كلفتها خسائر فادحة في المال والرجال.[١]

---

(١) د. عبد الرحمن زكي، ٤٧، ٤٨، ٤٩.




الساحل الشرقي لأفريقيا في العصور الوسطى

### ب- طريق البحر العربي إلى شرق أفريقيا:

أما الصلة بين جزيرة العرب والسواحل الأفريقية لما يلي الحبشة فقد كانت وشائجها أمتن منذ أن عرف العرب مواسم هبوب الرياح الموسمية واستخدموها للوصول إلى السواحل الشرقية لأفريقيا. إذ أن هذه الرياح تهب شتاء من الشمال الشرقي أي من جهة الخليج العربي خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر). كانون الأول (ديسمبر). كانون الثاني (يناير)، شباط (فبراير). آذار (مارس) متجهة نحو الجنوب الغربي، فيقوم البحارة بدفع سفنهم الشراعية (الدوات) نحو السواحل الشرقية لأفريقيا. أما إذا ابحرت السفن من جهات الخليج والجزيرة العربية قبل شهر تشرين الثاني (نوفمبر) فإنها تسير ببطء فتقطع المسافة ما بين ٣٠-٤٠ يوماً في حين تزداد سرعتها عند اشتداد الريح في مواسم هبوبها فتقل المدة لتصل ما بين ٢٠-٢٥ يوماً.

أما رحلة الإياب صيفا فتبدأ من أوائل (نيسان/ أبريل) وحتى شهر أيلول (سبتمبر) حيث تهب الرياح من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي وهناك شهران من السنة يعدان شهري انتقال ما بين فصلي الصيف والشتاء وهما (نيسان/ أبريل) وشهر تشرين أول/ أكتوبر[1].

استخدم العرب هذا الطريق منذ أقدم الأزمنة حتى إذا جاء الإسلام زادت هذه الصلة إذ بدأ استيطان العرب في السواحل الشرقية وفي الجزر القريبة منها. ونتيجة لما لقيه سكان بعض مناطق الخليج لا سيما عمان من عنت بعض ولاة العصرين الأموي والعباسي، دفع عدداً منهم إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا. فقد ورد في عهد عبد الملك ابن مروان ٦١هـ/ ٦٩م أن الأخوين سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي ثارا ولما فشلت ثورتها هربا مع من ثار معهما من القبائل إلى شرق أفريقيا. وهناك من يرى من باب الترجيح أنهم استقروا في جزيرة مافيا.[2] أو في لامو بناء على ما ذكره الأستاذ هيشنر Hichens من أنه عثر على كتاب ألفه شيبو فرج بن أحمد الباقري (الباقوري)

(١) محمد عبد الغني سعودي: الاتصالات العربية الأفريقية في العصور الوسطى: ٢٦.
(٢) عامر محمد الحجري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ٧٧٦.

عنوانه (أخبار لامو) يظهر فيه أن إمارة لامو كانت أقدم الإمارات العربية ظهوراً على الساحل الشرقي لأفريقيا[1].

وهاجر فريق من الزيدية إلى أفريقيا الشرقية واستقروا في سواحل بنادر (الصومالي الشرقي) بالقرب من مقديشو عند شنجايا وذلك لحدوث نزاع بين الزيدية في اليمن. وقد حكم هؤلاء الزيدية في موطنهم الجديد حوالي ٢٠٠ سنة قاموا خلالها باستصلاح الأراضي القاحلة وزراعتها[2].

ثم زادت الهجرة بعد ذلك فأسست مدينة مقديشو وبراوة القريبة منها، وجملة محطات أصبحت مدنا مثل مركة (مركا)، براوة، قسمايو، بات لامو، مالندي، ممباسة (ممبسا)، زنجبار، مافيا، كلوة، سفالة، جزر القمر. ومن هذه المحطات توغل العرب إلى داخل القارة حيث البحيرات العظمى مثل فكتوريا، وتنجانيقا في منتصف القرن التاسع عشر.

وعبر التجار العرب بحيرة تنجانيقا إلى الكنغو أي إلى وسط أفريقيا وإلى جنوب خط الاستواء، وأسسوا مراكزهم في الداخل في كاسونجو Kasonqo ونيانجوي Nyanywe ووصلوا شمالاً إلى يامبويا Yamboia ولعل أسماء تيبوتيب Tippe Tip وموالي موهادا Muni Mahara ومراكزهم المستقرة لشاهد ودليل على هذه الاتصالات البعيدة في الداخل.[3]

وفي أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي غادر سليمان بن مظفر النبهاني على رأس جماعة من أتباعه وقصدوا جزيرة بات. وحدث ذلك بعد سقوط الأسرة النبهانية في عمان، ونظرا للمكانة التي كان يتمتع بها الملك النبهاني فقد استقبله العرب في الساحل الشرقي من أفريقيا وكان معظمهم من الخليج استقبالا طيبا. وقد

---

(١) د. زكريا قاسم: أثر الاستعمار الأوروبي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرقي أفريقيا: ٨٠٢ والدكتور حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ٣٩٨.

(٢) آرنولد، ٣٧٨، د. محمد محمد أمين تطور العلاقات العربية الأفريقية، ٤٧.

(٣) محمد عبد الغني سعودي، الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة، ٢٩.

تزوج هذا الملك من ابنة حاكم الجزيرة السواحلي الذي تنازل لصهره عن الحكم. وهكذا التجأت الأسرة النبهانية إلى شرق أفريقيا لتبدأ دوراً ثانياً من أدوار حكمها الطويل. حتى خضعت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي للسلطنة العربية في زنجبار.[1]

لقد كانت الظروف مهيأة للعمانيين والعرب لإقامة كيانات مستقلة هناك حيث لم يصادفوا مجتمعات أفريقية منظمة. وقد أطلق الجغرافيون العرب قديماً على الساحل الشرقي اسم ساحل الزنج أو زنجبار. ويمتد من خليج عدن شمالا حتى خليج دلجاو جنوباً.

أما الإمارات التي أقامها العرب. فكانت في مقديشو، وكلوة ، وبراوة، ومالندي، وممباسة وقد حققت تلك الإمارات ازدهار كبيراً، فقد كانت على جانب كبير من التنظيم والاستقرار. وساهمت في الانتعاش الاقتصادي والحضاري لتلك المنطقة. فقد قاموا باستخراج الذهب والفضة والنحاس والحديد لذلك ذكر أبو الفداء "عن ابن سعيد وأكثر معايشتهم من الذهب والحديد".[2] وكان ميناء سفالة (في زمبابوي) القريب من منجم الذهب، قد لعب دوراً مهماً في تجارته مع البلاد العربية، حتى سماه الإدريسي بسفالة الذهب. وذلك أثناء ذكره لمدينة البايس وهي آخر عمالة الزنج، وتتصل بها أرض سفالة الذهب"[3].

وأما الحديد فإنه أصبح مطلب التجار العرب على عهد الإدريسي ففي أثناء كلامه عن مدينة مالندي (ملندة) قال "وعندهم معدن حديد يحتفرونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم".[4] وعندما تناول المدينة التالية لها وهي (ممباسة) أو ممبسة قال "وأهلها متحرفون باستخراج الحديد من معدنه" في القرن الثاني عشرم. وكانت السفن العربية تنقله إلى البلاد العربية أو الهند لتصنيعه[5].

---

(١) د. جمال زكريا قاسم: أثر الاستعمار: ٢٠٨.

(٢) أبو الفداء: تقويم البلدان، ١٥٧.

(٣)الإدريس: نزهة المشتاق، ٣٣.

(٤) م.ن: ٣٢،٣٣.

(٥) محمد محمد أمين: تطور العلاقات، ٥٠.

إن الإمارات التي أقامها العرب قامت بجهود التجار أو المهاجرين وظلت تقترن بالسيادة العمانية أو العربية كليا، حتى قدم البرتغاليون الذين دهشوا كما دهش غيرهم من الأوربيين الذين وفدوا إلى المنطقة لما وجدوه من مستوى العرب هناك في الملبس والمآكل ورخاء الحياة وما كانت عليه مدنهم من تنظيم ونظافة[1].

إن الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا أدت إلى التساكن مع أهل البلاد والتزاوج معهم ونقل أساليب الحياة العربية إليهم، وأدى الامتزاج إلى ظهور حضارة سواحلية تدين بالإسلام. وظهرت اللغة السواحلية التي سيطرت على الحياة في شتى مجالاتها بشرق أفريقيا، فأصبحت اللغة القومية والتجارية. وأصبحت من اللغات الكثيرة التداول في العالم حيث يتكلم بها سكان شرق أفريقيا من الصومال إلى مدغشقر وجزر القمر. كما انتشرت داخل القارة في أوغندة وفي حوض الكونغو وفي جميع أرجاء نياسلاند. وفي تنجانيقا وكينيا[2].

وللعربية في هذه اللغة (أي السواحلية) نصيب كبير إلا أنها تطعمت في بعد بمفردات من اللغة الأوربية الوافدة.[3] لذلك لم يشعر العرب أنهم غرباء بل عدوا تلك البلاد بلادهم. ولا يزال لدى قبيلة انتيمورونا بجزيرة مدغشقر إلى الآن مؤلفات خطية قديمة العهد مكتوبة بالحروف العربية. إذ قد حافظ بعض سلالة المهاجرين العرب على استعمال الحروف العربية في الكتابة.[4]

إن مسلمي مستعمرة الكاب (اتحاد جنوب افريقيا) الذين هم من سلالة أهل الملايو يتكلمون لغة محرفة من لغة البوير ومع خليط كبير من اللغة العربية. وبعض كلمات إنجليزية وكلمات من لغة الملايو... وأن هناك كتاباً صغيراً ألف بهذه اللغة وكتب بحروف عربية، وأن هذا الكتاب نشر في اسطنبول سنة ١٨٧٧ ليستعمل كتيبا صغيراً في قواعد الدين الإسلامي[5].

---

(١) عامر محمد الحجري: تأريخ العلاقات العمانية الأفريقية: ٧٧٦.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام، ١٦٣.

(٣) عامر محمد الحجري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية: ٧٧٦.

(٤) د. حسن إبراهيم حسن، ١٦٥.

(٥) توماس آرنولد: ٣٨٨.

أما جزر القمر فقد قطعت صلتها بالبلاد العربية بعد استعمارها قرونا مما جعل اللغة الرسمية مزدوجة بها عربية وفرنسية[1].

إن قدوم الاستعمار الأوروبي لهذه الجهات وخططه أدى إلى ما يأتي: [2]

أ- تمكين المسحية لتكون الديانة الجديدة السائدة في المناطق المستعمرة في أفريقيا السوداء ، وذلك في شكلها التبشيري الحاد.

ب- تمكين اللغات الأوربية في المنطقة على حساب العربية.

ج- نشأة فكرة القومية الأفريقية في شكلها الزنجي الأوربي لغرض إبعادها عن التأثير الإسلامي وفصلها عن العرب.

## جـ- طريق برزخ السويس:

ذكرنا أن برزخ السويس كان الطريق الأول الممهد لسير الموجات البشرية والجيوش من وإلى أفريقيا، والذي يهمنا هنا دخول عرب تحرير أفريقيا عن طريق مصر. وقد كان لدخولهم السريع بلاد مصر والانتشار فيها واتخاذها قاعدة للانطلاق غربا وجنوبا، قد ساعدت عليه جملة أمور كان في طليعتها ترحيب المصريين بالعرب المسلمين لكونهم منقذين لهم من ظلم الروم. و لم ينته عهد الراشدين حتى كانت دولتهم تمتد إلى حدود أفريقية (تونس) ثم امتدت في أوائل العهد الأموي إلى المحيط الأطلسي. وكان هذا الامتداد بتوجيه رسمي من خلفاء دمشق بعد الراشدين. و لم يكن الإسلام قد تغلغل إلا في المراكز الحضارية الكبرى التي بناها العرب أولا مثل الفسطاط والقيروان. إلا أن الحركات الشعبية لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام في الريف وتكوين كيانات سياسية دينية في شمال أفريقية مستقلة عن العواصم الإسلامية في المشرق مثل دمشق، وبغداد، والقاهرة حسب توالي الزمن. وكانت هذه الكيانات للعلويين، والخوارج، والفاطميين وسوف نعود للحديث عنهم. وقد قامت هذه الحركات الشعبية بمد الإسلام عبر الصحراء إلى البلاد الواقعة خلفها والتي عرفت قديما باسم بلاد السودان.

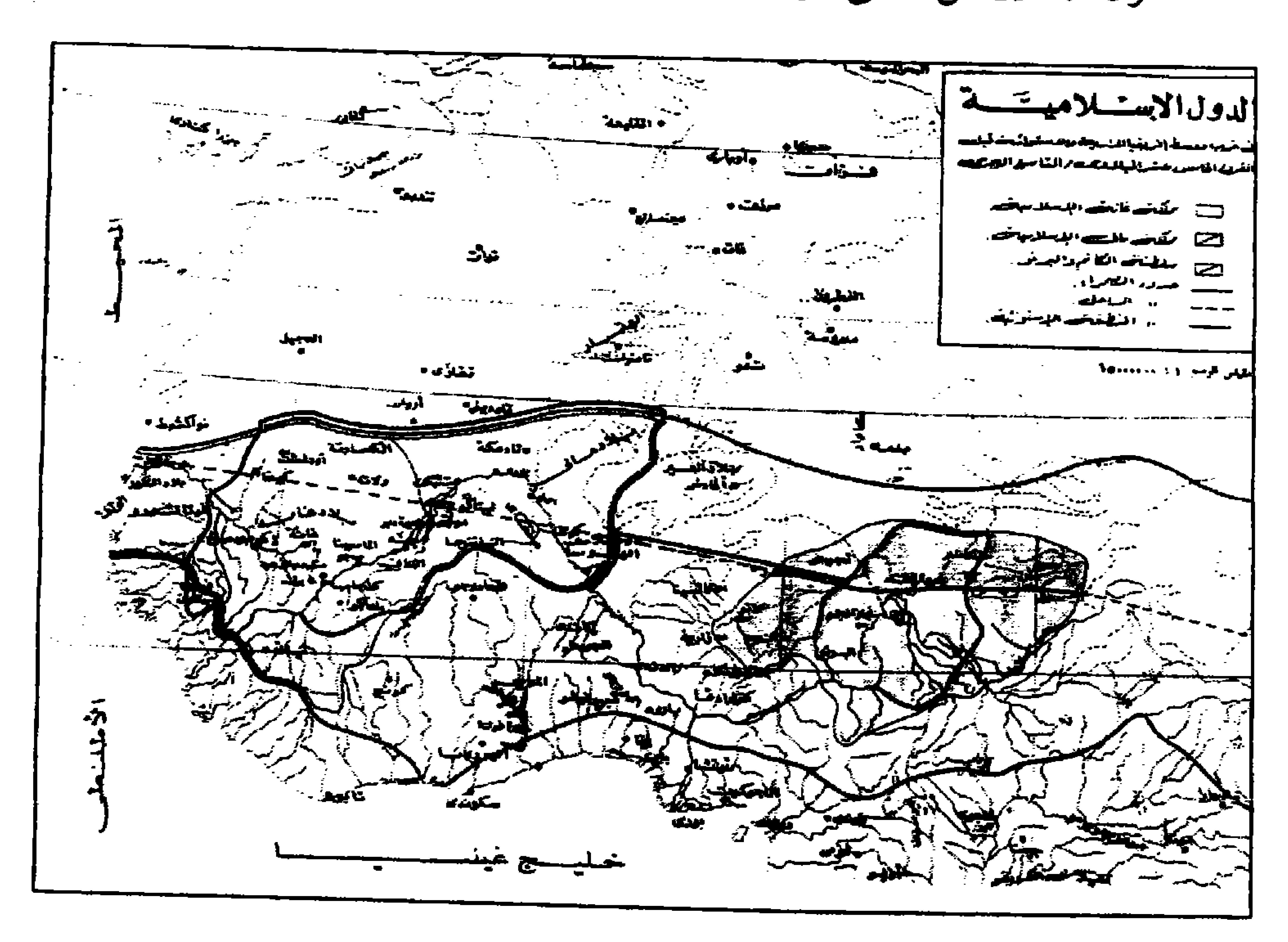
---

(١)راشد أبو بكر: العلاقات العربية القمرية قديما وحديثا، بحث في ندوة تونس عن العلاقات العربية الأفريقية

(٢) د. عبد القادر زبادية: دور العرب الخليجيين في نشأة وتطور الحركة الوطنية: ٧٥٣.

والعلاقة بين هذه البلاد الواسعة في شمال وغرب أفريقيا وعرب المشرق موغلة في القدم أيضاً، ويشوب بداياتها الغموض، ثم كانت هناك صلة بعد مجيء الإسلام قام بها التجار والمتصوفة الذين كان لوجودهم وسكناهم بين شعوب تلك البلاد وعقدهم للصلات الودية بين تجارها وأمرائها أن ساعد على نشر الإسلام بالطريق السلمي والدعوة بالموعظة الحسنة.

ويبدو أن الإسلام وفد إلى أفريقيا الغربية من طرق مختلفة وليس من طريق واحد أي من المغرب الأقصى، ومن بقية شمال أفريقية، ومن مصر فادى إلى إسلام بربر الصحراء الكبرى أولاً، ثم امتد إلى البلاد الواقعة جنوب الصحراء. وقد كانت هذه الصلة العربية بأفريقيا الغربية قد عززت بالدماء العربية عن طريق الهجرة المستمرة إليها، وبالثقافة العربية الإسلامية. فأدى ذلك إلى قيام الدول الكبرى التي لعبت أدواراً حضارية مختلفة فضلاً عن الدويلات الصغيرة التي أقامها الدعاة والمجاهدون. وسنتناول هذه الدول مبتدئين من أقصى غرب أفريقيا ومنتهين بشرقها.



## ٢- قيام الدول نتيجة لهذه الصلة (في غرب ووسط أفريقيا)

### أ- دولة غانـــــة:

قامت دولة غانة وكانت تشمل (ما يعرف الآن بجمهوريـــة مـــالي وجمهوريـــة السنغال). وتوسعت في أقصى غرب أفريقيا في الأراضي التي يسقيها نهـــر الســـنغال وجنوب الصحراء الكبرى في خلال ستة قرون من القرن الســـادس وحـــتى العاشـــر الميلادي.[١] وقد جاءها الإسلام بعد أن انتشر في شمال إفريقيـــا ووصـــل إلى المحيـــط الأطلسي غرباً فأصبحت للعرب مدن في شمال إفريقيا كبيرة كثيرة السكان يقطنـــها إلى جانب العرب غيرهم ممن جاورهم.

ونشطت الحياة التجارية والثقافية تدريجياً بعد توقف حركات التحريـــر، فبـــدأ قوافل التجارة تنحدر إلى الصحراء الكبرى. وقد بذلت الدول العربية القائمة في شمـــال إفريقيا جهوداً كبيرة في تأمين مصادر المياه لتلك القوافل لتكون محطات بين واحـــات الصحراء. وكان والي القيروان عبد الرحمن بن حبيب ممن قاموا بتأسيس مثل هذه المحطات[٢].

واتصل التجار العرب والمسلمون من شمال إفريقيا بمراكز التجارة في الصحـــراء مثل أودغست (أودغشت) الواقعة في (موريتانيا الحالية). أو إلى جنوب الصحراء حيث العاصمة غانة (وتسمى أيضا كومبي) التي كانت محطة كبيرة للقوافل القادمة من المنطقة الجنوبية حيث الغابات في غرب إفريقيا، وبين شمال الصحراء، وسوق تجارة الذهـــب الذي ينقلونه من مناجم في الجنوب لينقل إلى العواصم العربيـــة، وإلى بلـــدان البحـــر المتوسط.[٣]

---

(١) البكري: المغرب، ١٧٤، ١٧٥، د. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي للسودان، ٣٠.

(٢) البكري: المغرب، ١٥٦، ١٥٧.

(٣) آرنولد: ٣٥٩.

كما كانت مدينة هينيشين قد ضمت جالية عربية هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم إلى بلاد السودان فتخلفوا بها وتزوجوا سودانيات.[1]

وكان الإسلام يسير في ركاب التجار أينما ساروا وخاصة بعد أن كون هؤلاء التجار جاليات في المدن الصحراوية أو جنوب الصحراء مثل غانة.

وقد انتشر الإسلام في القرن الثالث الهجري بين الطوارق (الملثمين) لا سيما قبيلة لمتونة، وجدالة الصنهاجيتين. وقد تحمس هؤلاء البربر للإسلام وقاموا بمهمة نشره وإيصاله إلى بلاد الزنوج أسفل الصحراء، حيث دولة غانة وسنغاي القائمتين حول نهر السنغال والنيجر. وقد قام حلف بين القبيلتين المذكورتين لنشر الإسلام. واستطاع هذا الحلف السيطرة على مدينة أودغست إلا أنه تفكك عام ٣٠٧هـ/٩١٨م فانتهزت دولة غانة الفرصة فبسطت نفوذها على مدينة أودغست مرة أخرى. إلا أنها لم تستطيع رد أملاكها التي استقر فيها الملثمون فتسرب الإسلام فيها. إلا أن المثلمين اتحدوا مرة أخرى حوالي عام ٣٥٠هـ/٩٦٠م. واستردوا مدينة أودغشت مرة ثانية وفي هذا الوقت دخلها الجغرافي العربي ابن حوقل عندما زار بلاد المثلمين.[2]

اجتذبت إفريقيا بعض المذاهب والحركات المعارضة لدولة الإسلام في الشرق العربي كما سيأتي بيانه فكان من جملة هؤلاء العلويون الذين أسس بعض أفراد أسرهم حكم الدراسة في المغرب الأقصى. أما في بلاد غانة فقد ورد بعضهم آملا تأسيس حكم فيها، وهم بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي الملقب بأبي الكرام ابن موسى الجون. الحسني[3]. ويبدو أن هؤلاء الحسنيين قد جذبوا إليهم تأييد الغانيين مما جعلهم ينقلون عاصمتهم من ضفة نهر النيجر إلى كومبي (غانة) التي أسسها هؤلاء الحسنيون وجعلوا منها عاصمة سياسية لهم غرب نهر النيجر[4].

---

(١) د. محمد الغربي: ٣٥

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ٦٥.

(٣) انظر ابن خلدون ٤/١١٣.

(٤) د. الغربي: ٣٤.

ثم ظهر زعيم جديد هو موسى بن ابي العافية وكان زعيم الزناتيين وصاحب دعوة أموية انطلق من مركزه مدينة سجلماسة فسيطر على مدينة كومي وفرض الضرائب على تجارة الذهب، والنحاس، والملح إلا أن سلطانه لم يرسخ بهذه الجهات أو يمتد لفترة طويلة حيث داهمته قوات الفاطميين وقضوا على دولته الصغيرة، مما أدى إلى زوال دولته الأموية.[1] وخلال هذه الفترات كان الإسلام يسير حثيثا، وكانت جاليات التجار تستقر في مدن بلاد غانة. فقد ذكر الجغرافيون العرب ومنهم البكري الذي وصف ملك غانة سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م وذكر اسمه (تنكامنين) وأن الملك الذي قبله يسمى... ووصفه بقوله "كان محمود السيرة محبا للعدل مؤثرا للمسلمين".[2]

ومدينة غانة في عهد البكري كانت مقسمة إلى قسمين إحداهما يسكنها المسلمون، وهي كبيرة وفيها اثنى عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه. ولها الأئمة والمؤذنون، والفقهاء ومن يقوم بخدمتها. كما أن فيها حملة علم. أما مدينة الملك فهي على بعد ستة أميال من هذه المدينة وتسمى غانة والمساكن بينهما متصلة ومبانيها بالحجارة وخشب السنط.

ومدينة الملك فيها مسجد أيضا يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين. حيث يكون المسجد قريبا من مجلس حكم الملك.

وقد استعان ملك غانة بالمسلمين فجعل بعضهم مترجمين له، وبعضهم لإدارة بيت المال أو لإدارة شؤون الدولة فهم بمثابة وزراء[3].

بعد انتشار الإسلام في إمبراطورية غانة لم يعد سكانها يرتبطون ببلاد العرب عن طريق التجارة فقط بل أصبح الإسلام وسيلة أخرى حيث كان على المسلمين أداء فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلا. وهكذا أصبحوا يفدون إلى الحج ويتصلون بالعرب في ديارهم سواء في شمال أفريقيا أو في المشرق. وكان من جملة من ذهب إلى

(١) ابن أبي زرع: الأنيس، المطرب بروض القرطاسي: ٨٣-٨٧. ود. محمد الغربي: ٣٦.
(٢) البكري: المغرب، ١٧٤.
(٣) م.ن.

الحج أحد بني جدالة الصنهاجية (يحيى بن إبراهيم) في أوائل القرن الخامس وكان يشعر بحاجة بلاده إلى الفقهاء لتصحيح مسيرة الدين الإسلامي وهكذا التقى بالقيروان بالفقيه أبي عمران الفاسي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وتذاكر معه حول هذا الموضوع، فأرشده هذا الفقيه إلى وجاج بن زلو اللمطي السوسي من أهل جنوب المغرب الأقصى فالتقى بهذا الشيخ الذي بعث معه الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي السجلماسي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).[١]

وكان عبدالله بن ياسين قد تلقى الفقه على يد الفقيه وجاج بن زلو اللمطي وكان هذا الأخير قد تلقى العلم في القيروان، وعاد إلى السوس وبني دارا أسماها (بدار المرابطين) لطلبة العلم وقراءة القرآن. وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم قحط استسقوا به[٢] فعن هذا المرابط أخذ عبدالله بن ياسين علمه.[٣] فلما وصل مع الشيخ يحيى إلى بلده وجد أن عليه أن يبذل مجهودا مضاعفا من أجل نشر الإسلام بين الوثنيين. وتصحيح معتقدات المسلمين هناك، فبدأ بنشر الإسلام وتحلق حوله المريدون والتلاميذ فذهب بهم إلى جزيرة اختلف في موضعها فبعضهم جعلها في نهر السنغال، أو في مصبه. كما جعلها آخرون في المحيط الأطلسي مقابل ساحل موريتانية[٤] وهناك بني رباطا للعبادة والتعليم وكان أغلب تلاميذه من لمتونة، وهي فخذ من قبيلة صنهاجة ولما بلغ عدد تلاميذه ألف شخص قادهم سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م وسماهم المرابطين باسم المكان الذي رابطوا فيه، وبدأ حركة الجهاد ضد القبائل الوثنية. ثم توفي في إحدى المعارك التي خاضها ولكن الحركة لم تمت بعده إذ

---

(١) مجهول: الحلل الموشية، ٩-١٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ١٢٢. وانظر آرنولد: ٣٥١، نعيم قداح، ٣٠. عامر النجار: الطرق الصوفية، ١٤٠.

(٢)التادلي: التشوف، ٦٦.

(٣) مجهول: الحلل الموشية، ٩، محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان، ٧٤.

(٤) آرنولد: ٣٥١، نعيم قداح، أفريقيا، ٣٠، محمد عبد الكبير العلوي، علماء شنقيط والمذهب المالكي، ضمن كتاب ندوة الإمام مالك، ٢٢٥/١.

واصل تلاميذه وأنصاره الزحف نحو الشمال وكان توسعهم على حساب الدولة الغانية. فاستولوا على مدينة (أودغست) وفي عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م طردوا الأسرة الحاكمة الغينية عندما استولوا على العاصمة غانا (كومبي). ومن ثم سيطروا على البلاد فأسلم كثير من سكانها.[١] وقد انقسم جيشهم إلى قسمين قسم بقيادة الأمير أبي بكر ابن عمر اللمتوني في الصحراء، وآخر سار شمالا بقيادة يوسف بن تاشفين إلى مراكش ليصبح من بعد سلطانا على المغرب الأقصى. ويكون تحت إمرته الكثير من سكان بلاد غانة والصحراء فضلا عن المغاربة الذين سيساهمون في قيام إمبراطورية المرابطين. وفعلا اشترك مع جيشه ٤٠٠٠ مقاتل من بلاد السودان عند عبوره إلى الأندلس وشارك في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م [٢].

أما القسم الذي بقي في بلاد غانة من جيش المرابطين فإنه أخذ يوسع الرقعة الجغرافية لبلاد المسلمين بعبور نهر السنغال والتقدم إلى جنوبه وإلى الممالك المحيطة بالمنطقة.

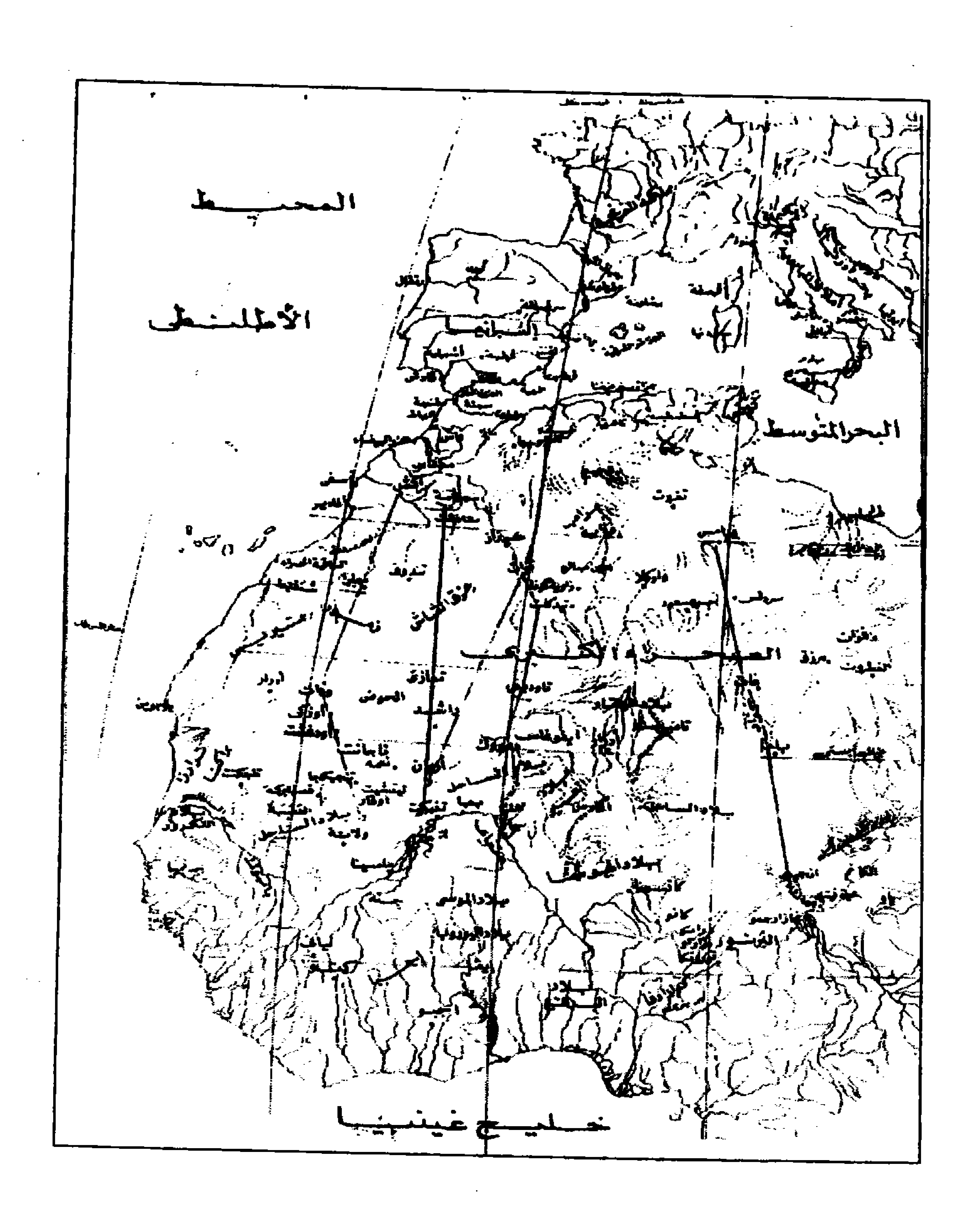
وفي عهد المرابطين لعبت مدينتان على نهر النيجر دورا مهما في تقدم الإسلام في السودان الغربي أحدهما جني (بتشديد النون كما رسمها المؤرخ السعدي) Genne، وكانت قد تأسست قبل قيام دولة المرابطين عام ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣-١٠٤٤م وقد أسلم كنبرو Kunburu حاكمها حوالي عام ١٢٠٠م نهاية القرن السادس الهجري، فحذا حذوه سكان المدينة التي قدر لها أن تصبح مراكزا تجاريا فضلا عن كونها مركزا علميا. والأخرى تنبكت (قد تكتب تمبكتو Timbuktu) وقد اسست في عهد المرابطين عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م وكانت تنبكت إلى جانب شهرتها التجارية مدينة إسلامية منذ البداية[٣].

---

(١) مجهول، الحلل الموشية، ١١، آرنولد، ٣٥٤.

(٢) البكري: المغرب، ١٧٢-١٧٤.

(٣) السعدي: تاريخ السودان، ١٢-١٣.


المحيط
الأطلنطي
البحر المتوسط
خليج غينيا

ثم أصبحت مركزا دينيا يقصده الطلاب وعلماء الدين من المغرب والأندلس وطرابلس[١].

وفي القرن الثالث عشر الميلادي فقدت غانة اسمها حيث ضمتها دولة شعب المندنجو التي عرفت باسم مالي[٢].

**ب- إمبراطورية مالي( ٦٣٦هـ/ ١٣٣٨م) (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م):**

قامت هذه الامبراطورية بجهود شعب المندنجو واتسعت على جانبي نهر النيجر شرقا وغربا. وكان مؤسسها (كواي كيتا)، الذي مد سيطرته على قبائل الصوصو في الجنوب في منطقة الغابات، وعلى القبائل العربية والصنهاجية في الشمال. ثم خلفه (ساندياتا أو سنديانة) في الفترة ٦٢٨- ٦٥٣هـ/ ١٢٣٠-١٢٥٥) الذي أرسى قواعد دولة مالي وعند قيامها كان الدين الإسلامي هو الدين الأقوى والأوسع انتشارا.[٣]

وفي عهد (سنديانا) تم تخريب ما تبقى من عاصمة غانة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م). وقد اتخذ عاصمة جديدة هي نياني بعد أن ترك العاصمة القديمة جريبة في كنجابة. واحتلت نياني مكان غانة من حيث الشهرة. وتقع نياني على الشاطئ الأيسر لنهر سنكراني في النيجر الأعلى. وإلى الشمال الشرقي من جريبة العاصمة القديمة- وهي اليوم قرية صغيرة.[٤]

وفي عهد (موسى) ٧١٢-٧٣٨هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م بلغت دولة مالي ما بين شواطئ المحيط الأطلسي غربا إلى منطقة شرق النيجر حيث تقع مناجم النحاس في تكدة مركز القوافل. ومن مناجم الملح في تغازة شمالا (جنوب المغرب الأقصى) إلى جبال فولتاجالون ومناجم الذهب في ونقارة جنوبا، وبذلك تعدت منطقة الغابات

---

(١) السعدي: ٢١، آرنولد، ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) د. عبد الرحمن زكي، ٣٣.

(٣)د. محمد الغربي: ٤٦-٤٧.

(٤) د. عبد الرحمن زكي: ٩٧، ٩٨ .

الاستوائية أي أنها ضمت داخل حدودها مناجم الذهب والنحاس والملح وتحكمت في طرق القوافل التجارية بين هذه المناجم شمالاً وجنوباً.[1] وكذلك مدينة تنبكت التي نافستها في شهرتها التجارية والثقافية وفي أيام هذا السلطان انتعشت التجارة والعلوم.[2]

وقد قام السلطان موسى برحلة إلى الحج عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م يتبعه موكب ضخم من رجال دولته. وقد جلب هذا الموكب انتباه المؤرخين فسجلوه لكونه من الأحداث المشار إليها[3]. وقد اصطحب في عودته من الحجاز الشاعر المهندس أبا اسحق إبراهيم الساحلي ليكلفه ببناء عدة قصور في مدن مالي وكذلك اصطحب الفقيه أبا عبدالله الكومي الموحدي من غدامس إلى بلده ليستفيد من ثقافته وخبرته.[4] وقد اشترى هذا السلطان عند عودته من مصر جملة كتب أخذها إلى بلاده، كما استصحب معه بعض فقهاء مصر. فنشطت العلاقة بين مصر وبلاد مالي التي كان يطلق عليها اسم بلاد (التكرور). وقد أصبح لأهل التكرور حي يسمى (بولاق التكرور) كما خصص أحد أروقة الأزهر لعلماء التكرور، فضلاً عن العلاقة التجارية بين البلدين[5].

دب الضعف في دولة مالي، وكانت دولة سنغاي خاضعة لها ثم استغلت فترة ضعفها لتستقل عنها على يد (سن علي) ١٤٦٤-١٤٩٧م، ومنذ عهده بدأت سنغاي تدخل في طور الإمبراطورية على حساب الإمبراطورية المنقرضة. آخذة عنها كثيرا من أنظمتها الإدارية والاجتماعية، ولكنها كانت أكثر منها تفتحها على الخارج فنالت من الازدهار أكثر مما نالت دولة مالي[6].

---

(١) د. إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية : ٦، ٧٦، ٧٧، ٧٩.

(٢) د. عبد الرحمن زكي: ١٠٦.

(٣) انظر ابن خلدون: العبر، ٤٣٤، القلقشندي: مج ٥، ٢٨٩، ٣٠٠. المقريزي: السلوك ج٢/ق١، ص ١١٢.

(٤) نعيم قداح: ٥٣-٥٤.

(٥) المقريزي: المواعظ ١٣١/٢، ط بولاق.

(٦) د. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي: ٢٥.

### جـ-دولة سنغاي (سنغي) ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م - ١٠٠٠هـ/١٥٩١م:

يرجع تكوين هذه الدولة إلى القرن الخامس أو السابع الميلادي حيث قدم بربر صنهاجة إلى شرق النيجر وأسسوا مملكة بيضاء حول مدينة كوكيا، وأن أميراً بربرياً اسمه ضياء بن قيس أو ضياء اليمن هو الذي أحدث هذه الدولة واعتنق زا الرابع عشر من تلك الأسرة الإسلام، وكان اسمه (كنكن) سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م وفي عام ١٠١٠م استولى على مدينة (غاو) أي قبل مجيء المرابطين.

وقد انتهت المرحلة الأولى من حياة هذه الدولة مع ظهور قوة مالي واتساعها وسيطرتها على جميع المدن الواقعة على نهر النيجر ومن بينها كاغ (غاو). وقد تعاقب على حكم هذه الدولة واحد وثلاثون أميراً. وكان تجار السونغاي خلال ذلك العصر سادة التجارة بفضل سوق كاغ (غاو)، وكوكيا.

وعلى العموم أخذت إمبراطورية السونغاي شكلها الكامل في عهد أسرة الأسكيين ٨٠٠-١٠٠٠هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١، وخاصة في عهد اسكيا الحاج محمد (١٤٩٣-١٥٢٨) إذ شمل نفوذها في عهده ما بين شمال جمهورية نيجريا الحالية إلى شواطئ المحيط الأطلسي غرباً، ومن ولاية تغازة في الشمال إلى مناطق الغابات الاستوائية وبذلك جاوزت حدود دولة مالي.(١)

وقد خضعت لهذه الإمبراطورية الجديدة ما بقي من قوات مالي وقبائل الفولة (الفولانيين) في الغرب والطوارق والبربر في الشمال، ومملكة موشى في الجنوب وبلاد الهوسا (الحوصا) في الشرق (شمال نجيريا)(٢).

وينسب القاضي كعت إلى الاسكيا الحاج محمد أمر تنظيم دولة سنغاي إدارياً، بوضع رسوم خاصة لمجلس الحكم وتسمية الوظائف والدرجات الإدارية، والرتب العسكرية، وإعطاء الحرية للقضاة (٣).

---

(١) السعدي: تاريخ السودان، ٣، ٤، ٥. وانظر د. محمد الغربي : ٥٣، د. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية: ٢٢٣.
(٢) د. عبد الرحمن وكي: ١٤٣، د. محمد الغربي: ٥٣،٥٥.
(٣) كعت: الفتاش، ١١، ١٤٥، ١٧٩، ١٨٥.

وسار ملوك سنغاي على طريقة ملوك مالي في الحج واستصحاب الأعداد الكبيرة من العلماء والفقهاء والأعوان كما فعل ألاسكيا الحاج محمد عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م.

إن الاسكيا الحاج محمد بعد أن أدى فريضة الحج أصبح يلقب بأمير المؤمنين وحاول أن يجد لنفسه نسباً إلى الإشراف فلم يسعفه الحال فأوجد له نسباً إلى الأنصار عن طريق أمه[1]. وكان كثير من حكام الدول في إفريقيا يدّعون النسب الشريف شأنهم في ذلك شأن مشايخ الصوفية.

وكان الاسكيا الحاج محمد قد اتصل بالحجاز بأمير مكة الذي ألبسه العمامة الخضراء وسماه الإمام. والتقى في طريق رجوعه في مصر بالعالم الكبير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي وساله عن أمور فقهية أراد الاستعانة بها في حل بعض الأمور في بلده.[2] ونظراً لما قام به من أمور كثيرة لمصلحة دولته سياسياً وثقافياً واقتصادياً فقد أصبح له مكانة كبيرة في نفوس مواطنيه الذين نسبوا إليه الكرامات.[3]

وفي عهد هذه الدولة قدمت عدة مدن فيها نشاطا ثقافياً وحضارياً بارزاً وهي:

١- **العاصمة كاغ (جاو)**: والتي مرت الإشارة إليها من قبل تقع هذه المدينة على الضفة اليسرى نهر النيجر حيث يلتقي بوادي تلمسي الذي يبدأ من الصحراء. أما المدن الصغيرة العربية من العاصمة مثل تادمكة (أي مكة الجديدة) فكانت على مسيرة عدة أيام - بمقاييس الرحالة- فوق وادي تلمسي في إقليم أكيلي، والتي عرفت عند العرب بالسوق- والتي تحولت منذ قرون إلى أطلال- وكانت لها علاقة تجارية مع القيروان، وغدامس في الشمال وبالسودان في الجنوب. وكان الذهب الخام عملة التداول. وإلى الشرق من كاغ في الصحراء كانت تكدا بلدة النحاس وهكذا برزت كاغ لكونها أصلح بلدة تجارية في السودان الغربي.[4]

---

(١) م.ن: ٥٩.

(٢)م.ن: ١٢،١٣.

(٣) م.ن: ٥٩، ٩٤.

(٤) د. عبد الرحمن زكي: ١٣٤.

وقد توسعت هذه المدينة وعندما أحصيت دورها من أول بيت بمغربها إلى انتهاء البنيان من جهة المشرق كانت سبعة آلاف دار وستمائة وستاً وعشرين عدا البيوت المبنية بالحشائش(١).

٢- **تنبكت**: (وتكتب تنبكتو) وتقع على منحنى نهر النيجر أصبحت عاصمة علمية يقصدها طلاب العلم والعلماء من البلاد العربية. وأصبح جامع (سنكري) ذا مكانة عظيمة في غرب أفريقيا. وتوطدت العلاقة ما بين تنبكت والمشرق وكذلك تنبكت والمغرب الأقصى. وكان أثر المغرب الأقصى أكثر وضوحاً حيث أصبح مذهب مالك هو المذاهب الشائع في البلاد. وقد خلد هذه المدينة المؤرخان السودانيان القاضي كعت في كتابه (الفتاش)، والسعدي في (تاريخ السودان) وذكرا من أعلام الثقافة الإسلامية فيها عدداً وافراً منهم اندغا محمد الكبير، والإمام المغيلي التواتي، وسيدي يحيى التأدلسي وأحمد بابا التنبكتي الذي تعدت شهرته بلاد السودان إلى الأقطار العربية مغرباً ومشرقاً، فضلاً عن المؤرخين المشار إليهما كعت والسعدي.

٣- **جني**: وكانت المدينة الثالثة التي برزت بشكل بين في عهد دولة سنغاي وكانت تقع على نهر النيجر باتجاه الجنوب وقد لعبت دوراً ثقافياً بارزاً. فكان طلبة العلم يأتون إلى مساجدها وقد قدم السعدي صوره حية عنها في تاريخه، ووصف مجالس الناس لسماع الختمات في المساجد الجامعة يوم الجمعة، ومجالس ختمات كتاب صحيح البخاري، أو كتاب الشفا للقاضي عياض.

والجدير بالذكر أن اللغة العربية أصبحت اللغة الرسمية في البلاد، واللغة العلمية وأصبح للقضاة والعلماء دور بارز في حياة الناس الاجتماعية والسياسة.(٢)

---

(١) كعت: الفتاش: ١٤٦.

(٢) د. محمد الغربي: ٥٣.

أما صلة بلاد المغرب الأقصى ببلاد السودان الغربي فإنها لم تتوقف فبعد قيام دولة الموحدين فقد كان انطلاقها من رباط أيضاً حيث انبرى المهدي بن تومرت يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجمع حوله الجموع في زاويته في تينمل في قبيلة كندامة وكان يرافقه عبد المؤمن أحد أتباعه العشرة وذلك سنة ٥١٤هـ/ ١١٢١م. ثم أعلن دعوته فتبعته القبائل. وأخذ بالتوسع على حساب دولة المرابطين.[١] وقد استطاع دعاته أن يجذبوا إلى الإسلام بعض القبائل التي كانت بعيدة عن هذا الدين حتى ذلك الحين. إذ قرب مؤسس دولة الموحدين إلى العامة. عقائد هذه الطائفة في التوحيد، والتي تمسكوا بها وكان ذلك عن طريق ما ألفه باللغة البربرية وشرح فيها قواعد الإسلام الأساسية من وجهة نظرة الخاصة[٢].

ولم تعد بلاد السودان (غرب إفريقيا) بمعزل عن المغرب الأقصى والدول القائمة فيه، فكانت الصلات الودية والمحالفات من أجل تأمين طرق التجارة مع الموحدين والمرينيين ثم زادت هذه الصلة في عهد السعديين فانتقلت خلال ذلك الحضارة المغربية فكراً وصناعة وأسلوب حياة إلى السودان.[٣]

وانتهت دولة سنغاي على يد الدولة السعدية حيث أرسل سلطانها المنصور الذهبي حملة عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م، دخلت العاصمة كاغ سنة ٩٩٩هـ بعد قتال ضار بين الجانبين لتصبح بعدها دولة سنغاي تابعة لسلطان المغرب الأقصى إلى عام ١٠٣٨هـ/ ١٦١٨م عندما أمر السلطان زيدان بانسحاب بقايا جيشه من السودان. وكان عدد من عاد حوالي ٥٠٠ رجل بينما بلغ عدد الجند المرسلين إلى السودان حوالي ٢٣ ألف رجل[٤].

---

(١) عبدالله الجراري: الصوفية، ٧٥.

(٢) ابن أبي زرع: ١٧٧، ١٧٨، آرنولد: ٣٥٣.

(٣) انظر د. محمد الغربي: ٤١٧، ٤٩١، ٥٠٧.

(٤) د. عبد الرحمن زكي: ١٣٤، وقد خصص الدكتور محمد الغربي كتابه (بداية الحكم المغربي) لدراسة هذه الفترة.

وبعد سيطرة الجيش المغربي على سنغاي صارت هذه البلاد قسمين قسم يحكمه حاكم اتخذ من مدينة تنبكت مقراً له، وهو خاضع للسلطنة المغربية. والقسم الآخر يحكمه حاكم من أهل البلاد ظل في نزاع مع المغاربة ووقعت بينه وبينهم حروب طويلة.

إلا أن العلاقة السودانية العربية زادت وتوثقت بعد ذلك وتشابكت وشائج الحضارة، بعد أن امتدت التأثيرات المغربية إلى بلاد السودان حيث أن الحماس الديني الذي كان يحمله المشاركون في الحملة المغربية لا سيما الأندلسيون المطرودون من بلادهم، فضلاً عن الدعاة والصوفية الذين لحقوا ببلاد السودان. لذلك تطورت اللغة العربية، وإن شاع فيها بعض مفردات اللهجة المغربية المحلية.

وقد أجاز العلماء وأصحاب الفتيا للمدرسين أن يتحدثوا للجمهور بعد أداء الخطبة بالفصحى، حديثاً ملخصاً بإحدى اللهجات المفهومة، أو يترك للترجمان أمر نقل ما ألقاه الشيخ إلى الحضور بإحدى لغات السونغاي.

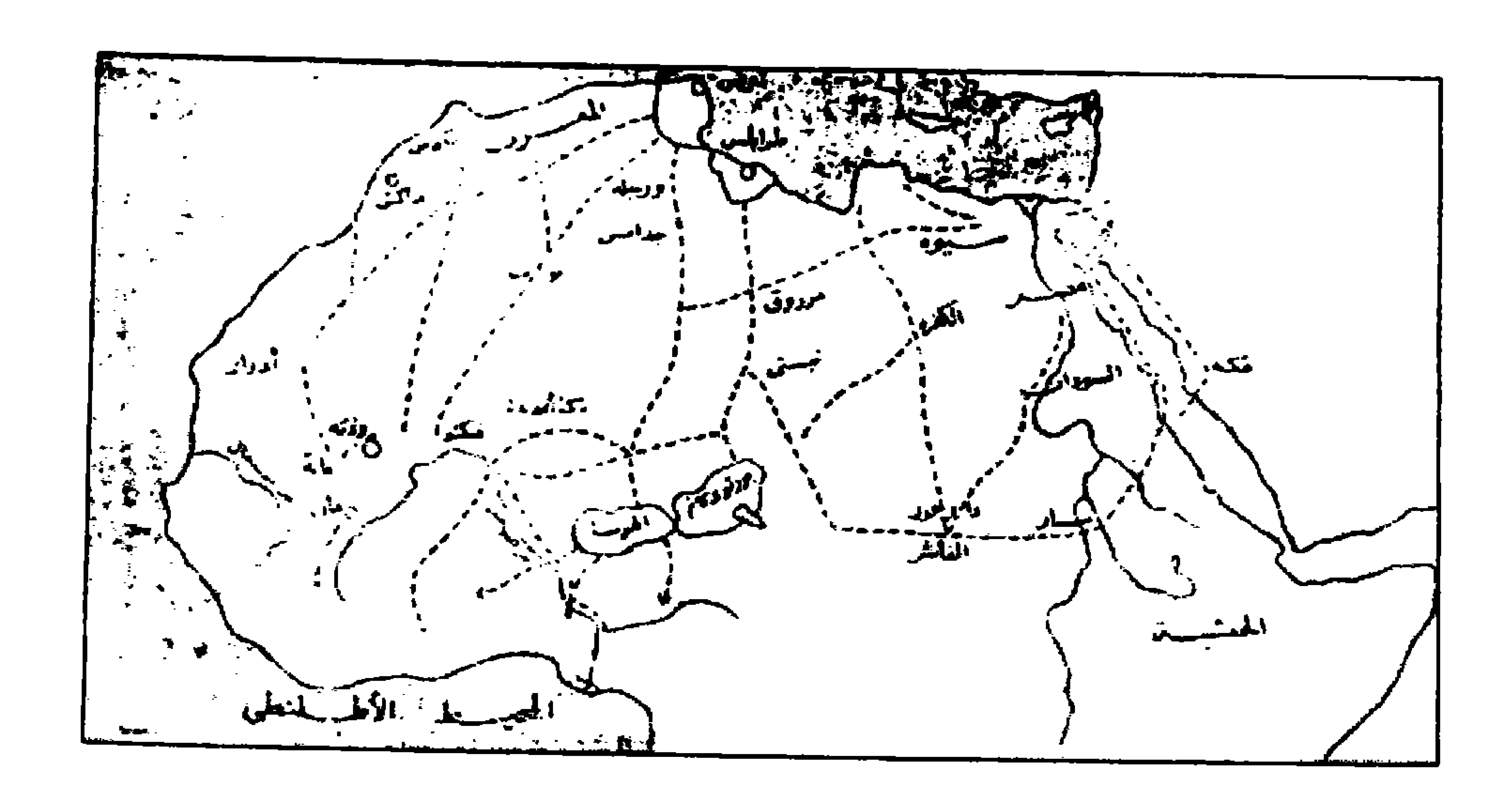
و لم تعد المدارس وقفاً على أبناء العلماء أنفسهم أو على عدد قليل من الطلبة يتفق عليهم القاضي من أموال الوقف أو من مداخيله المحدودة بل أصبح التعليم بجميع أطواره مفتوحاً أمام كل راغب في تحصيله والجلوس له.

وقد ذكر السعدي أن تنبكت استعادت نشاطها بعد أن أصابها الاضطراب وعادته سابق عهدها مناراً للعلم تعج بالطلبة الذين كانوا يهاجرون إليها من كل أنحاء القارة الإفريقية.

وكانت حوانيت الوراقين (قريبة من جامع سنكري) وفيها تستنسخ الكتب للطلبة أو للفقهاء سواء كانت تلك الكتب المؤلفة في البلاد العربية أو المؤلفة عليها.

وقد ظهر كتاب وفقهاء ومؤرخون سودانيون. كما برز أدباء وشعراء أعطوا الحركة الفكرية وفقا جديداً أو نفسا جديداً[1].

(١) انظر ص١١٩، فما بعدها.




**سبل الاتصال بين شمال إفريقية ودول غرب إفريقية فيما بين القرنين الخامس والثالث عشر**

وكانت حوانيت الوراقين (قريبة من جامع سنكري) وفيها تستنسخ الكتب للطلبة أو للفقهاء سواء كانت تلك الكتب المؤلفة في البلاد العربية أو المؤلفة محلياً.

وقد ظهر كتاب وفقهاء ومؤرخون سودانيون أمثال القاضي كعت، والسعدي، وصاحب كتاب تذكرة النسيان. وأحمد بابا التنبكتي الذي ألف في تراجم السودانيين مكملاً طبقات المالكية قبله وموصلا علماء بلاده ببلاد العرب المالكية الأخرى.

كما برز أدباء وشعراء أعطوا الحركة الفكرية رفقاً جديداً أو نفساً جديداً.(١)

---

(١) د. محمد الغربي: ١٣، ١٨، ٢٠، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢ وانظر د. زبادية: القرن ١٦، وحركة التعليم في تنكبتو مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب- ص٢٠٥، فما بعدها، المؤرخ العربي، عدد ١٤ سنة ١٩٨٠.

### د- إمبراطورية كانم - برنو:

كانت كانم تقع إلى شرق بحيرة تشاد، وبرنو في غربها وقد قامت الإمبراطورية أولاً في بلاد كانم وامتدت إلى بلاد برنو فانتقل مركز الحكم في بلاد برنو.

وقد قامت إمبراطورية كانم في القرن التاسع لتستمر حتى القرن الخامس عشر الميلادي (٨٠٠-١٣٠٠م) وكانت عاصمتها اندجامينا (انجيمي أو جيمي) وقد اعتنق الإسلام من ملوكها هومي (٤٧٨-٤٩١هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٧م) وقت تمركز المرابطين في غانا.[١]

وقد عاصرت هذه الدولة دولة غانة وشطراً في أيام دولة مالي ولعبت دوراً هاماً في تاريخ وسط أفريقيا. وقد اتسعت رقعتها في أزهى عصورها لتمتد ما بين نهر النيجر غرباً، والنيل شرقاً.[٢]

وقد طردهم من كانم أبناء عمومتهم البولالا فاستقروا في برنو واتخذوا عاصمة جديدة سميت بأسماء مختلفة حسب لهجة الأقوام الساكنين في المنطقة (كانما، كاجا، كاكا).[٣]

اعتمد شعب كانم على بعض الحرف ولا سيما الحدادة والتجارة. ولذلك لم يكونوا هدفاً لغزوات أهل الصحراء أو المغاربة فانفردوا بالسيادة على طرق القوافل الكثيرة المارة في شرق الصحراء وبين البحر المتوسط وتشاد.[٤]

إن الأسرة الحاكمة في كانم أولاً ثم في برنو ترجع إلى البربر الطوارق سواء كانت من الزغاويين أم من الماغرميين.[٥]

---

(١) د. محمد الغربي: ٦٧-٦٨.
(٢) د. عبد الرحمن زكي: ١٧٣.
(٣) إبراهيم طرخان: إمبراطورية برنو، ١٠١، ١٠٢.
(٤) د. عبد الرحمن زكي: ١٧٣.
(٥) د. إبراهيم طرخان: ٥٩.

وبعد أن انتقل مركز الحكم إلى برنو عاشت (الإمبراطورية كانم- برنو) ما بين ٧٠٠-١٣٥٥هـ/ ١٣٠٠-١٩٣٦م، امتدت من فزان شمالاً إلى ادماوا Adamawa وبحيرة فتري جنوباً، ومن نهر النيجر غرباً إلى وادي ودارفور شرقاً، بل امتدت آثارها إلى مشارق وادي النيل.(١)

وقد وصف دولة برنو القاضي كعت بقوله "إن صاحب برنو أحد سلاطين الدنيا الأربعة العظام- بعد أن استثنى سلطان استانبول- وعبارته "سلاطين الدنيا الأربعة نعني: السلطان الأعظم سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان برن، وسلطان مل".(٢)

وبذلك عمرت هذه الدولة اكثر من تسعة قرون. وأن هذه الدولة لم تبلغ ما بلغت إلا بعد أن صارت دولة إسلامية فقد أضحى الدين الإسلامي عصب قوتها الروحية والمادية. كما صارت اللغة العربية الرسمية في شتى مناحي الحياة من نظم حكم وإدارة واقتصاد وعلوم وفنون. بل أضحت اللغة العربية لغة التخاطب الدولية والمعاهدات بينها وبين غيرها من الدول سواء كانت داخل القارة الأفريقية أو خارجها.(٣)

جاء العرب للاستيطان في بلاد كانم -برنو في أوقات متفاوتة ومن أماكن مختلفة فبعضهم جاء من وادي النيل، وبعضهم من جهة الشمال الإفريقي وأقدم خبر عن وصولهم إلى بلاد كانم بعد سقوط دولة الأمويين.(٤) ولعل سير الهجرات الإستيطانية هذه لم تنقطع منذ قدم الإسلام إلى مصر وشمال إفريقيا.

وينقسم العرب المقيمون (الشوا، شوه أي الرعاة الرحل) كما سماهم شعب برنوا إلى مجموعات منها الحسانية وهم العرب الذين قدموا إلى حوض شاري عن طريق طرابلس، وجهينة، وقد جاءوا عن طريق حوض وادي النيل الأوسط وكردفان

---

(١)م.ن: ٤٤.

(٢) كعت: افتاش: ٣١.

(٣) د. إبراهيم طرخان: ٧.

(٤) البكري: المغرب: ١١، نعيم قداح: ٨٤.

ودارفور، وتدعى جهينة أنهم جاءوا من اليمن إلى مصر وانتقلوا إلى حوض النيل الأوسط في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ثم تقدموا غرباً عبر كردفان (في السودان الشرقي) إلى حوض شاري وأهم مجموعات هذه القبيلة السلامات، وخزام، وأولاد راشد والمسيرية، وغيرهم. وقد ساعدت السلامات بكثرة عددهم ملوك برنو في حروبهم شعب الصو[1].

وقد أدى اختلاط المهاجرين البيض من العرب والبربر وكذلك من الفولانيين (الفولة) بالوطنيين الزنوج إلى ضعف الصفات الزنجية النعبة وبخاصة في اللون. ولم يعد هناك جنس نقي محتفظ بصفاته الأصلية، وتضم منطقة تشاد ما لا يقل عن خمس عشرة لغة محلية متباينة.[2]

وقد قدم من فزان إلا بلاد كانم بعض العرب الذين يسمون أولاد سليمان بعد عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م وكانوا يتجولون من اير إلى أبشة، ومن بوركو إلى ايندي وهم يعيشون كعرب الشمال ويتكلمون لهجتهم هناك.

وهناك نوع آخر من العرب يسمى بالجعليين جاءوا من النيل وهم تجار يعرفون بالجلابة، وهناك التنجور وهم من أصل حام وقدوا من الأقطار النبلية وتكلموا العربية ثم اتجهوا إلى الغرب ويعيش غالبتهم في كانم إلا أن هناك آخرين يعيشون في برنو، ووادای، ودارفور.[3]

وبعد انتشار الإسلام فيها أصبحت جزءاً من بلاد الإسلام فانتشرت بها الحضارة الإسلامية، وارتبطت بعلاقات مع البلاد العربية والإسلامية، وقصدها العلماء[4] كما أن وفود حجاجها أصبحوا يمرون عن طريق مصر فأصبحت لهم علاقات مباشرة معها

---

(١) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الإفريقية، ٨٠.

(٢)د. إبراهيم طرخان: ١٩.

(٣) د. عبد الرحمن زكي: ٦١.

(٤) إبراهيم طرخان: ٧٢.

ومع شمال إفريقيا. كما أصبح لمايات (أي أئمة) برنو صلة بسلاطين مصر[1] ولهذا ادعى سلاطينها (أئمتها) النسب العربي ليكسبوا لأنفسهم مجداً بعد أن أصبحت دولتهم دولة كبيرة، وأصبحت صلاتهم وثيقة بالبلاد العربية. فالماي عثمان بن إدريس ٧٩٥-٨٢٨/ ١٣٩٢-١٤٢٤م، انتسب إلى سيف بن ذي يزن بعد أن جعله قرشياً وذلك في رسالة بعث بها إلى سلطان مصر برقوق سنة ٨١٢هـ/ ١٣١٢م، وجاء فيها بعد البسملة الحمد لله "من الملك المقدام القائم بأمر الرحمن.. الملك ابن إدريس الحاج أمير المؤمنين" ثم السلام على سلطان مصر وذكر الغرض الذي من أجله أرسل الرسالة قال: "نحن بنوسيف بن ذي يزن ، والد قبيلتنا القرشي كذا ضبطنا عن شيوخنا".[2]

وفي زمن الماي إدريس على (علومه أو الومة) المتوفي سنة ١٦٠٢م، سجل مؤرخ البلاد الإمام أحمد بن فرتوا هذا النسب وربطه بقريش وإشاعه[3] وذكر القلقشندي أن من مايات كانم من ادعى النسب العلوي من بني الحسن.[4]

كما أن مؤرخي الحوليات في كانم بدأوا في كتابة تاريخ ملوكهم بخلفاء بني أمية وانتهوا إلى عمر بن عبد العزيز. وجعلوا سلاطين كانم امتداداً لهم، وأهملوا تاريخ الخلفاء العباسيين والفاطميين.[5]

واتخذ بعض ماياتهم لقب الخليفة، وأمير المؤمنين، وأول من اتخذ لقب الخليفة وأمير المؤمنين الماي دونمة بن وابالا (ت حوالي ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) وقد سار على ذلك خلفاؤه.

وكان في عصره الملك الحفصي المنتصر ٦٤٧-٦٧٦هـ/ ٢٤٩-١٢٧٧م في تونس قد انتحل هذه الألقاب أيضاً.[6]

---

(١) القلقشندي ٥/٢٨١.

(٢)م.ن ٨: ١١٦-١١٨.

(٣) د. محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية: ٧٨، د. عبد الرحمن زكي: ١٨٥، ١٨٦.

(٤) القلقشندي ٥/٢٩١.

(٥) د. محمد محمد أمين: ٧٨.

(٦) د. إبراهيم طرخان: إمبراطورية برنو ١٥٢.

ولو أردنا أن نقارن حكومة هذه الإمبراطورية بحكومات غانة ومالي وسنغاي فإنها جميعاً متشابهة تمثل سيطرة طبقة حاكمة من أسرة معينة.

وقد تعرضت بلاد كانم - برنو لحركة الجهاد التي أعلنها شعب الفولة (الفولانيون) والتي استطاعت الاستيلاء على أقاليم بلاد الهوسا التابعة لبرنو[1].

ومنذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت حركة إرسال المكتشفين الأوروبيين الفرنسيين والإنجليز والألمان للتعرف على هذه البلاد ومن ثم استعمارها وتقسيمها ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م بين فرنسا وإنكلترا وألمانيا. وبعد المعارك الضارية خضعت البلاد للمستعمر وتلاشت إمبراطورية- برنو التاريخية ولكن حركات الكفاح الوطني ضد المستعمر لم تتلاشى حتى ظفرت بالاستقلال عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م وقد قسمت إلى الدول الحديثة التالية:- [2]

١- جمهورية تشاد: كانت مستعمرة فرنسية، وقد شملت الأجزاء الشرقية من إمبراطورية كانم- برنو لغتها الفرنسية والعربية، وعاصمتها اندجامينا.

٢- جمهورية إفريقيا الوسطى: كانت مستعمرة فرنسية. تضم الأطراف الجنوبية من إمبراطورية كانم - برنو، عاصمتها بانجوي (بانغي) ولغتها الفرنسية ولغات محلية أخرى.

٣- جمهورية النيجر: وتضم أغلب الأجزاء الشمالية الغربية من إمبراطورية كانم- برنو، ولغتها الفرنسية والعربية بجانب لهجات محلية- عاصمتها نيامي.

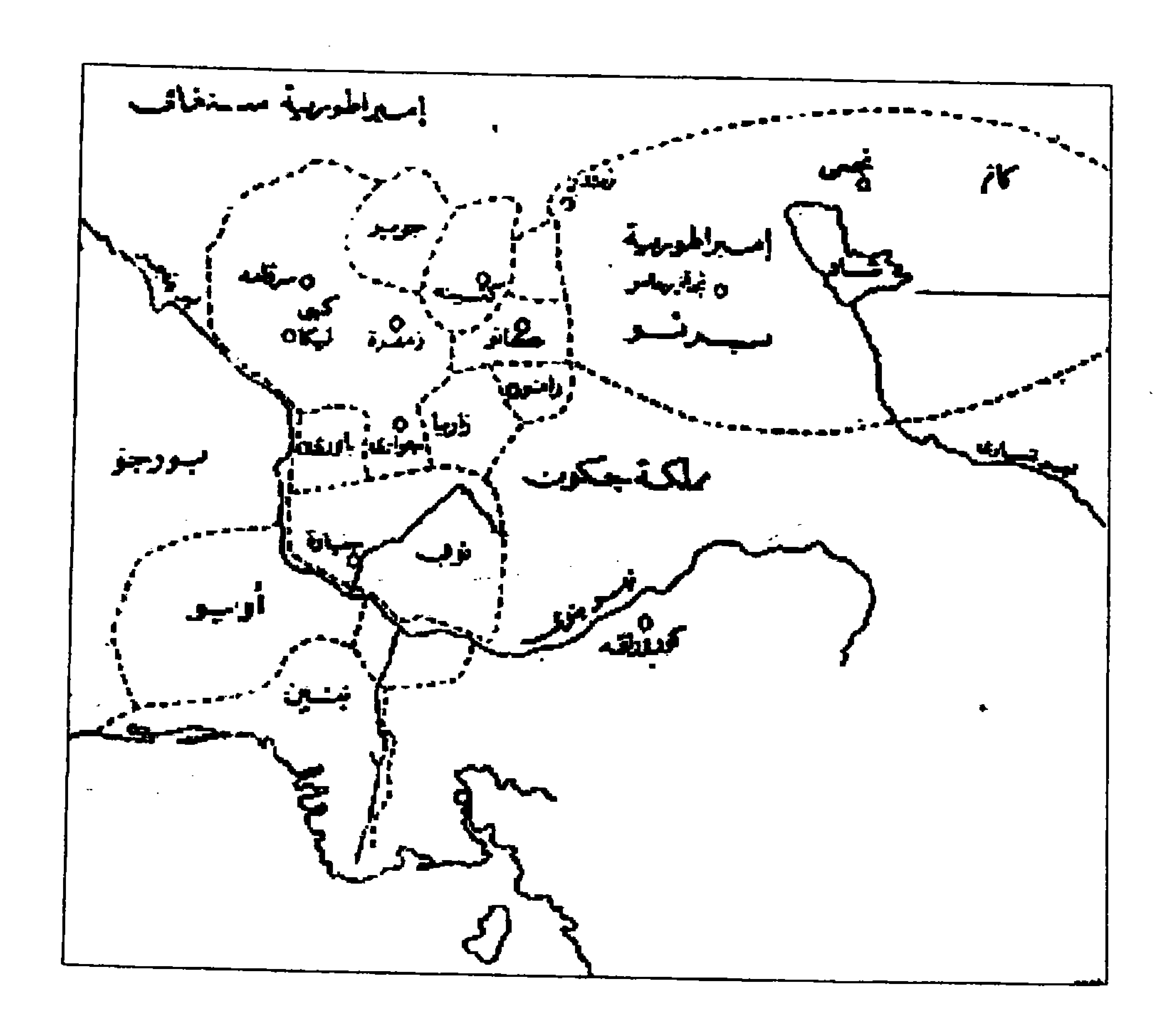
٤- جمهورية نيجيريا: كانت مستعمرة بريطانية، تضم إقليم برنو الأصلي الغربي (غرب بحيرة تشاد)، كما تضم جميع بلاد الهوسا، لغتها الإنجليزية، وفي المدارس العربية الإسلامية تستعمل اللغة العربية - عاصمتها لاجوس.

٥- جمهورية الكمرون: كانت مستعمرة فرنسية، تضم الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من كانم-برنو وقد انضمت الأجزاء الشمالية منها ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م إلى اتحاد نيجريا. اللغة السائدة فيها الفرنسية بجانب العربية واللهجات المحلية. العاصمة دوالا .

---

(١) د. عبد الرحمن زكي: ١٨٦-١٨٩.

(٢) د. إبراهيم طرخان: ١٤٢-١٤٨.




إمبراطورية كانم وبرنو وممالك الهونيا

عن كتاب (د. عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول السودانية في غرب إفريقيا).

### هـ- دويلات بلاد الهوسا (الحوسا):

قامت هذه الدويلات منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وهي: داورة، كانو، كراك، جوبير (غوبر)، كاسينا (كاتسينا)، رانوا، انغارا، زرية، وكانت تحد شمالا بصحراء أكداس (جزء من الصحراء الكبرى)، وشرقا ببرنو، وجنوبا نهر بوناوي والبلاد الساحلية لخليج غانة، وتوجو، وداهومي وبنين، والكمرون.[1]

ومن الغرب ثنية نهر النيجر. وكان سكان هذه الدويلات يقومون بالزراعة والصناعة والتجارة عبر الصحراء الكبرى. وقد دخل الإسلام بلاد الهوسا (الحوصا) منذ أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بواسطة تجار المادينغ الغانيين وبقيت البوادي على وثنيتها فأصبحت هدفا لحملات الجهاد التي قام بها ملوك مالي والسنغاي.[2]

ثم حصلت هجرة من قبائل الونقارة الذين ربما كانوا من الفولة الوافدين من مالي فجلبوا معهم عقيدتهم الإسلامية، فاعتنقها أهل (كانو) ثم شيدت المساجد، وزاد عدد الداخلين في الإسلام، وقد حملهم حماسهم إلى القيام بحركات جهاد في الجنوب إلى نهر بنو أوائل القرن الخامس عشر. وفي عهد الملك يعقوب التاسع ٨٥٦-٨٦٨هـ/ ١٤٥٢-١٤٦٣م)نشطت هجرة كبيرة من ونقارة الآتية من مالي لتلك الدولة التي كانت تسير نحو نهايتها أمام ضغط دولة سنغاي الفتية فتركوا بلادهم نحو الشرق حاملين امتعتهم وكتبهم فنزلوا بلاد الهوسا. ثم جاءت إليهم طوائف من عرب الشمال كما لجأ إليهم رجال قبائل الصحراء. فأنعشت تجارة الملح ونما تبادل التجارة بين كانو وديار الجنوب، وقصد كانو وكاتسينا الزوار. كما ازدهرت العلوم الدينية في مساجدها.[3]

وقد أدت الفولة دورا في نشر الإسلام في برنو، كما ظهر علماء من بلاد برنو قاموا بتدريس العلوم الإسلامية والعربية وادعوا أنهم من سلالة عربية وأوجدوا لهم نسبا يرتبط بـ (عقبة بن نافع، أو عقبة بن عامر).[4]

---

(١) د. عبد الرحمن زكي: ١٩١، د. محمد الغربي: ٦٩.

(٢) د. محمد الغربي: ٦٩.

(٣) د. عبد الرحمن زكي: ١٩٤.

(٤) د. إبراهيم طرخان: ١٢٩.

ثم أحرزت بلاد الهوسا تقدماً في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي عقب حركة الجهاد التي قام بها شعب الفولة واستيلائهم على البلاد.[1]

بدأت حركة الجهاد هذه عند ظهور زعيم فولاني هو الشيخ عثمان دان (أي ابن) فودي (أو عثمان دان فوديو ١١٦٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٥٤-١٨١٧م، وهو فقيه عالم ينسب إلى عشيرة تورنك (طرونكة أو طوروبو)، من حوض السنغال. وكان قد تحرك فرع من هذه العشيرة إلى أدامادا في حوض نهر بنوي الرافد الشرقي لنهر النيجر، وهناك اتجه فرع إلى جوبير وهي إحدى دول الهوسا الوثنية وعرف باسم تورك جوبير، وكان هذا الفرع من أشد فروع الفولانيين تحمساً للإسلام. وهو على المذهب المالكي وفي هذه المنطقة أسلم كثير من الهوسا والتقوا حول الفلانيين وتزعم هذا الفرع الفقيه عثمان بن فودي.

ولد الشيخ عثمان في كويني Kwonni وتلقى علومه الإسلامية على أبيه وأخذ عنه الكثير، وقد ذهب إلى الحج وتعرف على الحركة الرحابية هناك فلما عاد يتجول في بلاد الهوسا داعياً إلى نبذ البدع والتمسك بالمبادئ الصحيحة للإسلام، ثم أخذ ينمي جيلاً من الدعاة للغرض نفسه[2]. وهكذا انتشرت حلقات الدرس في كل بلاد الهوسا حتى كان عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م حيث بدأ الصدام بين اتباع الشيخ عثمان والسلطة القائمة في جوبير. وفي عام ١٧٩٥ دعا الشيخ اتباعه لحمل السلاح وبداية حركة الجهاد، وأعلن نفسه (ساركين مسلماني) عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م Sarkin Musulmani أي أمير المؤمنين واستقر في مدينة سكتو (سكوتو).

وقد توسعت دولته على حساب إمبراطورية كانم- برنو[3] واستطاع ضم دويلات الهوسا المتفرقة إلى دولته بعد أن خلع سلاطينها، وعين عمالاً يخضعون

(١) د. عبد الرحمن زكي: ١٩١.

(٢) محمد بللو: اتفاق الميسور ٦٠، ٦١، د. شوقي الجمل (عثمان دان فوديو وسياسة الجهاد الإسلامي مجلة البحث العلمي- العدد ٢٦سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(٣) لقد تبادل الشيخ عثمان وابنه أحمد بلو الرسائل مع الحاج الأمين بن محمد الكانمي الذي احتج على مد نفوذ حكم. الشيخ عثمان إلى بلاد كانم- برنو، وتناقشوا في رسائلهم عن أسباب قيام الصراع بينهم. انظر محمد بلو: اتفاق، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٠- ١٩٨.

لسلطان عاصمته سكوتو، وساعدت دولته على اندماج قبائل الهوسا بالفولة. أي الحاكمين بالمحكومين. وأخذوا يوسعون دولتهم نحو الجنوب حاملين الإسلام معهم إلى الربوع المجاورة مثل توجولاند، ادموه، وكمرون.[1]

وقبل وفاته قسم البلاد بين ابنه (السلطان محمد وبلو) وأخيه عبدالله واستمر يؤلف ويكتب فضلاً عن كونه قائداً سياسياً ثم توفي الشيخ عثمان عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. ولحقه أخوه الذي توفي بعد ذلك بقليل، فانفرد بلو بالحكم.[2]

قنع الشيخ عثمان بالزعامة الروحية متخذاً من سكوتو مركزاً للدعوة. كما أخذ يؤلف الكتب[3]، لأحياء السنة والقضاء على البدع والخرافات، وعمل على منواله في التأليف عبدالله، وابنه محمد بلو، وابنته نانا أسماء بقصد إيضاح المبهم لدى الناس. وكانت مجالات نشاطهم الفكري نظماً ونثراً في اللغة والفقه والأدب والسياسة والاجتماع والتاريخ. فكتبوا في السياسة لتأسيس دولتهم ومساعدة الولاة والأئمة والحكام في تسيير أمورهم، وكتبوا الكثير للرد على الأسئلة التي وجهت إليهم. كما كتبوا في الموضوعات المشار إليها للطلاب والمريدين.

وكانت مؤلفات الشيخ عثمان تنيف على مائة مؤلف[4] يوجد منها الآن مجاميع في المراكز العلمية في دولة نيجريا الاتحادية. ومن مؤلفاته.

١- أجوبة محررة عن أسئلة مقررة.
٢- إحياء السنة وإخماد البدعة.
٣- أخلاق المصطفى ﷺ .
٤- إرشاد أهل التفريط والإفراط.
٥- إرشاد الأخوان إلى أحكام الأمان.
٦- إرشاد الأخوان إلى أحكام خروج النسوان.

---

(١)د. عبد الرحمن زكي: ١٩٢، د. إبراهيم طرخان: ١٢٩.
(٢)محمد بلو: اتفاق الميسور: ٢١٣، حسن إبراهيم: انتشار الإسلام: ٥٥.
(٣)عبد الرحمن زكي: ١٩٢.
(٤)محمد بلو: اتفاق الميسور: ٢١٠، وانظر نشرة المخطوطات العربية في نيجيريا الاتحادية التي أعدها الطيب عبد الرحيم محمد، ونشرها معهد المخطوطات العربية ١٩٨٥م.

٧- إرشاد السالك الرباني إلى أحوال الشيخ عبد القادر الجيلاني.
٨- أسانيد الفقير.
٩- أسانيد الضعيف.
١٠- أصول الدين.
١١- أصول العدل لولاة الأمور.
١٢- إعداد الداعي إلى دين الله.
١٣- إفحام المنكرين.
١٤- اقتباس العلم.
١٥- أمر الساعة.
١٦- الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين.
١٧- أم هانيء.
١٨- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في الملة المحمدية.
١٩- بيان وجوب الهجرة على العباد.
٢٠- تبصرة المبتدي في أمور الدين وتذكرة المنتهي.
٢١- تحذير الأخوان من إدعاء المهدية آخر الزمان.
٢٢- تحقيق العصمة.
٢٣- ترغيب عباد الله في حفظ علوم دين الله.
٢٤- التفرقة بين علم التصوف للتحقق وبين علم التصوف للتخلف.
٢٥- تلخيص كتاب الحارث المحاسبي.
٢٦- تمييز أهل السنة.
٢٧- تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة.
٢٨- تنبيه المسلمين من الكافرين.
٢٩- تنبيه الفاهم على حكم مدة الدنيا وخلق العالم.
٣٠- تنبيه الأخوان على أحوال أرض السودان.

٣١- تنبيه الأخوان على جواز اتخاذ المجالس لأجل تعليم النسوان فروض الإيمان.

٣٢- تنبيه الطلبة في أن الله معروف بالفطرة.

٣٣- الجهاد (لعله: إرشاد العباد إلى أهم مسائل الجهاد).

٣٤- حصن الإفهام من جيوش الأوهام.

٣٥- حكم جهاد بلادهوسا.

٣٦- رجوع السنوسي عن التشديد في التقليد (لعله نفسه: رجوع السنوسي عن التشديد في عقائد التوحيد).

٣٧- سراج الأخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان.

٣٨- سوق الصادقين لحضرة القدس.

٣٩- السلاسل الذهبية للسادة الصوفية.

٤٠- شمس الأخوان يستضيئون بها في أصول الأديان.

٤١- شفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل.

٤٢- العقل الأول.

٤٣- علوم المعاملة.

٤٤- عمدة العباد فيما يدان به لرب العباد.

٤٥- عمدة دعوة العباد إلى كتاب الله (لعله: عمدة دعوة العبادات في كتاب الله).

٤٦- عمدة البيان.

٤٧- عمدة العلماء.

٤٨- عمدة المتعبدين والمنحرفين.

٤٩- فتح البصائر بتحقيق وضع علوم الظواهر.

٥٠- الفرق بين علم الكلام وعلم أصول الدين.

٥١- الفتاوي للسائل.

٥٢- قواعد الإسلام من الأحاديث والقرآن.

٥٣- المحظورات.

٥٤- المسائل المهمة.

٥٥- مرآة الطلاب.

٥٦- نصائح الأمة (لعله: تقريب ما يجب على الأمة).

٥٧- نور الأولياء.

٥٨- الأمامة الأمانة وإقامة الجهاد.

٥٩- الهجرة.

وفضلاً عن كونه فقيها فإنه كان لغوياً أديباً فقد خمس همزية البوصيري، وقصيدة بانت سعاد. والبردة، كما جمع حوله العلماء.

أما أخوة عبدالله فكان فقيهاً، مفسراً، مقرئاً، نحوياً، لغوياً ومحدثاً قوي الحجة ومؤلفاً لعدد من الكتب منها:

١- ألفية الأصول .

٢- بحر المحيط في النحو.

٣- تزيين الورقات.

٤- تفسير ضياء التأويل.

٥- ضياء السياسة.

٦- مفتاح التفسير.

٧- سبيل النجاة.

٨- نظمه على النقاية.

٩- نظمه على مفتاح الأصول.

١٠- سلالة المفتاح.

وبعد وفاة الشيخ عثمان خلفه ابنه محمد بللو الذي استطاع رغم حروبه الكثيرة أن يكرس بعض وقته. للدعوة والكتابة فكان يجيب على الأسئلة التي ترد إليه، وفي ذلك يقول "ما كتب لي أحد سؤالا إلا وردت له بكتاب" غير أن الردود تتفاوت في

المواضيع والحجام والأهمية: فمنها ما هو في أكثر من مجلد واحد. ومنها ما هو في رسائل صغيرة حسب مقتضيات الأمور. وحسب حاجة السائل.

فكتابات الشيخ عثمان كما مرت بنا كانت من أجل تكوين طلبته وجماعته تكوينا عقائديا وسياسيا. وكتب أيضا مدافعا عن آرائه الإسلامية ضد منتقديه. أما محمد بيلو فقد اتسمت كتاباته بالطابع التاريخي والتربوي والسياسي بالإضافة إلى الردود على النزاعات الفكرية والعقائدية التي قابلها هو وحكام ولاياته. ومن مؤلفات محمد بيلو:

١- اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، وقد رجعنا إليه مرارا في هذا البحث.
٢- إفادة الأخوان.
٣- إشارة وإعلام في بعض أمور صلة الأرحام.
٤- الإشاعة في حكم الخارجين عن الطاقة.
٥- أصول السياسة.
٦- البدور المسفرة في الخصال التي تدرك بها المغفرة.
٧- تنبيه الراقد فيما يعتور الحاج من المفاسد.
٨- تنبيه الأخوان على أدوية الديدان.
٩- تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة.
١٠- طاعة الخلافة بمكارم الأخلاق.
١١- عجالة الراغب في الطب.
١٢- الغيث الوبل في سير الإمام العدل.
١٣- رفع الاشتباه من التعلق بأهل الله.
١٤- رفع الاشتباه بالكفرة والظلمة والجهلة.
١٥- سرد الكلام فيما جرى بيني وبين عبد السلام.
١٦- شرح الصدر في تحرير جواب جناية الرقيق على الحر.
١٧- شفاء الأسقام في مدارك الكلام.

وقد اتخذ له عاصمة جديدة هي ورنو التي تبعد عن سكوتو خمسة وعشرين ميلا التي أصبحت تنافس سكوتو. وقد زاره في عاصمته الجديدة المغامر الإنكليزي الملازم كلابلاتون في عامي ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م-١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م وقد أجاد الكلام عنه. ومات بللو عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م ودفن في ورنو.[1]

وكان بللو قد أخذ بأسلوب الرباط في الجهاد إذ جعل في كل رباط طبقة محاربة فضلاً عن وجود الفقهاء والمعلمين لتدريس الفقه وشؤون الدين. وأصبحت المدن التي أنشأها بمثابة عواصم محلية ومراكز لخزن المعدات وقلاعاً لمواجهة أي ثورة، أو لحماية المدن. ونتيجة جهاد الشيخ عثمان وابنه حصل ما يأتي:

١- أصبح الإسلام راسخاً ولا تنازعه عقيدة أخرى في هذه المنطقة.
٢- أصبح هناك قانون منسجم موحد في كل منطقة يفرض سلطانه على الجميع ويستمد اسمه من الإسلام.
٣- أدى النظام إلى خلق مجتمع متناسق في معتقداته وأهدافه ووضع أسس الدمج والتوحيد بين العناصر المختلفة التي يتكون منها المجتمع.

وقد توارث الحكم بعده جملة أفراد من سلالة بللو. وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر حاول الأوربيون إخضاع بلاد الهوسا لاستعمارها فاختصم الانجليز والفرنسيون من أجل ذلك.

وبناء على المعاهدة الإنجليزية الفرنسية المبرمة في آب (أغسطس) عام هـ/ ١٨٩٠م والمكملة باتفاقيتي ١٢ تموز (يوليو) ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، ١٤ (حزيران/ يوليو) ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م. والاتفاق الإنجليزي الألماني المعقود في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٣ أصبحت بلاد الهوسا من حصة بريطانيا، وهكذا دخلها جيش الاحتلال عام ١٢٢٠هـ/ ١٩٠٢م[2].

---

(١) د. عبد الرحمن زكي: ٢٠٥.

(٢) عبد الرحمن زكي، ح١٩٣، آرنولد: ٣٦٠.

## ٢- قيام الدول وادي النيل

### أ- مصـــــر:

ذكر أن ممر السويس كان معروفاً لدى العرب منذ عصور سحيقة وأنه الطريـــق الأول الذي عبروا منه إلى أفريقيا للتجارة أو الاستيطان. ففي الفترة القريبـــة العـــهد بالإسلام كانت بطون قضاعة منتشرة من الشام إلى الحدود المصرية. لا سيما جهينـــة وبلى وتنوخ وسليح[١]. وقد اجتاز منهم أعداد كبيرة إلى الضفة الغربية مـــن البحـــر الأحمر ، وانتشروا فيما بعد بين صعيد مصر والحبشة[٢].

وكانت بطون خزاعة وهم فرع من الازد ينـــزلون في شمال الحجاز ثم أجدبـــت أرضهم فرحلوا إلى مصر أيضاً. وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ وبعد تحرير الشام مـــن الحكم البيزنطي وقبل أن يدخل عمر وبن العاص مصر تفرق عرب غســـان وجـــذام وعاملة وكانوا قد اعتنقوا النصرانية فنـــزل فريق منهم في شمال سيناء، وفريق في مصـــر قرب دمياط، فكان على تنيس رجل من العرب المتنصرة يقال له أبو ثـــور، خـــرج لملاقاة جيش عمر بن العاص في نحو عشرين ألف من العرب المتنصرة والقبط والـــروم. فوقع أسيراً بيد العرب وهرب جيشه[٣]. وبعد تقدم عمرو ابن العاص لتحريـــر مصـــر كان جيشه مكوناً من قبائل عربية مختلفة. ثم زاد عدد تلك القبائل بعد بناء الفســـطاط واتخاذها مقراً لإدارة مصر وقاعدة لحركات التحرير لشمال أفريقية. لذلك اســـتمرت الهجرة طوال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وكان غالبية تلك القبائل من عرب الجنوب لذلك شكا وإلى مصر عبد العزيز إلى أبيه الخليفة مروان بقوله "كيف المقـــام

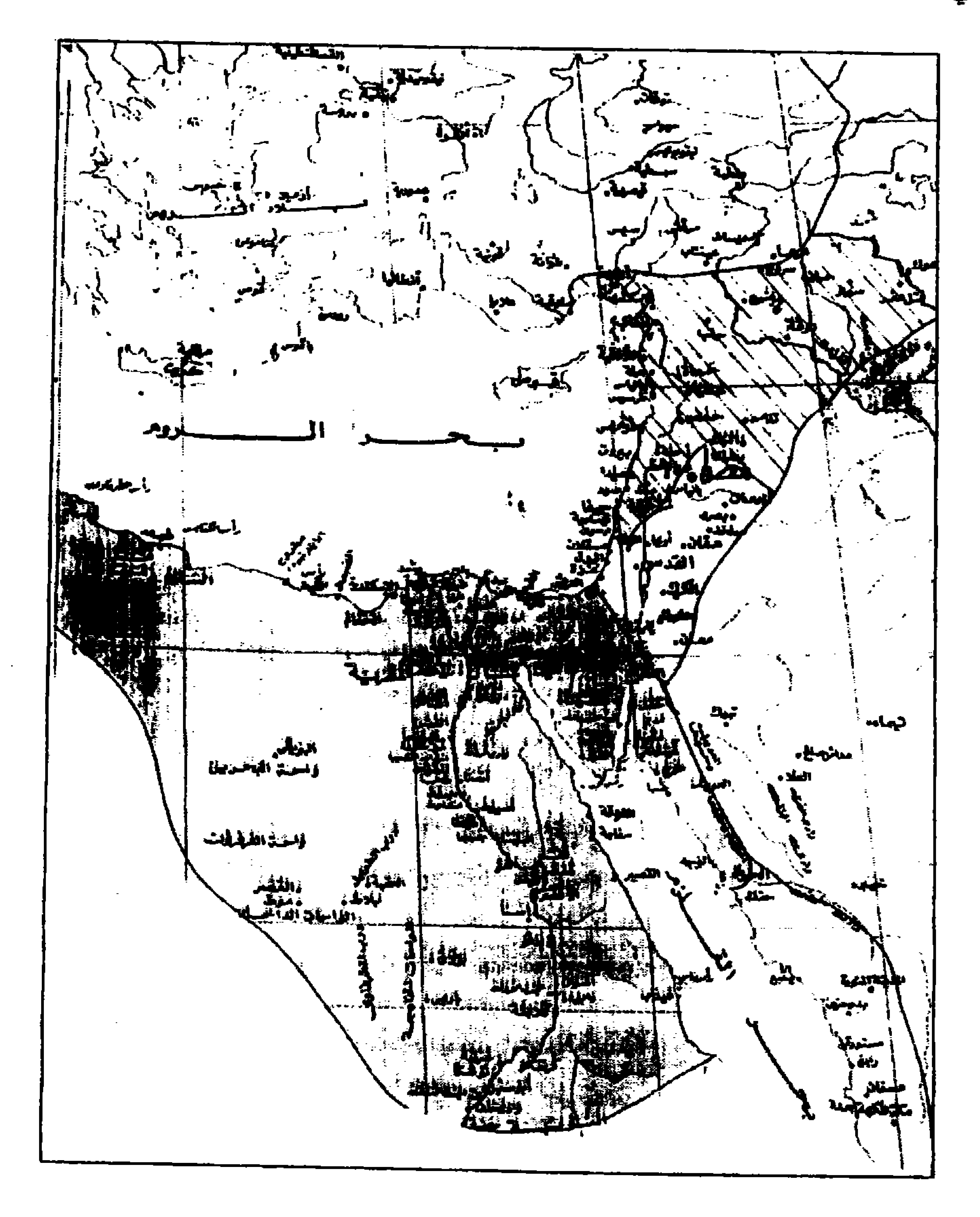
---

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ١٣٠، ١٣١.

(٢) ابن خلدون ٢: ٢٤٧.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار ١: ١٧٧ ط بولاق.

ببلد ليس به أحد من بني أبي؟" فأجابه الخليفة "يا بني عمهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك. واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم.."(١).




(١) الكندي: الولاة وكتاب القضاة، ٤٧، المقريزي: المواعظ والاعتبار ١/ ٢٩٦، ٢٩٩، ط بولاق ، المقريزي: البيان والإعراب، ٢٢، ٢٩، القلقشندي: صبح ١/ ٣١٦.

وكانت سياسة الدولة الأموية تقوم على تعريب البلاد المحررة وإشاعة استعمال اللغة العربية رسمياً في كتابة الدواوين، وفي العملة. وهذا ما قام به والي مصر عبد الله ابن عبد الملك أثناء ولايته في عهد أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك[1].

كما كانت الدولة الأموية تهتم بأمر الموازنة بين العناصر العربية المهاجرة إلى مصر من يمانية وقيسية. ولهذا شجعت الحكومة الأموية القبائل القيسية على الهجرة إلى مصر سنة ١٠٩هـ/٧٣٧م، في خلافة هشام بن عبد الملك. جريا على هذه السياسة إذ كتب عامل الخراج على مصر عبيد الله بن الحبحاب وكان من موالي قبيلة سلول القيسية وطلب من الخليفة هشام أن ينقل إلى مصر بعضا من القبائل القيسية فأذن له في استخدام ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصر على الأ ينزلوا الفسطاط فأنزلهم الجوف الشرقي وفرقهم فيه[2]. ثم بعث هذا الوالي بعد استئذان الخليفة إلى بواد نجد في الجزيرة العربية يستحثهم على القدوم إلى الفسطاط فوفد عليه (أربعمائة أهل بيت) من بطون قيس المختلفة فأنزلهم الجوف الشرقي حول بلبيس وأمرهم بالزرع.

وقدم لهم مساعدات من أموال الصدقة فاشتروا بها ابلا، وأخذوا يحملون زروعهم لبيعها فحسنت حالهم، فأمرهم الوالي بشراء الخيل فلما سمع أبناء قومهم بما حصل لهم قدم منهم (خمسمائة أهل بيت) من البادية وحصل لهم ما حصل لسابقيهم. ثم التحق بهم بعد عام من البادية مثل ذلك العدد، فلما انتهى عهد هشام كان من قيس في منطقة بلبيس حوالي ألف وخمسمائة أهل بيت[3].

---

(١) الكندي: ٥٨، ٥٩.

(٢) المقريزي: البيان والإعراب، ٦٩٦، ٦٧.

(٣) الكندي، ٧٧، المقريزي: البيان والإعراب: ٦٧، المواعظ ٢٠٩/١.

ولم ينقطع توافد قيس على مصر خلال الفترة التالية لخلافة هشام وقد أصبح عددهم عند وفاة مروان في نهاية الدولة الأموية ثلاثة آلاف أهل بيت. ثم زاد عددهم بهجرات جديدة خلال العهد العباسي، كما أن أعدادهم زادت بما حصل لهم من توالد في مصر، حتى بلغ عددهم (١٥٢هـ/ ٧٧٠م) خمسة آلاف ومائتي (أهل بيت صغير وكبير).[١]

ومما لا شك فيه أن اشتغال هؤلاء العرب بالزراعة واستقرارهم في الريف والقرى أسرع في تعريب مصر. وفي عملية امتزاجهم بأقباطها مما زاد في كثرة الداخلين في الإسلام[٢].

استمرت هجرة القبائل العربية إلى مصر في العصور التالية وخاصة في عهد الدولة الفاطمية. ذكر المقريزي أنه لما قدم أسد الدين شيركوه الأيوبي مصر على رأس جيشه كان بأرض مصر من العرب طلحة وجعفر وبلي وجهينة ولخم وجذام وشيبان وعذرة وطيء وسنبس وحنيفة ومخزوم، وأضاف أن في جيش الفاطميين منهم الوفا.[٣]

كان في مصر شعب جديد هو خليط من العرب المهاجرين وسكان البلاد يدين معظمة بالدين الإسلامي ويتكلم السواد الأعظم منه، بصرف النظر عن ديانته اللغة العربية، ويؤلف بها في مختلفة العلوم والفنون.

وأصبحت مصر جزءاً من الدولة الإسلامية وأصبحت القاهرة عاصمة الفاطميين[٤] وبقيت كذلك من العصور التالية وحتى يومنا هذا.

وفي عهد الدولة الفاطمية أيضا كانت مجموعة من القبائل حول غزة (سنبس) وهم من طي قد تكاثر عددها وكثرت ثوراتها، وصعب على الولاة ضبط أمورها لذلك عمد الوزير اليازوري في سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م، إلى سحبهم من هناك إلى مصر واقطعهم البحيرة، فعظم أمرهم في عهد الدولة الفاطمية وما يزالون كذلك إلى أن كانت سلطنة عز الدين أيبك التركماني أول سلاطين المماليك فأنف عربان مصران

(١) الكندي: ٧٧، المقريزي: البيان والإعراب، ٦٨.

(٢)المقريزي: المواعظ ٤/ ٢٩، ط أوروبا.

(٣)المقريزي: البيان، ٢٢، ٢٣.

(٤) د. محمد محمد: تطور العلاقات: ٥٦.

يحكمهم مملوك فاختاروا أميراً عربياً في سنة ٦٥١هـ/ ١١٢٥٣ فقاتلهم المماليك وقبضوا على الشريف المرشح لإمارتهم.[١]

كما أن الدولة نقلت بعضهم الآخر (بني سليم، بني هلال) إلى منطقة الصعيد في العدوة الشرقية من نهر النيل وامتدو إلى ميناء عيذاب[٢]. وقدمت قبائل أخرى في خلافة الفائز الفاطمي، ووزارة الصالح طلائع بن رزيك ونزلت في منطقة دمياط والبدلس كما أشرنا ونزلت بطون من قبيلة جذام في منطقة منية غمر إلى زفيتا[٣]. ومن مصر انطلقت جحافل بني هلال وبني سليم، وفي أعقابهما بنو معقل في القرن الخامس الهجري ما بين ١٠٥٠-١٠٥٢م، باتجاه شمال أفريقيا وقد كان وراء ذلك الانطلاق سبب اقتصادي تمثل بالجفاف الذي حصل في جنوب مصر. وسبب سياسي تمثل في محاولة خليفة مصر الفاطمي المستنصر بالله معاقبة حاكم تونس بن زيري الذي أعلن خروجه على الحكم الفاطمي ورجوعه إلى مذهب سكان شمال أفريقيا (المذهب المالكي). فشجع تلك القبائل على الخروج غرباً. وقد تقدمت هذه القبائل نحو تونس وأدت إلى انهيار دولة بني زيري، وقد توقفت عندها قليلاً فجعلتها مقسمة إلى إمارات، فدخلت في خدمة هذا الأمير أو ذاك حتى وصل الموحدون (من المغرب الأقصى) إلى تونس فتعاونت هذه القبائل معهم لصد الأخطار الخارجية فرحب الموحدون بهم وبذلك تشجعوا للتقدم غرباً فمنحت منزلة عالية في الدولة إذ اعتمدت عليها لإقرار سلطانها على القبائل الأخرى.[٤]

وهكذا ساعد هذه القبائل على تعريب المغرب باختلاطها ببقية القبائل وسكناها في الأرياف. بعد أن كانت بلاد شمال أفريقيا قد خطت نحو التعريب بخطوات متتالية

---

(١) المقريزي، البيان، ٨-١٠.

(٢) ابن خلدون ٤/ ٩١، ١٣/٦، المقريزي: البيان، ٢٨.

(٣) المقريزي: البيان والإعراب، ٣١ (جاء في الهامش أن منية غمر هي ميت غمر، وزفيتا هي زفتي).

(٤) ابن خلدون ٦٢/٤، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ٢٤٩.

منذ قيام حركة التحرير التي جاءت بالإسلام إلى هذه الربوع ثم قيام الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري/ أواخر القرن الثامن الميلادي.

لقد عدت فاس، تاهرت، القيروان، مراكز إشعاع للفكر العربي الإسلامي مرورا بدويلات الخوارج والدولة الأغلبية (١٨٤-٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م) ومن الجدير بالذكر أن هجرة القبائل المشار إليها بني هلال وسليم ومعقل) قد تواصلت بعد ذلك لتنحدر بطونها إلى الصحراء في غرب أفريقيا (موريتانيا) لتلتقي بمن سبقها من القبائل العربية إلى هذه المنطقة فتمدها بالدماء العربية والثقافة العربية الإسلامية.

### ب- السودان الشرقي:

ونقصد به المنطقة الواقعة جنوب مصر والصحراء الكبرى والتي تمتد من جوبا إلى خط عرض ١١، ١٢ شمالا وتقع ما بين الأحمر شرقا إلى دار فور غربا أي نفس الأقاليم التي تتكون منها جمهورية السودان الديمقراطية حاليا باستثناء بعض الأجزاء الجنوبية منها.

إن صلة هذه البلاد بالمشرق العربي تعود إلى عهود سحيقة، وقد وفد إليها العرب تجارا، حيث تجارة العاج والصمغ والذهب واللبان بين الجزيرة العربية وموانئ مصر والسودان والحبشة. كما جاء العرب إلى هذه البلاد مستوطنين عبر الممرات المشار إليها سابقا أي باب المندب والبحر الأحمر وسيناء. وقد كان ممر باب المندب طريق عرب الجنوب اليمانيين خاصة، ويرى بعض الباحثين أن ذلك حصل في عهد دولتي معين وسبأ. إذ توغل العرب غربا أي إلى وادي النيل واستقر بعضهم في أجزاء مختلفة من حوض النيل ثم تبعهم أقاربهم وأهلوهم. وإن اسم (سوبا) عاصمة مملكة علوة في منطقة النيل الأوسط تحريف الكلمة (سبأ). أما الصلة في العهد الحميري فتدل عليها الآثار الحميرية المكتشفة في منطقة حلايب[(١)]. وقد كانت في السودان مملكتان عند ظهور الإسلام مملكة المقرة المسيحية في بلاد النوبة شمال السودان، ومملكة علوة ومملكة البجة. وقد عبر البحر الأحمر جماعات من هوازن في نهاية القرن السابع الميلادي

---

(١) د. يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، ٧، انظر د. محمد محمد أمين، تطور، ٥٧، ٥٨.

واستقرت في أرض (البجة وهي الأراضي الممتدة من حدود مصر شمالاً إلى بلاد الحبشة جنوباً ومن البحر الأحمر شرقاً إلى وادي النيل غرباً) وقد عرف هؤلاء باسم (الحالنقا).

ثم زاد عدد العرب المهاجرين إلى بلاد البجة بعد سقوط الدولة الأموية حيث فر إليها عدد منهم واستقروا في ميناء باضع (جزيرة الريح)[1]. كما أصبحت الموانئ الأخرى معروفة للعرب المسلمين أيضا مثل عيذاب وسواكن.[2]

وقد جلبت مناجم الذهب في منطقة العلاقي التي كان الروم يعملون بها قبل حركة التحرير[3]، جماعات من ربيعة وجهينة سنة ٨٣٧هـ/ ١٣٧م[4]. وبقي طريق البحر الأحمر مسلوكا ما بين السودان والحجاز واليمين لقرون طويلة بعد ذلك إضافة إلى الصلة التي حصلت ما بين المشرق وبلاد السودان عن طريق سيناء -السويس- مصر، ومنها إلى الجنوب خاصة بعد أن أصبحت مصر كما مر بنا قاعدة للانطلاق العربي في أفريقيا باتجاهات مختلفة مؤثرة سياسياً ودينياً وثقافياً فيما جاورها من البلاد.

وامتد العرب تجاراً ومهاجرين ورعاة إلى بلاد السودان من طرق مختلفة فبعضهم ذهب مع النيل متجها غرباً بعد ذلك، وبعضهم مع النيل ليستقر بمحاذاته، وآخرون ذهبوا من الصعيد إلى بلاد البجة شرقا. وقد كانت طبيعة ومناخ السودان ملائمة لهم، كما أنهم وجدوا فيه المراعي الخصبة. فضلاً عن مناجم بلاد البجة التي أشرنا إليها آنفاً.

ولم يكن انسياح العرب مدروساً ومخططاً له من قبل دولة أو زعيم سياسي بل كان عفوياً ومتفاوتاً في أوقاته واتجاهاته. ولكن الذي ساعدهم على الهجرة وجود كيان سياسي قوي في مصر بعد تحريرها حيث أرسل عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، حملة بقيادة عقبة بن نافع لتأمين أطراف مصر الجنوبية، وتأمين طرق التجارة بين بلاد مصر الإسلامية ومملكة المقرة المسيحية في بلاد النوبة شمال السودان[5].

---

(١) المسعودي، التنبيه، ٣٠، ابن خلدون، ١٣٢/٣.

(٢) د. يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، ١٢٤، ١٢٥.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ٥٧.

(٤) م.ن: ٥٨.

(٥) ابن عبد الحكم: ٩٣، ١٦٩، البلاذري: فتوح: ٢٣٨.

وقد جاء ذكر النوبة لأول مرة في وثيقة عربية إسلامية في عهد الأمـــان الـــذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر إذ ورد فيه "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطـى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهـم وكنائسـهم... ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه ما عليهم" وجـاء فيـه أيضا "وعل النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، علـى ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة[1]..."

وعندما نقض النوبيون هذا العهد قام عبد الله بن سعد بن ابي سرح بمحاولة فتـح مملكة المقرة سنة ٣١هـ/ ٦٥٢م، ووصل حتى دنقلة، ثم عقد معهم صلحـاً عـرف باسم (البقط) واشترط عبد الله في هذا الصلح صيانة المسجد الذي بناه المسـلمون في دنقله، وحماية التجار وغيرهم من المسلمين الذين يطوفون ببلادهم. ويؤكد هذا حرص عبدالله بن سعد أن يضل الطريق مفتوحاً -خلال مملكة المقرة- إلى الجنـوب حيـث توجد مملكة علوة، لضمان استمرار الصلات بين العرب في مصر والعـرب في مملكـة علوة، فضلاً عن الأغراض التجارية وما يترتب على ذلك من نشر الإسـلام والثقافـة العربية.[2]

أما ما يتعلق بالبجة فإنهم أغاروا على صعيد مصـر سـنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م فصالحهم والي مصر الأموي عبيد الله بن الحجاب وكتب لهم عقداً[3]. وعندما عـادوا للإغارة على جهة أسوان جرد عليهم الخليفة المأمون حملة بقيادة عبدالله بـن الجـهم وانتهى الأمر بعقد صلح جديد بينه وبين ملكهم (كنون بن عبد العزيز). كـان مـن شروطه أن يكون سهل بلاد البجة ملكا للخليفة، وأن كنون وأهل بلـدة خـاضعون للخليفة على أن يبقى كنون ملكا عليهم. ومنه أيضا "أنه إذا دخل مسلم من بلادهـم

(١) الطبري ٤/ ١٠٩، ابن تغري بردي ١/ ٢٤، ٢٥.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالي، ٢٣ فما بعدها.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ١٨٩.

للإقامة أو التجارة أو الحج فهو آمن" وبذلك فتحت بهذه المعاهدة أبواب الهجرة لاجتياز مملكة علوة. بينما كان هذا الاتفاق مع البجة قد سمح للهجرات العربية القادمة من مصر بالاستقرار والإقامة في طول البلاد من حدود مصر إلى الحبشة[1].

وفي عهد أحمد بن طولون شارك كثير من عرب ربيعة وجهينة في الحملة التي أرسلها إلى بلاد البجة. ويبدو أن قائد الحملة عبدالله العمري كان يود الإقامة فيها وتكوين إمارة مستقلة لذا أرسل ابن طولون إليه جيشاً لمحاربته، ولكن العمري انتصر عليه، إلا أن هذا القائد قتل على يد رجل مصري.[2]

وفي القرن الثالث كان التجار العرب قد أوغلوا في بلاد السودان حتى مملكه علوة المسيحية. فقد ذكر اليعقوبي أن المسلمين كانوا يترددون على عاصمتها سوبا في أيامه[3].

وقد أكد هذه المعلومات الداعية الفاطمي أحمد بن عبدالله بن سليم الأسواني الذي زارها في أواخر القرن الرابع/ العاشر الميلادي فذكر توغل المسلمين في بلاد علوة بقصد التجارة وأنهم شيدوا لهم رباطاً خاصاً في سوبا [4].

أما العرب الرعاة الذين لم يكونوا يشتغلون بالتعدين أو التجارة فإنهم قد تسربوا إلى هذه البلاد خلال قرون متعاقبة تجذبهم المراعي الشاسعة التي اشتهرت بها مملكة علوة[5]. فبلاد البجة كانت أول من استقبل العرب تجاراً، ومستوطنين سواء عن طريق البحر الأحمر عبر موانيه أو عن طريق سينا ومن ثم الانحدار جنوباً. ويذكر ابن حوقل أن عرب الحوف وخاصة قيس هم الذين وفدوا إلى بلاد البجة ولما شاهدوا مناجم الذهب آثروا البقاء فيها.

---

(١) المقريزي: الخطط١، ١٩٥ط بولاق.

(٢) د. محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، ٦١،٦٠.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ٩٠.

(٤) المقريزي: الخطط، ج٣، ٢٦٣-٢٦٤، ط ، أوربا.

(٥) يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك، ٢٠.

وقد اختلط عرب ربيعة بالبجة ولعلهم أدركوا قيمة حق الوراثة عن طريق الأم، فحرص رؤساء العرب على التزوج من بنات البجة مما أدى إلى انتقال الرئاسة في أوطان البجة إليهم.[1]

واستطاع اعراب ربيعة في (العلاقي) وضع نواة أول إمارة عربية إسلامية بزعامة أبي مروان بشر بن إسحاق، وهي الإمارة التي انتقل مقرها فيما بعد إلى أسوان، حيث يقيم فرع آخر لبني ربيعة (وهم بنو الكنز). وقد خضع لهم النوبيون من أهل مريس (النوبة الشمالية)[2] لا سيما بعد أن تحول معظمهم إلى الإسلام وزال عنهم السلطان الفعلي لملك النوبة المسيحي.

وقد اعترفت الدولة الفاطمية بالإمارة العربية في أسوان، وفي عصر الدولة الأيوبية أرسل السلطان صلاح الدين جيشا إلى كنز الدولة وأصحابه. فرحلوا إلى الجنوب ثم هزمهم الملك العادل سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٢٣م. فنقلوا مركز نشاطهم إلى الجنوب من بلاد النوبة ثم عاد بنو الكنز ليفرضوا سيطرتهم على أسوان بعد عام ٧٩٠هـ، حتى عام ٨١٥هـ[3].

لم يتوقف التجار أو الرعاة، ولا الدعاة عن التقدم جنوباً في بلاد السودان فاختلطوا بالسكان المحليين من بجة ونوبة وعنج وعايشوهم وصاهروهم، وعن طريق نظام الوراثة السائد حصلوا على وظائف قيادية جديدة ونشروا الإسلام بين المجموعات الوثنية والمسيحية[4].

وبسقوط مملكة المقرة المسيحية على يد بني الكنز أولاً وجهينة بدرجة ثانية أصبحت هاتان القبيلتان من أكبر القبائل التي هاجرت إلى السودان الشرقي.

---

(١) د. مصطفى مسعد: البجة والعرب، ٣٩.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ٥٩، د. مصطفى مسعد، الإسلام والنوبة: ١٣٤.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار ١٩٨/١، ١٩٩ ط بولاق، وانظر تطور العلاقات العربية والأفريقية في العصور الوسطى، ٦١.

(٤) د. يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ٢٧، ٢٨.

كما أن بني عرك (فرع من جهينة) قد أقلقوا مضاجع المماليك في صعيد مصر حتى اضطروهم للهجرة جنوباً. فانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة(١). وهكذا اعتلى بنو الكنز عرش النوبة في سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م معتمدين على نظام الوراثة المشارة إليه، فانتقلت السلطنة من داخل الأسرة الحاكمة من فرع مسيحي نوبي إلى فرع عربي مسلم. وبسقوط مملكة المقرة المسيحية على أيدي المسلمين أنهار السد المنيع الذي كان يقف لعدة قرون حائلاً دون تدفق القبائل العربية في حوض النيل الأوسط. أما وقد حصل ذلك فإن القبائل العربية الساخطة على نظام الحكم في مصر وجدت طريقها سهلاً إلى داخل السودان حيث المراعي الواسعة(٢).

وبعد تدفق العرب إلى النيل الأوسط كثروا في مملكة علوة المسيحية فذكر أن قبائل جهينة وحدها حول العاصمة سوبا بلغت اثنتين وخمسين قبيلة(٣).

وكان العرب قد أسسوا داخل حدود هذه الدولة مدينة (أربجي) على الشاطئ الغربي من النيل الأزرق(٤).

وانتقلت عدة قبائل بعد ذلك باتجاه الغرب بعد القرن الرابع عشر إلى منطقة كردفان وبلاد برنو مثل مجموعة جهينة ، والجعليين(٥). أن العرب النازحين إلى السودان خلال هذه القرون المتعاقبة قد التقوا في بوادي السودان وسهوله سواء كانوا قد قدموا من جهات مصر أو من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق موانئ باضع وعيذاب وسواكن، التي كان منشأوها وازدهارها متصلين إلى حد ما بهيمنة العرب والمسلمين على معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية، واشتغالهم بنقل البضائع الهندية، والحجيج بين تلك الموانئ وصعيد مصر(٦).

---

(١) ابن خلدون ٢/ ٢٤٧. وانظر د. يوسف فضل حسن، ١٦، ١٧.

(٢) د. يوسف فضل حسن.

(٣) د. محمد محمد أمين: العبدلاب ، بسقوط مملكة علوة، ٢٠١.

(٤) الجعلي، الطبقات، ٥.

(٥) انظر. د. حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام، ٩، ود. محمد محمد أمين: تطور العلاقات، ٦٢، ٦.

(٦) د. يوسف فضل حسن.

ثم وفدت بعض قبائل العرب والمسلمين من جهة المغرب إلى المنطقة الغربية من بلاد السودان، وكان ذلك بمثابة طريق ثالث دخلت منه المؤثرات العربية الإسلامية إلى السودان الشرقي[1].

وعند منتصف القرن الثامن الهجري كان في بلاد السودان ثمانية زعماء من العرب ممن يكاتبون السلطات المملوكية ولهم عند السلطان المملوكية شخصياتهم المستقلة، وهم مميزون بحسب قدمهم[2]. وهم زعماء قبائلهم المنتشرة على أبواب النوبة وعلى الطرقات الموصلة من مصر إلى الحبشة:

الأول: سمرة بن كامل العامري.

الثاني: عبادة بن قاسم.

الثالث: كمال بن سوار- وهو مستحدث في الكتابة في العشر الأول من جمادي الأولى- ثلاث وستين وسبعمائة.

الرابع: جنيد، شيخ الجوابرة من الهكارية. وهو مستحدث المكاتبة في سنة تسع وستين وسبعمائة.

الخامس: شريف شيخ النمانمة. ومكاتبته مستحدثة حينئذ.

السادس: علي: شيخ دغيم.

السابع: زامل الثاني.

الثامن: أبو مهنا العمراني.

ويبدو أن تحولاً حدث في سكنى القبائل في القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن أغلقت مناجم الذهب والزمرد في شرق السودان لقلة العائد منها، وتحولت قوافل الحج

---

(١) م.ن.

(٢) القلقشندي ٨/ ٥-٦.

من الصحراء الشرقية إلى طريق سيناء مرة أخرى بعد أن تخلص المماليك مـــن بقايـــا الاحتلال الصليي للأماكن المقدسة، واضمحلت أهمية ميناء عيذاب بعد أن قل الـــوارد من التجارة الشرقية وذلك عندما فضل المماليك ميناء جدة على عيذاب.

ومن جراء هذا كله فقدت بلاد البجة والصحراء الشرقية مقوماتها الاقتصادية التي جذبت كثيراً من العرب إلى تلك المنطقة، حتى جعلت منها مستودعاً يموج بالقبـــــائل العربية أمثال جهينة، وبلي، وبني كاهل، ورفاعة، وبني سليم، وبني هـــــلال، وقيـــس عيلان، وربيعة، وبني علق، وبني يونس، ورفاعة وتميم، ودغيم، وبني يشكر، وســـعد العشيرة. وقد أدى هذا الركود الاقتصادي إلى نتيجتين هامتين:

**أولاً**: لم تعد بلاد البجة منفتحة بدرجة كبيرة على المؤثرات العربية والإسلامية و لم يبـــق إلا ما تسرب من مؤثرات عن طريق ميناء سواكن، ومن ثم أصاب البلاد عزلة ثقافية.

**ثانياً**: اندفع كثير من المجموعات العربية التي كانت تعيش في أرض البجة بعـــد أن فقدت مصدر رزقها نحو الجزء الجنوبي من مملكة المقرة وسهول مملكة علـــوة الغنيـــة بالمراعي. ثم اهتدوا إلى سهل كردفان ودارفور حيث التقوا بموجة أخرى كانت قـــد تابعت درب الأربعين أو المنطقة الغربية للنيل ومنها تسربوا إلى مملكة كـــانم-برنـــو في أواخر القرن الرابع عشر[(١)].

ويرجع انتشار الإسلام في كل من كردفان ودارفور إلى وصول التجار والدعـــاة أولاً من اتجاهات مختلفة، من شمال أفريقيا ومن أواسط بلاد السودان الشـــرقي ومـــن المغرب والسودان الغربي ثم تبعتهم القبائل العربية من المنطقة السفلى للنيـــل، فحصـــل الاختلاط بالسكان المحليين والمصاهرة معهم. ثم قيام بعض الممالك الإسلامية خاصـــة مملكة تقلي ومملكة الفور[(٢)]. وكان التنجور قد نجحوا في بسط نفوذهم عل دار فـــور

---

(١) د. يوسف فضل حسن، ١٧.

(٢) م.ن، ١٣٨.

وأجزاء من وادي (واداي). وقد جاء هؤلاء إلى هذه المنطقة في تاريخ يصعب تحديده. وكانت أيام عظمتهم في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ثم جاءت موجات الهجرة العربية من مصر إلى سهول دارفور الجنوبية واستقروا هناك وهم الذين يطلق عليهم (البقارة). وقد اختلطوا بالسكان الوطنيين كثيراً حتى غلب السواد على سحنتهم، ومن هؤلاء المسيرية والزريقات، والهبانية وبنو هبلة، والبقارة. ومعظم القبائل الرحل في السودان الشرقي وأواسط بلاد السودان ينتسبون إلى عبد الله الجهيني أو قبيلة جهينة. وفي الشمال استقرت مجموعات أخرى ممن يحترف تربية الإبل، ومعظمها تنتمي إلى فزارة كالمجانين وبني جرار، وبني عمران، والمحاميد[1].

## ممالك السودان الشرقي:

بعد الهجرات المتوالية للقبائل العربية في أجزاء كبيرة من بلاد السودان، وشيوع الثقافة العربية ونشر الدين الإسلامي ظهرت سلسلة من السلطنات الإسلامية ما بين القرن الخامس عشر ومنتصف القرن السابع عشر وهي ممالك العبدلاب، والفونج، وتقلي، والمسبعات، والفور[2]. وقد أصبحت هذه الممالك حامية وراعية لجهود الفقهاء ورجال الطرق الصوفية لنشر الثقافة الإسلامية بين الوثنيين أو لتعميقها بين المسلمين[3].

### جـ- مملكة الفونج:

نشأت مملكة الفونج الإسلامية نحو عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، وسقطت على يد الجيش التركي المصري في سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م. وقد نشأت على أنقاض الممالك المسيحية وامتدت من الشلال الثالث شمالاً إلى حدود الحبشة جنوباً، وشرقاً إلى البحر الأحمر[4]. فكانت تسيطر على رقعة كبيرة من سودان وادي النيل وقد تربع على

---

(١) د. يوسف فضل حسن، ٨٢، وانظر د. حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة، ٣٢٤.

(٢) د. يوسف فضل حسن، ٩.

(٣) يوسف فضل حسن، ١٩.

(٤) الجعلي، الطبقات، ٤٤، حسن إبراهيم حسن، ١٥٣.

عرشها نحو خمسة وعشرين سلطاناً[1]. وبعد أن وطـد الفونـج ملكـهم بمشـاركة العبدلاب، خلف ذلك نوعاً من الاستقرار والوحدة السياسية مما ساعد على بث الثقافة الإسلامية بطريق أعمق وأشمل مما ألفت البلاد من قبل. فهاجر بعض السودانيين يطلبون العلم من مصر والحجاز بينما تقاطر بعض الفقهاء والمتصوفة صوب السودان الشـرقي من مصر والحجاز والمغرب على أثر تشجيع ملوكهم بالهدايا وهبات.

وكان جل من وفد من مصر من الفقهاء بينما تميز الأثر الحجازي بغلبـة رجـال الطـرق الصوفية عليه- وساعد التيار المغربي على إثراء كل من الطابع العلمي والصوفي[2].

وفي ظل هذه الدولة أنشأت المدارس لتعليم القرآن والفقه كما أنشأت الزوايـا[3]. ولذلك كان طابع الثقافة في عصر الفونج طابعاً صوفياً. وقـد مـهدت الخلافـات العشائرية في البلاد إلى انتشار طرق التصوف التي وجد فيها الناس وسيلة للتخلص مـن الاختلافات. وفي هذا العهد انتشرت القادرية، والشاذلية وكانت الأولى أوسع انتشاراً.

وكانت أهم مراكز الثقافة الخلوة والمسجد والزاوية، وكانت الخلوة أقدم هـذه الأماكن، يدرس فيها القرآن والكتابة والقراءة ومبادئ الحساب. وكذلـك المسـاجد أصبحت معاهد دينية أرفع مسنوق من الخلوة. أما الزاويـة فتتجمع بـين المسـكن والعبادة والدرس. فازدهرت الثقافة العربية ثلاثة قرون حتى جاء محمد علـي وقضـى على هذه الدولة ١٨٢٠/ ١٨٢١م[4].

## د- مملكة الفور:

بلغت سلطنة الفور أوج عظمتها في عهد عبد الرحمن الرشيد الذي اشتهر بالعـالم والعدل. وانفتحت البلاد في عهده لمؤثرات خارجية كثيرة فقد شجع السلطان هجـرة سكان وادي النيل من الجعليين والدناقلة الذين أصاب حياتهم بعض الفتور من جـراء

---

(١) م.ن،٦٦.

(٢) عبد العزيز عبد المجيد، التربية في السودان، عن د. يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ، ١٢٦، ١٢٧.

(٣) د. حسن إبراهيم حسن، ١٥٣.

(٤) م.ن.

التدهور الذي أصاب مملكة الفونج في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. واشتغل هؤلاء بنشر تعاليم الدين الإسلامي، والعمل في التجارة، خاصة لجلابة الدين لا تتطلب عملياتهم التجارية رأس مال كبير وقد ركز هؤلاء عملهم في تجارة الصمغ والعاج والرقيق والذهب. والحقيقة أن هجرة سكان وادي النيل والمستعربين كانت مستمرة على مر القرون.

وقد أدى تشجيع العلماء والفقهاء إلى إعطاء مسحة إسلامية على الدولة وكان من مظاهر تشجيعهم إغداق الهبات عليهم وإقطاعهم الأرض (أو الهواكير)[1]. كما وقعت سلطنة الفور تحت تأثير الثقافة الواردة من وسط أفريقيا (دولة كانم-برنو) ومن المغرب ويعزى ذلك إلى المؤثرات التجارية والثقافية والسياسية التي طرحتها امبراطورية (كانم-برنو) ووداي. وكان ذلك الإقليم قد عرف الإسلام قبل القرن الحادي عشر. وقد كان للمغرب إلى جانب نشر العقيدة الإسلامية والمذهب المالكي في هذه المنطقة أثر علمي نابع من ذلك الأثر العام حيث ساعد على نشر علم التجويد والخط العربي إذ أن سكان دار فور وكردفان ودنقلة يتبعون قراءة ورش في حين يقرأ أغلب السودانيين على طريقة أبي عمرو بن العلاء. وأن خط أهل سلطنة الفور هو الأندلسي الذي كان معروفا بالمغرب[2].

### هـ- مملكة تقلي في كردفان:

بدأت هذه المملكة عام ٩٧٨هـ ١٥٧٠م وقد ظلت تسيطر على تلك البقعة حتى أواخر القرن التاسع عشر واستمر أحفاد ملوكها يكونون زعامات محلية هامة حتى عهد قريب.

وكان لهذه المملكة أثر كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية في تلك المنطقة. فنشأتها تمثل مرحلة هامة من مراحل انتقال النفوذ الإسلامي الذي بدأ بقيام إمارة العمري في الصحراء الشرقية، وزعامة بني الكنز في أرض المريس ثم أخذ يمتد تدريجيا نحو الجنوب حتى أتى أكله بقيام ممالك الفونج والفور وتقلي.

---

(١) د. يوسف فضل حسن ٩٣، ٩٤.

(٢) د. يوسف فضل حسن، ١٣٨.

وبقيام مملكة تقلي في منطقة نائية وعرة لا تقل وعورة عن منطقة السدود في جنوب السودان، وفي بيئة جبلية لم يالف العرب الحياة فيها من قبل استطاع، العرب أن يتوغلوا وأن يتأقلموا ومن ثم صاروا رواداً لنشر الإسلام والثقافة العربية في تلك المناطق. ويبدو أن ملوك تقلي كانوا يهدفون إلى نشر الإسلام والثقافة وفق خطة معلومة منها التبشير العادي والاختلاط والمصاهرة. ثم تشجيع القبائل العربية على الاستقرار في كنف مملكتهم[1].

وبانتشار العرب في السودان اكتسب السودان النسب العربي والدم العربي والثقافي واللغة العربية. وارتبط سودان وأدى النيل بروابط مختلفة مع شمال أفريقيا وغربها فذهب طلابه إلى تونس وإلى الأزهر، وتنبكت كما وفد إليه علماء من المغرب والحجاز.[2]

وفي بداية القرن التاسع عشر ونتيجة الهجرات العربية كانت المذاهب الإسلامية كالمذهب الحنفي والشافعي والمالكي التي تدفقت من مصر والحجاز وشمال أفريقيا والمغرب فقد رست دعائم عقيدة إسلامية قوية.

إلا أن الإنجازات الثقافية والفكرية والعلمية خاصة أبان تلك الفترة محدودة وتفتقد الأصالة. والمهم أن استيعاب شعوب السودان الشرقي للإسلام أدى إلى خلق نوع من التماسك والترابط وإيجاد وحدة وطنية وسياسية ثابتة شاملة بين تلك الممالك التي كانت منتشرة.[3]

وبعد أن احتل البريطانيون مصر سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، وفرضوا الحكم الثنائي على السودان، ثم انفردوا بحكمه بدأوا يدخلون من الثقافة الغربية ما يلائم حاجتهم، وقد استقل السودان عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م[4].

---

(١) م.ن ، ١٠٢.

(٢) د. محمد محمد أمين: ٦٣.

(٣)د. يوسف فضل حسن، ١٤٣، ١٤٤، د. حسن إبراهيم حسن، ١٥٦.

(٤) د. حسن إبراهيم حسن، ١٥٦.

## الخلاصة

إن انتشار الإسلام بين سكان بلاد غرب أفريقيا ووسطها وشرقها أدى إلى قيام جملة دول بعد ذلك اختلفت أحجامها بين دولة مدينة وامبراطورية، وفي جميع الأحوال كان الإسلام قد دب إليها سلميا من خلال الحركات الشعبية عن طريق التجار أو الدعاة المرابطين والفقهاء المعلمين. وكان هؤلاء من العرب والبربر والزنوج.

وقد توفرت جملة أمور يسرت أمر الدعوة إلى الإسلام يمكن إجماليها فيما يأتي:[1]

١- قدوم التجار والفقهاء والدعاة الذي أدى إلى التفاف الملوك والأمراء والرعية حولهم.

٢- تقليد الشعوب لحكامها المسلمين، وكان بعض هؤلاء الملوك قد قاموا بحركات جهادية مقدسة كالسلطان موسى صاحب مالي، والسلطان أسكيا الحاج محمد السنغي.

٣- وكان للإسلام صلة وثيقة بنفسية الأفريقي ذلك أن تقارباً عظيماً قد ربط بين العقلية الإفريقية والمبادئ الإسلامية. وقد شهد بذلك الأوربيون حيث قالوا أن الزنوج ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السودان، والمسيحية دين البيض.

٤- وكان المستوى الثقافي والأخلاقي والعقلي للمسلم يمثل الذروة بالنسبة للقيم المتداعية الوثنية التي لم تشكل حاجزاً حقيقياً أمام انتشار الإسلام.

٥- وقد لعب الإسلام دور العامل الموحد والمساير للروح الوطنية. وبناء على ما مر من قيام الدويلات الصغيرة والإمبراطوريات الكبيرة في غرب ووسط وشرق أفريقيا يرى بعض الباحثين إن انتشار الإسلام يمكن تقسيمه إلى مرحلتين، المرحلة البربرية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي والتي نتجت عن انتصار المرابطين. والمرحلة الثانية المالية نسبة إلى مالي Malli أو Malle وقد بدأت بدعوة وحركة شعبية من قبل التجار والفقهاء وانتهتا بقيام كيان سياسي رسمي. ومنذ

---

(١) نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ١٣٣-١٣٦.

القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بدأ الإسلام بالانتشار بشكل واسع بين أوساط الفلاحين في الجهات التي يقطعها نهر النيجر.[1]

وهذا الكلام بدون شك ينطبق على غرب أفريقيا فقط، أما بالنسبة لجميع دول أفريقيا فإن باحثا آخر يرى بأن الإسلام كان قد مر في جميع دويلات ودول أفريقيا بنفس المراحل مبتدءاً بعهد التهيؤ ثم عهد الازدهار وأخيراً عهد النهضة الإسلامية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي[2].

ونقول بأن الأمر الذي لا شك فيه أن الإسلام أخذ طريقه إلى إفريقيا من الطرق الثلاثة الكبيرة التي ذكرت في البحث. وقد قام بوسيلة الإقناع أو الدعوة معلمون وفقهاء ودعاة صوفية فضلا عن القدوة التي قدمها التجار أو المستوطنون العرب. وقد اختلفت أساليب هؤلاء حسب البلاد التي حلوا فيها كأن تبدأ الدعوة بالحكام أو رؤساء القبائل الإفريقية. أو تبدأ بالقاعدة أي الفلاحين أو الرعاة من سكان إفريقيا ثم تنتهي بدخول القبيلة جميعا في الإسلام. أو عن طريق المصاهرة بين المستوطنين العرب والأفارقة. وحصول وراثة لرئاسة القبيلة عن طريق وراثة آلام الإفريقية، ودليلنا على ذلك عدم وجود تخطيط لنشر الإسلام أو توجيه دولة لهذا الغرض. وأن نشاط الدعاة كان هادئا سلميا بعيداً عن العواصم العربية الكبيرة في شمال أفريقيا مما لم يلتفت إليه لتأريخه. أما مشاهدات الرحالة العرب فقد كانت لمجتمعات إسلامية مستقرة.

أما النهضة الإسلامية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي فإنها كانت نهضة شاملة لبلاد المسلمين في آسيا وأفريقيا مثلت ردة فعل تجاه الاستعمار الأوربي. ومحاولة العودة إلى الإسلام الصحيح.

---

(١) أمين أسبر، أفريقيا والعرب، ٢٠.

(٢) انظر: حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة في أفريقيا.

وعلى أثر توسع العلاقات الاقتصادية والتجارية مع شمال أفريقيا، وقيام مبادلات فنية وثقافية وتقنية مبنية على الثقة أتاحت لأفريقيا السوداء الإفادة من الأدباء والعلماء والفنانين والصناع، الذين كانوا في شمال إفريقيا. كما أشاع ذلك مبادئ من العلاقات الاجتماعية كالحد من الرق، والمساواة بين شعوب العالم. كما أدخل الإسلام تغييرا في الأحوال الشخصية لمن اعتنقه إذ حدد الزوجات وأوجد نظام الإرث والبنوة والطلاق.[1]

كما أن انتشار الإسلام في أفريقيا الغربية والوسطى ساعد على نمو كثير من المدن التجارية وساهم في التطور السياسي لدول أفريقيا[2].

كما أدى إلى اختفاء العادات القبيحة مثل أكل لحوم البشر وتقدم القرابين البشرية، ووأد الأطفال وأدى إلى شيوع عادات حسنة مثل ستر العورة، ومعرفة النظافة والاغتسال بشكلها الإسلامي، فضلا عن انتشار الصناعة والزراعة والتجارة.[3]

وعندما بدأ الاستعمار الأوربي يطأ بإقدامه أرض أفريقيا كان القادة المسلمون على رأس المكافحين أمثال السلطان رباح، ومحمد الأمين من تشاد، والحاج عمر وولده أحمد في غرب أفريقيا وساموري توري في غينيا.

---

(١)أمين اسير: ٢٠.

(٢) آرنولد، وانتاديوب، قداح، أفريقيا، ١٣٧.

(٣) نعيم قداح، أفريقيا، ١٣٧.


٧٦

## ٤- حركات المذاهب الفقهية

بعد أن امتد الإسلام غربا وشمل شمال أفريقيا فارتبطت شعوبها بـــالعرب بربـــاط الإسلام المقدس، وأماكن العبادة فيه فكان لا بد لأهل أفريقيا من زيارة المدينة والحـــج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً، ومن ثم الالتقاء بالعرب خـــلال الطريـــق والإقامة في الحجاز أو غيره، وهكذا نقلوا معهم الفقه في الدين على اختلاف مذاهبه ثم بعد أن أصبحت بعض بلاد أفريقيا من دول الإسلام كان من الميسور على شيوخ الفقه والعلم الانتقال بين أجزاء الدولة لممارسة عملية الإرشاد والتفقيه والتعليم حدث كـــل ذلك طواعية فلقيت بعض المذاهب تربة خصبة وساعدها ظروف مواتيـــة فغرســت جذورها كالمالكية و لم يكتب لبعضها الآخر القبول الواسع فتقلص ظلها تدريجيـــا و لم يعد لها جمهور فمن هذه المذاهب.

### أ- المذهب الحنفي:

وكان من أوائل الأحناف ومشاهيرهم ومثبتي قواعده في شمال إفريقيا ابن فـــروخ أبي محمد عبد الله الخراساني (ت ١٧٦هـــ/ ٧٩٢م) وكان فقيها ورعاً[(١)].

وقد ذكر أن أسد بن الفرات وكان يسمى " أمام العراقيين بالقيروان كافة" عنـــد ما جلس لتدريس كتابه (الأسدية) كان الأحناف يتحلقون حوله وكذلك المالكيـــة. وقد عده المالكية فيما بعد ملكيا -كما سيأتي بيانه- وقد توفي عام ٢١٣هـــ، متـــأثرا بجراحات إصابته عند توليه قيادة فتح صقلية.

ومن الأحناف معمر بن منصـــور، ومحمد بن وهب، وســـليمان بـــن عمـــران القاضي، الذي تولى قضاء باجة ثم القيروان. وكان من أحضر قضاة إفريقيـــة جوابـــاً، والطفهم حساً، وأحدهم ذهنا، وكان يحكم بمذهب أبي حنيفة توفي سنة ٢٧٠هـــ/ ٨٨٣م.[(٢)]

---

(١) المالكي١ /١١٣، الدباغ ١/ ٢٣٨-٢٤٨.

(٢) الدباغ ٢/ ١٥١-١٥٨.

وقدم الخشني قائمة بأسماء الفقهاء والعلماء الأحناف ممن تولى بعض أمور القضاء ككتابة الشروط والوثائق ، أو ممن تولى القضاء، والمظالم وقد عاصر بعضهم وعرفهم عن قرب وهم[1].

أبو العباس بن عبدون القاضي. وكان حافظا لمذهب أبي حنيفة وكان موثقا، كاتبا للشروط والوثائق. ولاه والي إفريقية (تونس) إبراهيم بن أحمد الأغلبي، القضاء ثم عزله.

وأبو العباس بن زرزر، وكان حافظاً على مذهب أبي حنيفة، وهو مذكور معروف بين الحنفية، وهشام بن العراقي، وأبو المنهال وكان من مقدمي الحنفية، وابن عمير، وقاسم بن أبي المنهال وكان من أصحاب الجدل والمناظرة، وهيثم بن قيس الذي ولي قضاء مدينة تونس، وعبدالله بن هارون الكوفي السوداني، وصفة الخشني بقوله "كان مذهبه جميلا على سنة" وقد كتب للقاضي سليمان بن عمران، ثم تولى قضاء مدينة تونس، وقضاء القيروان حتى كبر وعجز. وأحمد بن مثيب وكان من الكرام الأجواد. وعبد الله بن محمد بن الأشج وكان من أهل الجدل والكلام. وأحمد بن وهب، الذي تولى قضاء طرابلس. ومحمد بن أسود المعروف بالصدني تولى القضاء في ولاية إبراهيم بن أحمد الأغلبي. وكان يقول بخلق القرآن، وكان صلبا صارما.

وابن الكبر وكان من مشاهير الحنفية أيضا وممن ويقرأ عليه أمهات كتب العراقيين. وأبو عمرو ميمون المعروف بابن المعلوف، ولي مظالم القيروان في ايام بني الأغلب. وكان دينا قرأ عليه الخشني الموطأ عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م وتوفي عام ٣٠٤هـ. وابن جميال، الذي ولاه زيادة الله بن عبدالله قضاء القيروان وابن القطونة، ولي مظالم القيروان. وأبو العباس ابن القيار وكان عالما بالجدل. ويحيى بن محمد بن قادم وكان عالما. وقد أدركه الخشني إذ كان جاراً له فقال عنه بأنه " كانت تقرأ عليه المغازي في مسجده المعروف بمسجد ابن قادم".

---

(١) الخشني: علماء أفريقية، ٢٤٢-٢٥٥، وانظر السراج: الحلل.

وذكر ابن عذاري في وفيات سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م أنه توفي من فقهاء الحنفية أحمد بن عبد الرحمن اللخمي وكان ممن سمع محمد بن وهب وغيره. وأحمد بن عبدون ابن وهب، والربيع بن هشام التميمي وكان من الزهاد المتعففين.[١]

فالمذهب الحنفي قد انتشر كما رأينا من الأمثلة السابقة. وأصبح فقهاء المذهب قضاة في أغلب مدن إفريقية لا سيما القيروان. كما تولوا دواوين المظالم، في العهد الأغلبي خاصة. ومما ساعد على انتشاره في هذا العهد أن ولاة إفريقية (تونس) كانوا تابعين أسميا للخلافة العباسية وكانوا يجارونهم في حكمهم، وحيث أن قاضي القضاة بالعراق كان حنيفاً وهو تلميذ أبي حنيفة ونقصد به أبا يوسف لهذا شجع الأغالبة على نشر هذا المذهب[٢]. فأصبح مذهب أبي حنيفة أظهر المذاهب، وأنه دخل الأندلس[٣]، وفاس[٤].

وقد ذكر المقدس البشاري وجود مذهب أبي حنيفة في إفريقية وأنه كان واسع الانتشار في عهده. كما ذكر أن الوفاق والتآخي بين المالكية والأحناف كان موجوداً في ذلك الوقت ".. لا ترى أرفق من أهلها ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم عصبية، لا جرم أنهم على نور من ربهم.."[٥]. وطبقا لرأي عياض فإنه "بقي بإفريقية إلى قريب من أربعمائة عام ثم انقطع منها".[٦]

إلا أن بعض العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق تأثروا بآراء الحنفية هناك وجلبوا بعض كتبهم إلى المغرب. فقد ذكر ابن خلدون في أثناء كلامه عن الحنفية في المشرق.. "..وحسنت مباحثهم في الخلافيات وجاءوا منها بعلم مستظرف وأنظار

---

(١) ابن عذاري المراكشي، البيان ١/ ١٨٥.
(٢) المالكي: رياض النفوس ١/ ١٧٢-١٨٩، الدباغ ٢/٣.
(٣) عياض : المدارك ١/ ٥٥،٨٠.
(٤) ن.م١/ ٨٠.
(٥) المقدس البشاري: أحسن التقاسيم، ٢٢٥.
(٦) عياض ٨٠/١. نشرة أحمد بكير محمود.

غريبة، وهي بين أيدي الناس، وبالمغرب منها شيء قليل نقله إليه القاضي ابن العـــربي، وأبو الوليد الباجي في رحلتيهما".[1] ومعلوم من ترجمة العلمين المذكوريـــن القـــاضي محمد بن عبد الله الأشبيلي المالكي المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـــ/ ١١٤٨م) أنـــه رحل إلى المشرق وعاد إلى الأندلس ، وتولي قضاء إشبيلية، واشتهر بالأدب كما صنف في الحديث والفقه والأصول وتوفي في فاس. ولعل الأثر الذي تلقاه من المشرق والـــذي أشار إليه ابن خلدون في تأليفه كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف)وكتاب (المتكلمين).[2]

أما أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي (ت ٤٧٤هـــ/ ١٠٨١م) فقـــد كان محدثا فقيها مالكيا رحل إلى المشرق فأقام بالحجاز ثلاثة أعوام، وببغـــداد ثلاثـــة أعوام، وبالموصل عاما، وبدمشق وحلب مدة، وعاد إلى الأندلس. ويبدو أن أثر علـــوم الأحناف التي ذكرها ابن خلدون كانت في بعض كتبه مثل كتاب (السراج في علـــم الحجاج)، وكتاب (بيان ما مضى به العمل من الفقهاء والحكام)[3].

ويبدو أن الصراع الذي دار بين فقهاء المالكية وفقهاء الحنفية دفع علماء المالكيـــة إلى إغفال ذكر الكثير من هؤلاء تعصبا، و لم يتعرضوا إلا إلى عـــدد قليـــل منـــهم في مناسبات حتمتها طروق بحثهم في صاحب الترجمة التي هم بصددها. ويبدو رغم ذلـــك وجود تفاهم بينهم وبين المالكية ووجود صلات علمية فأبو العرب رغم تعصبه لمذهب مالك فإنه درس موطأ مالك على أحد الأحناف وهو ابن مخلوف.[4]

ولعل سبب التجافي بين بعض العلماء الأحناف والمالكية هو ميل بعض الحنفية إلى القول بخلق القرآن تقليداً لمقولة المعتزلة في المشرق، مما دعا الفقهاء وتبعهم في ذلـــك الجمهور إلى كره القائلين به حكاماً وفقهاء وكان شأنهم في ذلك شـــأن الجمـــهور في

(١) ابن خلدون: تاريخه١/٨٠٣، ٨٠٤.
(٢) انظر الزركلي: الإعلام ٧/١٠٧.
(٣)م.ن ٣/ ١٨٦.
(٤) عبد العزيز المجذوب: ٦٤.

العراق الذين احبوا أهل الحديث وزعيمهم أحمد بن حنبل وكرهوا المعتزلة، حتى تغلبوا في نهاية المطاف في عهد المتوكل على الله العباسي على حركة الاعتزال.

وقبل أن يعود هذا المذهب في ركاب العثمانيين ظهر بعض الأحناف مثل محمد ابن إبراهيم الزناتي الحنفي وكان من شعراء المهدية وعلمائها. وقد ولد بها وبعد أن نشأ رحل إلى المشرق فدرس بدمشق مدة ثم بالموصل وانتحل مذهب أبي حنيفة واشتغل به حتى صار أماماً فيه. واشتهر بالنسبة إليه فكان لا يعرف في أفريقية إلا بذلك. ولم يكن في تلك الأعصر كلها ببلاد أفريقية غيره. ولما عاد من المشرق لزم سكنى المنستير (في تونس) المتعبد المشهور وتوفي سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م[١]. وفي العهد العثماني كانت هناك محاكم تطبق الفقه الحنفي في الجزائر وتونس ومصر وكان هناك مفتون في هذا المذهب أيضاً حتى أوائل القرن العشرين.[٢]

وأصبح المذهب الحنفي في مصر على عهد العثمانيين المذهب الرسمي للدولة، وبواسطة المصريين امتد إلى المناطق الساحلية التي حكمها المصريون مثل ارتيريا، هرر كما امتد إلى داخل الحبشة. فقد أصبح في أديس أبابا مسجدان يؤمهما أتباع المذهب الحنفي[٣].

## ب- مذهب الأوزاعي:

كان هذا المذهب قد انتشر في الشام أولاً حيث موطن الإمام الأوزاعي (ت ١٥٧هـ/٧٧٢م) وموطن تلامذته ثم امتد بعد ذلك إلى الأندلس بعد الفتح وأصبح شيخ المفتين هناك صعصعة بن سلام الشامي الأندلسي. وهو من اتباع الأوزاعي ثم انتشر في شمال إفريقية.[٤] إلا أن هذا المذهب لم ينهض تلامذته به ونافسهم في ذلك

(١) السراج: الحلل السندسية: ج١/ ق٢/ ص ٤٩٧.

(٢) الفريد بل: الفرق، ٤٥٠.

(٣) د. حسن إبراهيم حسن: ١٦٠.

(٤) عياض: ترتيب المدارك، ١/ ٥٥.

جملة من رواد المالكية الذين رحلوا إلى المشرق وتعلموا المذهب المالكي وعادوا بـــه إلى بلاد المغرب أمثال زياد بن عبد الرحمن، وقرعوسي بن العباس، والغازي بن قيس[١].

ج- مذهب الشافعي:

وهذا المذهب انتشر في الشام والعراق والمشرق الإسلامي ثم مصر حيث اســـتقر فيها الإمام نفسه بعد ذلك. فلقي القبول إلى درجة أنه زاحم المذهـــب الـــذي كـــان منتشراً قبله وهو مذهب الليث بن سعد فحل مكانه. إلا أن مذهب الشافعي لم ينتشـــر في شمال إفريقيا رغم تمذهب بعض أهل أفريقيا به كما ذكر عياض.[٢]

ومن جملة من مالوا إليه أبو إبراهيم إسحاق بن النعمان، وكان في الأصل مالكيـــا ثم تحول إلى مذهب الشافعي، ولم يكن من أهل المناظرة، إلا أن الصدفة جمعته برجـــل بغدادي في الحجاز فتذاكرا فاقتنع أبو إبراهيم بحجة البغـــدادي وتحـــول إلى مذهـــب الشافعي بعد أن كان مالكيا.[٣]

وابن العباداني[٤]، وعبد الملك (ابن أخ لابن البرذوني)[٥]. وأبو عبدالله محمد ابـــن علي البجلي الذي وصف بجلالة القدر، وأنه كان من رؤساء العلماء وقد عرضت عليـه ولاية القضاء من قبل والي تونس فأبى. وقد ألف بعض الكتب مثل كتاب "الحجـــة في الشاهد واليمن". في أربعة أجزاء. وكتاب "في الرد على الشكوكية".[٦]

---

(١) وقد أخذ الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بمذهب الإمام مالك والزم الناس به وصير القضاء والفتيا عليه. عياض، ترتيب المدارك ١/٥٥.

(٢)عياض١/ ٥٤، ولقد انتشر مذهب الشافعي في الأندلس منذ منتصف القرن الثالث فأصبح له شيوخ فضلا عمن ورد الأندلس من الشافعية المشارقة، انظر بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ٤٣١-٤٣٩.

(٣) الخشني: علماء أفريقية، ١٧٩.

(٤) عياض : المدارك (تراجم أغلبية مستخرجه منه)، ٣٣١.

(٥) م.ن: ٣٩٤.

(٦) الخشني: ٢٧٨، ٢٧٩.

وعبد الملك بن محمد الضبي[1]، وأبو عثمان سعيد الحداد[2]، وأبو العباس الفضل ابن نصر الباهي المعروف بالرايس[3]، وابن بردة أبو الطيب محمد بن أحمد الشافعي البغدادي الذي سمع الحديث ببغداد من جملة من المشايخ ثم حج سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م من هناك ذهب إلى مصر ثم إلى الأندلس سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، فأكرمه الخليفة المستنصر.

وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعي، وقد خلف جملة كتب في المغرب بعد رحيله إلى الأندلس. ثم تضايق منه فقهاء المالكية لأنه كان معتزليا فحرضوا السلطان على إخراجه من الأندلس فخرج عام ٣٧١هـ/ ٩٨١م فذهب إلى تاهرت عند بنت له هناك ومات فيها[4].

وممن اشتهر بالانتساب للشافعي أبو جيدة أحمد اليرغيثي الفاسي وكان إماماً في المذهبين المالكي والشافعي، وقد ألف بعض الكتب منها كتاب (وثائق الشافعية) وذهب إلى الحج مرة، وحين رجوعه إلى فاس؛ خرجت المدينة لاستقباله رجالاً ونساءً. فسال عن سبب خروج النساء؟ فأبلغ أهن خرجن إجلالا له، وفرحاً بمقدمه، وبسلامة عودته، فرفع يديه إلى السماء ودعا لهن. وتوفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، وقد اتخذت النساء قبره مزاراً. وقد ألف أحدهم كتابا في مناقبه سماه (مناقب الشيخ الجليل أبي جيدة بن أحمد اليرغيثي)[5].

وفي عهود تالية تسرب مذهب الشافعي إلى بلاد السودان الشرقي، والحبشة وبعض مناطق من ساحل أفريقيا الشرقية. فقد دخل السودان الشرقي في عهد مملكة الفونج على يد الشيخ محمد بن علي قرم الذي درس على الفقيه المشهور الخطيب الشربيني (ت ١٥٦٩/ ١٥٧٠م) وجاء إلى السودان في نحو عام ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م،

---

(١) عياض: المدارك (تراجم أغلبية مستخرجه منه)، ٣٥٣.

(٢) الدباغ : معالم الإيمان ٣/ ٦٨-٦٩، وانظر المجذوب: ٨٨-٨٩.

(٣) عياض: المدارك ٥/ ٧٩.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس: ١١٤، وانظر: بالنثيا: ٤٤٦.

(٥) ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى ١/ ٢٢١، عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية ٣/١٩، محمد المنتصر: فاس عاصمة الإدارسة: ١٠٨.

وبعد طواف استقر به المقام في (بربر) حيث نشر تعاليم الإمام، وكان من تلاميذه عبدالله العركي، وإبراهيم الفرضي والقاضي دشين المشهور (بقاضي العدالة)، ولم يكتب للمذهب الشافعي الازدهار نتيجة قوة انتشار المذهب المالكي. غير أن منطقتي (سواكن وطوكر) ظلتا متمسكتين بمذهب الشافعي نتيجة صلاتهما التجارية بالحجاز واليمن ومصوع وشرق أفريقيا حيث سادت تعاليم ذلك المذهب[1]. ومن كتب الشافعية الشائعة في هذه الأصقاع (منهج الطالبين) لمحيي الدين النووي، ومنهج الطلاب لزكريا بن محمد الأنصاري. أما في شرق أفريقيا فإنه انتشر بين الصوماليين والجلا على حين قل أثره في أرتيريا.

وترجع سعة انتشاره هنا إلى أنه دخل عن طريق بلاد الجزيرة العربية[2]. كما أنه امتد جنوباً في بلاد جزر القمر[3].

### د- المذهب المالكي:

أشرنا من قبل إلى أن مذهب مالك رزق القبول في شمال أفريقيا أولاً ثم انتشر في القرون التالية إلى غربها ووسطها. وسبب ذلك أن الحجاج وطلبة العلم من أهل المغرب كانوا يتجهون إلى مكة والمدينة لأداء فريضة الحج وتلقي العلم وكان الإمام مالك ما زال حيا فالتقوا به، ثم بطلابه هناك من بعده في حين لم يكونوا يمرون بالعراق والشام إذ لا يقع على طريق سفرهم. أما تعليل ابن خلدون بأن سكان المغرب والأندلس آنذاك كانوا بدوا يلائمهم ما يلائم سكان الحجاز، لهذا أصبحوا مالكية، في حين أن أهل العراق أهل حضارة تقبلوا الحنفية وبرعوا في المناظرات والجدل[4]. وقد حذا حذو ابن خلدون كل من تعرض لمسألة انتشار المالكية في شمال إفريقيا. والحقيقة أن هذا التعليل غير

---

(١) الجعلي: الطبقات، ٢٢، ٩٠ وانظر د. يوسف فضل حسن، مقدمة ، ١٣٠.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن: ١٦٠.

(٣) راشد أبو بكر: العلاقات العربية القمرية قديما وحديثا: ٥.

(٤) ابن خلدون: تاريخه ١/ ٨٠٥.

دقيق وذلك لأن سكان شمال إفريقيا أخذوا كل المذاهب التي راجت في المشرق في وقت مبكر ثم بعد انتشار المالكية وغلبتها على إفريقيا والأندلس استمر علم الكلام على طريقة الأشاعرة لا سيما في عهد الموحدين والعهود التي تلته في عموم إفريقيا الشمالية والغربية والوسطى إلى عهد قريب كما سيأتي بيانه عند الكلام عن الاعتزال.

ومن رواد مذهب مالك في شمال إفريقيا علي بن زياد التونسي العبسي الذي سمع من مالك (موطأه) وجاء بنسخة منه إلى إفريقيا (تونس). وكان أول من كتب مسائل الفقه والفتاوي التي تكلم بها مالك بن أنس غير ما اشتمل عليه الموطأ مما يتصل بالآثار. ثم أقبل علي بن زياد على تصنيف المسائل وتبويبها وإخراجها كتبا مرتبة على مواضيع الأحكام الفقهية[1]. ومن هؤلاء الرواد أيضا ابن اشرس، والبهلول بن راشد ثم أسد ابن الفرات بعدهم.[2]

أما أسد بن الفرات وقد مر ذكره ضمن فقهاء المذهب الحنفي، فإنه قدم وأبوه القيروان ثم ارتحل إلى المشرق سنة ١٧٣هـ/ ٧٨٨م ولقي أصحاب أبي حنيفة القاضي أبا يوسف ومحمد بن الحسن وأخذ عنهما، وعن الإمام مالك وعن عبد الرحمن ابن القاسم وعليه دون كتابه (الأسدية) الذي يعد أول كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ وقد رتبه وفق المنهج الحنفي من حيث تفصيل المسائل وتأصيلها وطبق عليه المذهب المالكي ولما رجع أسد إلى أفريقية تصدى للتدريس ونشر العلم فسمع منه خلق كثير منهم سحنون وغيره وتوفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م.

أما سحنون بن سعيد التنوخي فإنه ممن رحل إلى المشرق وعاد إلى القيروان وأظهر بها علم أهل المدينة ومذهب مالك بن انس خاصة[3]. وكتب كتابه (المدونة) ثاني كتاب فقهي بعد (الأسدية) وأول كتاب معتمد بعد الموطأ.[4]

---

(١) غياض: المدارك، ج١/ ص ٢٢٦.

(٢) م.ن: ١٠، ٣٢٩، ٣٣٠، ٤٦٥.

(٣)عياض: المدارك ٨٥/٢، ط بيروت، وانظر حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ٨١.

(٤) حسن حسني عبد الوهاب، ٨١.

وأول من نشر مذهب مالك بالمغرب الأقصى أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) وهو أول من أدخل مدونة سحنون إليه، وقد درس أبو ميمونة على ابن أبي مطر وأبي بكر بن اللباد. وكان من جهته أستاذاً لبعض الأعلام في القيروان مثل القابسي وابن أبي زيد القيرواني، وعبد الرحمن بن العجوز[١].

ثم انتشر مذهب مالك في الصحراء الكبرى، وبلاد السودان الغربي وامتد إلى بعض جهات السودان الأوسط، والسودان الشرقي. في حين يرجع بعض الباحثين انتشار المذهب المالكي في السودان الشرقي إلى سببين آخرين أحدهما طلبة العلم وشيوخه، والآخر هجرة القبائل من صعيد مصر. أما الطلبة السودانيون وقد وفدوا إلى مصر ودرسوا فيها فشجعوا بعض علماء مصر على الهجرة إلى بلاد السودان الشرقي رغبة في ثواب الآخرة أو طمعا في مكاسب الحياة الدنيا. ومن اشهر هؤلاء الشيخ المصري محمد القناوي الذي درس الفقه المالكي على الشيخ سالم السنهوري (ت ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م) والشيخ يوسف بن عبد الباقي الزرقاني وكان مجيؤه إلى مملكة الفونج في أواسط القرن السادس عشر، حيث زار (سنار) واربجي واستقر أخيراً في (بربر). وتخرج عليه عدد من أكابر العلماء أمثال الشيخ عيسى بن صالح سوار الذهب، وعبدالله الأغبش، وعيسى بن كنو وحفيده المضوى العالم الكبير الذي صنف عدداً من الكتب والحواشي في الفقه والتوحيد وقد اهتم أولئك الفقهاء بالتركيز على تعليم القرآن الكريم وتدريس مبادئ التوحيد والفقه في إطار المذهب المالكي.

وقد ساعدت هجرة العرب من صعيد مصر إلى جنوب وادي النيل في نشر كتب المذهب المالكي الذي كان سائداً في الصعيد وأشهر هذه الكتب الرسالة، ومختصر خليل وأول من قام بتدريسها الشيخ إبراهيم البولاد.[٢]

---

(١)مخلوف: شجرة النور الزنكية، ١٠٣..

(٢) الجعلي: الطبقات، ٥، ابن خلدون ٥٠٨/١، وانظر د. يوسف فضل حسن، مقدمة، ١٢٩.

## ٥- حركات المذاهب الكلامية

### أ- المعتزلة:

نشأت هذه الحركة الفكرية في البصرة ثم انتقلت إلى غيرها من مدن العراق. وهي وريثة لحركة القدرية التي ظهرت في عهد الدولة الأموية. وقد تكونت حركة الاعتزال حول الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. وكانت مسائلهم معروفة هي:

١- القول بالمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة.

٢- القول بالعدل أي أن الله لا يخلق أفعال الناس.

٣- القول بالتوحيد (وهو نفي القول بأن له صفات أزلية خارجية غير ذاته).

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- الوعد والوعيد.

وقد انتشر الاعتزال من العراق إلى الشام واعتنقه هناك من خلفاء بني أمية يزيد ابن الوليد ومروان بن محمد. وفي العصر العباسي تكونت مدرستان أحدهما في البصرة والأخرى في بغداد وكان بينهما جدال في كثير من المسائل. وكان المعتزلة أول من ابتدع علم الكلام وتسلح بالفلسفة اليونانية[١]. وكان واصل بن عطاء يرغب في نشر أفكاره في بلاد الإسلام لذلك بعث بطلابه إلى أطراف البلاد فبعث عبد الله بن الحارث المغربي إلى المغرب، وبعث آخرين إلى خراسان، واليمن والجزيرة والكوفة وأرمينية[٢]. وقد استجاب لمذهبه خلق كثير[٣].

ويبدو أن دعاة المعتزلة وردوا بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني الهجري، وكان من بين هؤلاء الدعاة عبد الله بن الحارث. ولكن التاريخ ضنين بإخبار نشاط هؤلاء

---

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام ٢٨٣-٣٠٣.

(٢) القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة ٢٣٧.

(٣) البلخي: ٦٧ (ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة).

الدعاة والأشخاص الذين اتصلوا بهم. ولكن من المتوقع أن تجد آراءهم رواجاً لدى قبائل البربر الخارجية خاصة ولا سيما في المغرب الأوسط حيث كورة البيضاء. وهي كورة كبيرة وصفت بأن فيها مائة ألف رجل ممن يحملون السلاح يقال لهم الواصلية[١]. وقد أورد ياقوت عند كلامه عن تاهرت ما أسماه بمجمع الواصلية.[٢] أما في المغرب الأقصى فقد ذكر البلخي انتشار المعتزلة هناك وأن رئيسهم إسحق بن محمود بن عبد الحميد الذي التقى بإدريس بن عبد الله (مؤسس دولة الادارسة). وأنه أدخله بالاعتزال وذلك لأن عائلة إدريس كانوا ممن يقول بالعدل شعار المعتزلة مثل أبيه عبد الله بن الحسن وابنيه محمد وإبراهيم وسائر ولده. ودليله على تعاون المعتزلة وأبناء الحسن خروج المعتزلة بالبصرة بعد وفاة زعيمهم عمرو بن عبيد مع إبراهيم بن عبد الله أثناء حركته ضد أبي جعفر سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وقد قتل أثناء تلك الحركة[٣].

ويفهم من كلام البلخي أن المعتزلة بعد مشاركتهم في ثورة إبراهيم سنة ١٤٥هـ وقتل بعضهم، فر آخرون إلى المغرب فكان منهم أولاد بشير الرحال بعد قتل أبيهم وأصحابه، وأنهم نشروا رأيهم هناك وأنهم يسمون أنفسهم الواصلية ويورد البلخي الحديث الذي ينبه إليه النبي ﷺ ويريد به المعتزلة قوله "لا تزال طائفة من أمتي في المغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم جور من خالفهم".[٤]

إن الاعتزال لم يكتب له الاستمرار في شمال أفريقيا ولا سيما القيروان إذ تولد رد فعل تجاهه من بعض علماء إفريقية ولعل أسبق هؤلاء محمد بن سحنون، وممن اشترك في الرد على المعتزلة أحمد بن طالب، وسعيد بن الحداد ومحمد، المعروف بسعون، وابن محبوب الزناتي [٥].

---

(١) م.ن: ١٠٩. الحديث ضعيف، انظر موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، ج٨، ص٦٠، (فضائل افريقية ٣٥).
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٨/١.
(٣) البلخي: فضل الاعتزال ١١٩.
(٤) م.ن : ٢٢٧.
(٥) المالكي: رياض النفوس ١/ ٥٠٤، المجذوب : الصراع، ١٠١.

ولعل السبب الأول في عدم قبول فكرة الاعتزال لدى شمال إفريقيا كما قبلت في المشرق أنه يقوم على استخدام المنطق. وكان سكان شمال إفريقيا في هذا الوقت ما زالوا بدوا، لم يألفوا هذا اللون من النشاط الفكري. في حين أنهم تقبلوا المبادئ والآراء الأخرى القادمة من الشرق والتي تسير وفق مزاجهم الفكري وتفكيرهم الفطري كالخارجية والمالكية. ومن جهة أخرى فإن أهل المشرق لا سيما جمهور أهل الحديث ومن تبعهم من العامة كانوا قد رحبوا بالقرار الذي اتخذه الخليفة المتوكل عام ٢٣٧هـ/ ٨٥١م، بإعلان سخطه على المعتزلة، وانحيازه لأهل الحديث بالتصدي لهم في النقاش والخطب. واستمر الشعب يظهر حقده تجاه المعتزلة كلما وجد فرصة مناسبة[١].

إلا أن الاعتزال وأن زال جمهوره من شمال إفريقيا ترك بصمات عميقة في مذهب الإباضية، كما يقول الفريد بل.[٢] ثم عاد علم الكلام إلى الظهور في العهد الموحدية. ولكن ليس على طريقة المعتزلة بل على طريقة ورثتهم الأشاعرة وذلك أن المهدي بن تومرت أخذ يلزم أصحابه بدراسته إلزاما. وكان الموحدون يعدون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل، وعلى طريقة الأشعري بالأخص كافرا، ليس معه من الإسلام إلا الاسم. ومن ثم سموا أنفسهم بالموحدين. ونبزوا المرابطين خصومهم الذين حكموا المغرب الأقصى قبلهم باسم المجسمين، أي الذين يفسرون آيات الصفات الواردة في القرآن تفسيراً مادياً. وألف المهدي لأصحابه كتابين في العقائد مختصرة باللسانين العربي والبربري، هما كتاب القواعد وكتاب الإمامة فاقتفى الناس خطاه وصنعوا في هذا العلم كتباً عديدة. وكان من أطولهم يداً وأحسنهم معرفة في هذا السبيل عند العامة الشيخ أبو عمرو عثمان بن عبدالله بن عيسى السلاجي وهو الذي تحول على يده أهل فاس من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري. تبعاً للتيار العام الذي اكتسح المغرب بأجمعه في هذا الأمر، نتيجة لدعوة ابن تومرت. ولكن

(١) زهدي حسن جار الله، المعتزلة، ١٨٤، ١٨٥.

(٢) الفريد بل: الفرق الإسلامية: ٥،٦.

قد شاب صفو هذا العلم في أوائل أيام الموحدين ما أضافوه من تعاليم تخالف عقيدة (الجمهور) كالاعتقاد بالإمام وعصمته، فكان الخطيب على منابر المغرب والأندلس وإفريقية لا بد أن تشتمل خطبته على الدعاء "للإمام المعصوم المهدي المعلوم" حتى تقدم بمنع ذلك يعقوب المنصور(١). و لم تنته دراسة علم الكلام أو المنطق بعد زوال دولة الموحدين بل استمرت في المغرب إلى اليوم(٢).

## ٦- حركات الفرق المعارضة

### أ- حركات الخوارج

كانت حركة الخوارج كشأن بقية الحركات الشعبية المنبثقة من صفوف المسلمين، نالت الملاحقة والضربات المتتالية بالمشرق العربي الإسلامي، فهرب بعض دعاتها إلى بلاد شمال أفريقيا، بعد أن سمعوا بما عليه وضع الناس فيها وصلتهم بالحكم القائم من خلال التجار والمسافرين والحجاج. فما أن حلوا بين ظهراني البربر حتى أخذوا بنشر أفكارهم، إذ وجدوا أنفسهم بعيدين عن الرقباء وعن سطوة الخلفاء والولاة تدفع بهم الرغبة في إقامة كيان خاص بهم. فوجدوا أذناً صاغية واستعداداً من قبائل البربر للوثوب بالحكم المركزي الذي لم يألفوه أو يعتادوه ولعدم استيعابهم للإسلام بعد. ومن فرق الخوارج التي وفدت إلى شمال إفريقيا في أواخر القرن الأول الهجري الإباضية، الذي انتشروا في شمال إفريقيا واتخذوا من تاهرت عاصم لهم سنة ١٤٤هـ. والصفرية الذين اتجهوا إلى جنوب المغرب الأقصى واتخذوا من سجلماسة (تافيلالت) مقرأ لهم سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م(٣).

---

(١) مجهول: الحلل الموشية، ٨٩، ٩٠، عبد الله كنون: النبوغ المغربي ١/ ١٣٠.

(٢) عمار طالبي: آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، ١٥.

(٣) ابن خلدون، ٤/ ١٩٢، ٧/ ١٣،١٤.

وينسب الصفرية إلى عبد الله بن صفار التميمي[1] في حين جعلت كتب الفرق نسب الصفرية راجعا إلى زياد بن الأصفر ت ٦٧هـ[2] وقد انتشر المذهب الصفري في القيروان . أولاً ثم امتد غرباً فكان من قبائل البربر الداخلين في الصفرية مطغرة ومكناسة ثم تعدى الأمر إلى العناصر الأخرى، كبعض العرب المقيمين بإفريقية. كما امتدت تعاليم الصفرية إلى جماعات السودان القاطنين جنوب الصحراء. وكان ذلك قد تم بواسطة أحد دعاهم وهو أبو القاسم سمكو بن وأسول في واحة تافيلالت (سجلماسة)، الذي اتخذها مقرا لنشر دعوتهم. وكانت جماعة منهم تسكن الواحدة وتعمل في التجارة عبر الصحراء وقد رحب هؤلاء بمبادئ الخوارج لما تدعو إليه من مساواة دون اعتبار للعنصر أو اللون.

وما أن شرع الصفرية في إقامة دولتهم في سجلماسة سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م حتى اختاروا أئمتهم من السودان وهو عيسى بن يزيد الأسود[3].

وهكذا تغلغل المذهب الصفري في سائر أرجاء المغرب الأقصى وبعض نواحي إفريقية والمغرب الأدنى بين البربر والعرب والسودان.[4]

أما المذهب الأباضي الذي ينسب إلى عبدالله بن إباض المري التميمي[5] فقد كانت البصرة مركزاً له ومنها كان الدعاة الذين عرفوا بحملة العلم، يتوجهون إلى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على أيدي فقهاء المذهب وشيوخه. وكان من شيوخهم البارزين أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي ارتفع شأن الدعوة في عهده. وقد عرف هذا الداعية أهمية المغرب وأنها ميدان خصب لدعوته فبعث بداعيته سلمة ابن سعيد في بداية القرن الثاني الهجري الذي نشر الدعوة في المغرب الأدنى، ثم تلاه

---

(١) البلاذري: أنساب ١١/ ٨٣.

(٢) الاسفرائيني: التبصر في الدين: ٣١، البغدادي: الفرق بين الفرق: ٥٤ الشهرستاني: الملل والنحل ١٨٣/١

(٣) البكري: المغرب ١٤٩.

(٤) ابن خلدون ٤/ ١٨٩، ١٩٠، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب ٤٤-٥٠.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق ٦١، ابن رستة: الأعلاق النفيسة ٢١٧.

داعية آخر هو أبو عبد الله محمد بن الحميد بن مفيطر وفي أيامه انتشر المذهب بين بربر نفوسه. ومنذ ذلك الحين أصبح جيل نفوسة "دار هجرة" للمذهب الأباضي. ومنها انتشر بين القبائل الأخرى مثل هوارة ولماية وزناتة وسدارته وزواغة ولواتة[1] ثم قرر دعاة الإباضية إرسال ممثلين من الجهات التي انتشر فيها المذهب للتوجه إلى البصرة للتعمق في دراسة مبادئ هذه الدعوة. وتوجه هذا الوفد الذي عرف (بحملة العلم) إلى البصرة حيث ظلوا في صحبة شيخ الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة خمس سنوات يتلقون العلم على يديه ويعدون العدة للظهور ويتعلمون أصول الحكم وفنونه. ثم عاد حملة العلم وواصلوا جهودهم في تثبيت دعائم المذهب. ولما اشتد ساعدهم عقدوا العزم على إعلان إمامة الظهور سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م.

وبعد أن تكونت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، والأغالبة في إفريقية (تونس)، أصبحت الإباضية منتشرة في قبائل متعددة غير موحدة، بل أصبح بعضهم خاضعين للأغالبة أو الأدارسة وأخوالهم بني سليمان، ومنهم المستقلون تحت إمارات متعددة. وأشهر إماراتهم إمارة بني رستم بتاهرت التي أقامها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م وقد ذكر اليعقوبي (ت نحو ٢٩٢) ثلاث إمارات سواها هي "إمارة بني دمر وإمارة هوارة، إمارة بني مسرة"[2].

و لم تقم بالمغرب الأوسط دولة قوية تحملهم على الانضواء تحت لواء حكومة مركزية. وكانت الدولة الرستمية تحاول ذلك لكنها لم تستطيع تحقيق هذا الحكم[3] حتى دهما (الفاطميون عام ٢٧٩هـ) وقضوا عليها. و لم يبقى لهم سوى بقية في الجهات الجنوبية كورقلة ومزاب متحصنة بعطش الصحراء بعيدة عن نفوذ الدولة الشمالية فحافظت على عقائدها وعوائدها غير متأثرة بالانقلابات السياسية[4].

---

(١) ابن خلدون ٤/ ١٩١، ١٩٢ فما بعدها.

(٢) اليعقوبي: البلدان: ١٠٧، ١٠٩، وانظر الميلي: تاريخ الجزائر ٤٣٤.

(٣) الميلي: تاريخ الجزائر، ٤٣٤.

(٤) م.ن ٤٣٣.

وهكذا أصبحت بلاد المغرب معقلا لنشاط الخوارج بعد انتشار المذهب الصفري بين بربر المغرب الأقصى وبعض نواحي المغرب الأوسط والإباضي في المغربين الأوسط والأدنى[1].

ولقد أصبحت الحركة الخارجية في المغرب من القوة وسعة الانتشار إنها اشتركت ضد الحكومات المركزية في (٣٧٥) حربا اعتبارا (من حصار طبنة) سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م، وليس منشأ تلك الحروب اختلاف العقيدة، بل منشؤها ما كان عليه البربر من خلق الفوضى وكراهية السلطة المحلية كيفما كان وضعها فليست حروبهم دينية أو سياسية فهم يحاربون العرب من جهة، ويحاربون بعضهم بعضا من جهة أخرى.[2]

ولم يقطع الإباضية صلتهم بمنبعهم الأصلي مدينة البصرة في العراق فكان أئمتهم يرسلون إليها من يشتري لهم الكتب، ليضعوها في مكتبتهم الكبيرة بتاهرت، والتي أسموها المعصومة. وقد استمرت عامرة بمجلداتها حتى أحرق غالبيتها الفاطميون عند قيام دولتهم.[3]

**ب- الحركات العلوية:**

بعد موقعة فخ التي حدثت في الحجاز سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وفشلت على أثرها ثورة الحسين بن علي العلوي في عهد الخليفة الهادي العباسي، فر الكثير من أفراد العائلة العلوية هربا من انتقام الخليفة العباسي، واتجهوا إلى أطراف الدولة الإسلامية. فكان ممن هرب إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الخليفة الراشد على بن أبي طالب، الذي وصل إلى مدينة طنجة في المغرب الأقصى سنة ١٧٠هـ وكان هروبه إلى هذه البلاد بالذات يدل على معرفته بما كانت عليه البلاد وهو في ذلك يشبه بقية أصحاب الفرق والطوائف الأخرى أصحاب الطموح. فاستغل

---

(١) ابن خلدون ١٢/٧، محمود إسماعيل ٥٠-٥٧.

(٢) الميلي: ٤٣٢.

(٣) الميلي: ٤٥.

ذلك الظرف لتحقيق طموحه في إظهار الدعوة الطالبية رجاء تأسيس دولـــة يكـون اعتماده في قيامها على البربر.

ومن طنجة خرج إدريس ومولاه راشد إلى مدينة وليلي فنزلا عند صاحبها اسحق ابن محمد بن عبد المجيد الأوربي فأكرم مثواهما فعرفه إدريس بنفسه فبالغ في إكرامـه. وكان ذلك غره ربيع الأول سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م وبايعته أوربة وتلتها مغيلة وصدينـة من بني فاتن ثم وفدت عليه بالبيعة قبائل زواغة وغياتة مكناسة وغمارة مـن قبـائل أخرى من زناتة وغيرهم. فلم يلبث أن جهز من هذه القبائل جيشاً قصد به الجـهاد في بلاد تامسنا (ما بين سلا واسفي عن ساحل المحيط) وتادلا من البلاد الواقعة جنـوب وليلى إلى ناحية المحيط الأطلسي، إذ كان الإسلام فيها قليلا ففتح حصونها وعـاد في ذي الحجة سنة ١٧٢هـ . وفي السنة التالية أي ١٧٣ خرج بجيشه فـاخضع جميـع بـلاد المغرب حتى السوس الأقصى.(١) ولما تسامع العلويين في المشـرق بنجـاح إدريـس في مسعاه، وفد الطامحون إلى المغرب تدفعهم الرغبة في إقامة كيانات خاصة بهم. وقد نجـح بعضهم في إقامة هذه الكيانات في المغرب الأوسط. وقد امتدت على سـاحل البحـر المتوسـط ابتداء من أرض الريف غربا إلى أرض الحضنة من عمالة قسطنطينية الحالية شرقاً(٢).

إلا أن هذه الكيانات لم تكن تبلغ مبلغ دولة الأدارسة في المغـرب الأقصى كمـا أن بعض العلويين ذهبوا إلى السودان الغربي. فكان منهم صالح بن يوسف الذي أفـاد من الاضطراب الذي كانت تعيشه دولة غانا، ولهذا لقي الترحيب الذي لاقاه إدريـس الأول وفي وليلي من قبل.

ولقد استغل ذلك لإقامة ملك ببلاد السودان وقد أسس لـه عاصمـة أسماهـا (كومبي صالح) في منطقة تقع غرب نهر النيجر. وقد عمرت المدينة بعناصر مختلفة زنجية وبربرية وعربية.

إلا أن هذه الإمارة العربية العلوية لم تعمر طويلاً حيث فاجأتها قوات الزنـاتيين

---

(١)ابن عذاري: البيان المغرب ١/ ٨٢-٨٤.

(٢) ابن عذاري ١/ ٢١٠ الميلي ص ٤٧٦.

الذين كانوا مستقلين في الجهات الجنوبية الشرقية من المغرب الأقصى ٣٢٠- ٣٢١هـ/ ٩٣٢م و ٩٣٣م وتمكنوا من دفع العلويين إلى الجنوب وأخذوا عاصمتهم كومي صالح، لكن حكمهم لم يرسخ، فقد اكتسحتهم قوات الفاطميين[1].

**جـ-الحركة الفاطمية:**

تسامع أهل المشرق بانتصارات الخوارج وإقامتهم لكيانات خاصة بهم منذ أواخر القرن الأول، فتسارع أصحاب الطموح بالقدوم إلى إفريقيا مؤملين النجاح بين البربر وناجين بأنفسهم من الملاحقة والمراقبة.

وهكذا بادر من دعاة الشيعة بالمجيء إلى شمال إفريقيا داعيتان من الإسماعلية (الفاطمية) هما السفياني والحلواني فنزل الأول قرطاجنة والآخر سوق حمار من ناحية قسنطينة، ونشرا فكرهما هناك ثم توفيا. فلما عرف خبرهما دعاة الإسماعلية بالمشرق عملوا على الالتقاء بالبربر القادمين للحج من المغاربة ليتعرفوا عليهم وعلى بلادهم ويعرضوا ما عندهم من أفكار.

وعن هذا الطريق نجح سنة (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) أبو عبدالله الحسن بن أحمد الصنعاني (المعلم الشيعي). من إقناع جماعة من كتامة وسافر معهم إلى بلادهم، وهناك اجتمع بأعيانهم ورؤسائهم فقبلوا أفكاره والتفوا حوله فأبلغهم أنه مرسل من المهدي. وأسس في إيكجان قرب سطيف إلى ناحية قسنطينة مدينة سماها دار الهجرة. فكّون من قبائل البربر جيشاً تقدم به نحو إفريقية ودخل القيروان وفي هذه الأثناء التحق به أمام الدعوة الإسماعيلي، ويبدو أنه فضل الاختفاء في مدينة سجلماسة إلا أنه عُرف فألقى به في السجن لذلك عاد أبو عبدالله الصنعاني إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى لإنقاذ سيده عبيد الله المهدي الذي اعتقل هناك[2].

وبقيام الحكم الفاطمي بالمغرب قضي على دولة الادارسة، وإمارتي الخوارج في

---

(١) ابن خلدون ح٤/ ١١٣، وانظر ٤/ ٣٩، ٤٠

(٢) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ٩٤، الميلي، ٥٠٤.

تاهرت وسلجماسة سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، ثم امتد حكمهم بعد أن اتخذوا مدينة القيروان أولاً ثم المهدية في إفريقية (تونس) مقراً لهم ثم امتدوا إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م ثم إلى اليمن، والحجاز، والشام. وعلى حد قول ابن خلدون.. "وقاسموا بني العباس في ممالك الإسلام شق الأبلمة وكادوا يلجون عليهم مواطنهم.."[١] وبعد بنائهم للقاهرة واتخاذها عاصمة لدولتهم أصبحت دولتهم من دول الإسلام الكبيرة ذات القوة والحضارة الزاهرة. حتى ضعفت في آخر عهدها وسقطت على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م.

إن مجيء هذه الفرق والآراء من المشرق إلى إفريقيا لاقت قبولاً وتأييداً من أناس كثيرون كما لاقت معارضة من آخرين.

وخلال القرون الأربعة أو الخمسة باختلاف العادين لم ينقطع سكان إفريقيا من المجيء إلى الحج لأداء الفريضة أو للقيام بالتجارة. كما كانت صلتهم وثيقة بإمام الحرمين مالك بن أنس وتلاميذه من بعده، وسكان الحجاز (مكة أو المدينة). مما أدى هم إلى تفهم المذهب المالكي والتعرف عليه جيداً. كما أن فقهاء المالكية خلال أجيالهم المتعاقبة في القيروان وغيرها كونوا فئة من تلاميذهم أصبح لهم جمهور يتلفون حولهم.

ومن هنا كان الصراع الفكري بين هذه الطوائف والحركات قد تجاوز الجدل والمناظرة، فوقعت بينهم حروب واصطدامات طوال تلك القرون. ومن ينظر في كتب الطبقات التي أرخت تلك العصور مثل طبقات أبي العرب والخشني، ورياض النفوس والمدارك ومعالم الإيمان، يجدها مشحونة بصورة ذلك الصراع.[٢]

فإذا كان القرن الثالث قد تم فيه نشر الإسلام بين البربر جميعاً الذي أدى في نهاية الأمر إلى شيوع المذهب المالكي، فإن حلول القرن الخامس يمثل غلبة المذهب المالكي في إفريقيا شمالاً وإلى الجنوب من الصحراء الكبرى[٣].

---

(١) ابن خلدون، تاريخه ١/ ٣٤، ٣٥، ٢٧٦ ط مكتبة المدرسة ودار الكتاب.

(٢) محمد العروسي المطوي، سيرة القيروان، ٣٠.

(٣) الفريد بل، الفرق، ١١٤.

## ٧- حركات الصوفية

كانت حركات الصوفية من جملة الحركات التي ربطت بين العرب والأفارقة خلال فترة طويلة من الزمن. وهي أطول عمرا من بعض الحركات التي قدمت من المشرق العربي إلى إفريقيا. كما أنها اقترنت بالإسلام ونشره في بعض جهات إفريقيا، واقترنت بحركات الجهاد ضد المستعمرين الأوربيين في جهات أخرى، وشاركت في تكوين الدول الموحدة.

بدأت حركات الصوفية بكونها حركات جماعية في المشرق منذ القرن الثالث الهجري إذ بدأ المريدون يلتفون حول شيوخهم مكونين طريقة تنسب إلى ذلك الشيخ. وهكذا ظهرت السقطية نسبة إلى السري السقطي (ت٢٥١هـ/ ٨٧٤م)،[١] والطيفورية نسبة إلى ابي أيوب طيفور البسطامي (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)،[٢] والجنيدية نسبة إلى الجنيد البغدادي (ت ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)،[٣] الخرازية نسبة إلى أبي سعيد الخزار (ت ٢٧٩هـ/ ١٩٢م)،[٤] والنورية نسبة إلى أبي الحسنين النوري (ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)،[٥] والقصارية نسبة إلى حمدون القصار (ت ٢٧١هـ/ ٨٤م).[٦] لكن هذه الطرق لم تدم أو تستمر طويلاً، ومع ذلك كانت المدخل للطرق الصوفية الواسعة التي نشأت بعد ذلك[٧]. وقد هيأ متصوفة القرن الثالث الهجري المبادئ الضرورية لدراسة التصوف. ولم يكن على من جاء بعدهم إلا أن يتعهدوا هذه المبادئ وينموها لا سيما وقد كان في تقدم الثقافة العربية ونهوض الدراسات الإسلامية عامة

(١) انظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي: ٤٨-٥٥.
(٢) م.ن: ٦٧-٧٤.
(٣) م.ن: ١٥٥-١٦٣.
(٤) م.ن.٢٢٨-٢٤٢.
(٥) م.ن: ١٦٤-١٦٩.
(٦) م.ن: ١٢٣-١٢٩.
(٧) عامر النجار: التصوف الإسلامي، ٢٥٩.

ما يعينهم على التوسع في أبحاثهم فشاركوا المتكلمين في بعض مشاكلهم واقتبسوا من الفقهاء قدرا من مصطلحاتهم وكذلك أخذ بعضهم عن الفلاسفة شيئا من نظرياتهم. وفي ختام هذا الدور جاء الغزالي فتوج بكتابه (الأحياء) ذلك الكمال الصوفي الإسلامي المحض.

وكان الغزالي رجلا تفقه وتفلسف ثم تصوف، وقد درس التشريع الإسلامي دراسة وافية.[1] لهذا كان له اثر في البلاد الإسلامية مشرقا ومغربا كما سنرى. ثم نهض بعده علماء من أعلام المتصوفة المعتدلين وهما الشيخ عبد القادر الجيلاني وسيد أحمد الرفاعي الذين قدر أن يكون لطريقتهما شأن يذكر في الأجيال المقبلة،[2] لا سيما في إفريقيا.

وكانت الطرق الصوفية متحدة الغايات وهي التي تتمثل في التعليم الروحي المتعلق بإنكار الذات والصدق في القول والعمل والتوبة. ولكن وسائلها العملية اختلفت كاتخاذ أزياء خاصة، أو أوراد وأحزاب خاصة يرددها أصحاب كل طريقة[3].

وسوف نستعرض التصوف وفق الفقرات التالية: دور الغزالي في التصوف في شمال إفريقيا، والطريقة القادرية، والطريقة الرفاعية، وانتشار الطريقة القادرية في إفريقيا، وانتشار الطريقة التيجانية في إفريقيا.

### ١. دور الغزالي في التصوف في شمال إفريقيا:

عم التصوفِ الإسلامي بلاد المسلمين بشكل ظاهرة فردية ثم تلا ذلك ظهور جملة من العلماء المؤلفين في التصوف أمثال القشيري (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) وأبي طالب المكي (ت٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، والغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١م) الذين أظهروا قواعد السلوك، وبينوا علاقة المريد بالشيخ وقواعد العزلة، والخلوة، والذكر، ومقومات السلوك وأحواله. إلا أن الغزالي انفرد عن غيره وتميز بما أورده عن التصوف في مؤلفاته. إذ عد ممن غير مجرى التصوف الإسلامي، وأرساه على قواعد التصوف السني

(١) الحسيني: (السيد محمود أبو الفيض)، جمهرة الأولياء ١/ ٢٧٥.
(٢) م.ن: ١/٢٨٤.
(٣) التفتازاني: المدخل إلى التصوف: ٢٨٦ عن عامر النجار ٨٧.

الذي عني بالجانب الخلقي التربوي، ورفض أنواعا من التصوف الأخرى كتصوف الحلاج القائم على فكرة الحلول، وتصوف البسطامي الذي أعلن فيه الاتحاد.[1]

وقد تأثر بمعلومات الغزالي ولا سيما في (إحياء علوم الدين) كثير من المتصوفة في المشرق والمغرب والأندلس. وقد حصل ذلك في أثناء حياته وبعد مماته. فممن تأثر به من أهل المغرب أبو عبد الله محمد بن محيو الهواري (من أهل تونس) وكان من أهل العلم والعمل. واعتكف على كتاب الأحياء حتى حفظه.[2]

وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل الهواري من أهل اغمات وريكة المتوفي عام (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) الذي نسخ كتاب الإحياء فعمل به واستعمل ما فيه من الأذكار والأدعية والأوراد.[3]

وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حزرهم القيسي المتوف عام (٥٥٩هـ/١١٦٣) وكان فقيها حافظا زاهدا متصوفا.اعتكف على قراءة الأحياء مدة عام في بيته[4].

وأبو مدين شعيب بن حسين التلمساني المتوف عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م الذي نظر في كتب التصوف فلم ير مثل الأحياء للغزالي كما قال[5].

ولما كان إحياء علوم الدين كتاب تصوف بالدرجة الأولى فقد وجد فيه الفقهاء مأخذ عابوها على الغزالي مثل إظهاره الفقه على أنه علم دنيا وأن للفقهاء غايات مادية في فتاويهم، كما أنهم وجدوا فيه ما وجده ابن الجوزي البغدادي من مخالفة بعض التعاليم الصوفية أو المسلك الصوفي للتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها، وورود بعض الأحاديث الموضوعة.[6] إلا أنهم كانوا أكثر تعصباً من ابن الجوزي الذي اكتفى

(١) انظر عامر النجار، ٢٤.
(٢) التادلي: التشوق لمعرفة رجال التصوف ، ١٥٨.
(٣) م.ن: ٢٦٠.
(٤)م.ن: ١٤٧، وكرر ذلك ابن قنفذ:٦.
(٥) م.ن : ١٩٥.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم ٩/٥٩-٧٠.

بالتنبيه على تلك المواطن لمعاصريه شفاهاً أو في تثبيتها في كتبه. أما فقهاء الأندلس والمغرب الأقصى فإنهم لم يكتفوا بالنقد الشفوي أو التحريري بل عمدوا إلى إحراق الكتاب.

فقد جاء عن فقهاء المغرب أنهم حرضوا سلطان المرابطين علي بن يوسف ليصدر أمره بتحريم تداول الكتاب، وأن يحلف الناس بالإيمان المغلظة بعدم امتلاكهم له فشغل الناس بالأمر، وكان ممن شغل بالأمر ابن حرزهم الذي ذهب إلى الفقيه ابن النحوي التوزري (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م) ليستفتيه في ذلك، فأفتاه بأن تلك الإيمان لا تلزم أصحابها وكان عند ابن النحوي نسخة من كتاب الإحياء، يعتز بها وبقراءتها[١].

ثم احرق كتاب الإحياء بصحن جامع السلطان بمراكش فأحدث ردة فعل لدى المتصوفة فانتصر له منهم أبو محمد عبد الله المليجي (ت قبل ٥٤٠هـ/١١٤٥م) فقد ورد عنه أنه سأل عن الذين أفتوا باحرقه فكان كلما سمي له واحد منهم دعا عليه، ثم قال "والله لا أفلح هؤلاء الأشقياء فما جاء شهر حتى مات جميع أولئك الفقهاء".[٢] وممن انتصر له التادلي (ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) فإنه كان معجبا به حيث وصف الأحياء بقوله (فإن إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي هو المنتهي في ذلك. وقد ذكرت في فضائل الأحياء أثناء ذكر الرجال الأكابر ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، وما طعن عليه إلا علماء الدنيا أظهر عوارهم، والنهار لا يحتاج إلى دليل".[٣]

وكان ابن عاشر (ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) قد "جعل إحياء علوم الدين بين عينيه، واتبع ما فيه بجد واجتهاد،وصد وانقياد"[٤]. وممن تأثر بكتاب الغزالي هذا في التأليف أحمد بن العريف الصناجي الطنجي وكان يعيش في مدينة المرية مركز الدراسات الصوفية آنذاك فهذة إحراق كتب الغزالي فانبرى يعرض مذهب التصوف في كتابه

---

(١) التادلي: التشوف، ٧٢، مجهول الحلل الموشية: ٨٥.

(٢) التادلي، ١٢٤.

(٣) التادلي: ٦.

(٤) ابن قنفذ: أنس الفقير ٩.

(محاسن المحاسن) ويصنف في أحوال الصوفية، ومقاماتهم بحسب تعاليم الغـزالي وقـد توفي في مراكش سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م)[١].

وممن ألف وكتب بروح الغزالي عبد الجليل بن موسى بن القصري[٢]، وأبو محمد صالح بن محمد بن عبدالله بن حرزهم الفاسي (وهو عم أبي الحسن علي بن إسماعيل بن محمد)، وقد رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقى هناك الإمام الغزالي ثم عـاد إلى فاس ومات فيها[٣]، وكذلك قاض إشبيلية الشهير بأبي بكـر ابـن العـربي المتـوفى ٥٤٣هـ/١١٤٨م في رحلته إلى المشرق وأخذ منه الخرقة، وأعطاها بدوره إلى الشـيخ أبي يزع المتوفي ٥٧٥هـ/١١٧٩م، والشيخ علي بن حرزهم المـار ذكـره المتـوفي ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م.[٤]

وممن ذكر أنه التقى بالغزالي (المهدي بن تومرت) إلا أن المؤرخين غير مجمعـين على ذلك. أما القائلون بهذا فإنهم يوردون نبؤات على لسان الغزالي قالها للمـهدي في ذلك اللقاء، خلاصتها أن أمر المغرب الأقصى وزوال حكم المرابطين الذيـن احرقـوا كتب الغزالي سيكون على يد المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين.[٥]

ويبدو أن المهدي بن تومرت كان ممن تأثر بمنهج الغزالي في المنطق شأنه شأن ابـن العربي أو غيره من أهل المغرب.

ويعتقد بأنه كان وراء النبؤات التي وردت على لسان الغزالي من أجـل تحقيـق غرضين أساسين هما: [٦]

١- استمالة الفقهاء الحاقدين على المرابطين بسبب إحراقهم لمؤلفات الغزالي وخاصة الأحياء.

---

(١) الفريد بل: الفرق ٣٨٠.
(٢) ن.م : ٣٨٥.
(٣) التادلي: ٧١.
(٤) الفرير بل: ٣٧٨.
(٥) حسن حلاب: الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الأدب) ٢١.
(٦) حسن حلاب: ٢١.

٢- التأكيد على مشروعية دعوته وحتمية نجاحه.

وهكذا لقي التصوف المتأثر بالغزالي قبولا عاما في المغرب؛ وهذا أدى بـدوره إلى ازدهار حركة التصوف وظهور كبار الأولياء في القرن السادس والسابع الهجريين. وقد نشر تلاميذ هؤلاء المتصوفة التصوف في الريف الإفريقي فأنشأوا زوايا لتعليم مبادئـه. وقد أسهم الصوفية في نشره في الأرياف.

وبهذا مهدوا السبيل للحركة الصوفية الكبيرة الشعبية التي ستنشر ابتداء من القـرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي لتشمل الشمال الإفريقي كله.[١]

## ٢. الطريقة القادرية:

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (الجيلي والكيلاني) محي الديـن أبو محمد بن أبي صالح بن جنكي الحسني المتوفى ببغداد سـنة ٥٦١هـ/ ١١٦٥م، والذي وصف في وقته بأنه شيخ العصر وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهـل الطريقة، وصاحب الكرامات والمقامات، والعلوم والمعارف. كان يقوم بـالتدريس في مدرسته التي دفن بها من بعد، فأصبح له صيت، وعد شيخ الحنابلة وأمامهم. وكـان ظهوره صوفيا مشهورا بعد عام ٥٢٠هـ. فقد ألف جملة كتب منها (الغنية لطـالبي طريق الحق). (الفتح الرباني) و(فتوح الغيب) و (الفيوضات الربانية).

وكان يدعو في كتبه إلى الالتزام بالشرع الإسلامي وأداء واجباتـه، والاهتمـام بالنظافة بكافة أشكالها، وبيان السلوك الصوفي الصحيح، والابتعاد عن المقصرين وأهـل البطالة. وقد أصبح له أصحاب ينسبون إليه، كما أنه ترك ذرية كبيرة هـم أبنـاؤه، وأحفاده الذين ساروا على طريقته.[٢] ثم انتشروا بعد ذلك مثل جيلانية بغداد، حمـاه، وطرابلس[٣] وهناك من يتسمى بالجيلانية (أو الجيلالية) أو الكيلانية أو القادرية في المشـرق

(١) الفريد بل: ٢٩٤.

(٢) الشعراني: الطبقات الكبرى ١/ ١٠٨-١١٤، د. بدري محمد فهد: تاريخ العراق، ٣١٩-٤٠٢.

(٣) محمد رشيد رضا: مادة (الشيخ عبد القادر الجيلاني) دائرة معارف البستاني ١١/ ٦٢١-٦٢٤.

الإسلامي أو في مغربة ممن سلك طريقته. وقد ألفت في مناقبه كتب كثيرة بلغت نحواً من عشرين مصنفا. أما الكتب التي ألفت عن سيرته ونسبه من قبل المؤرخين النسابة فقد بلغت نحو ٧٠ مصنفا[١]. انتشر صيته في حياته لهذا قصده في مدرسته أناس كثيرون من مختلف الأقاليم الإسلامية ولا سيما المتصوفة والزهاد، لسماع دروس ووعظه والانخراط في مسلكه. كما كانت مواسم الحج مناسبة للقاء بين المتصوفة والعلماء وطلاب العلم وتبادل المعلومات والسماع بعضهم عن بعض، وهذا ما حصل للشيخ عبد القادر الجيلاني، فقد التقى في أثناء الحج أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري التلمساني (المتوفى سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) بالعباد خارج تلمسان.[٢] الذي جاء المشرق الإسلامي ليقبس قبسات أخريات من شيوخ التصوف بعد أن عاش مع أستاذه أبي يعزى سنين[٣].

وقد وصف عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر هذا اللقاء فقال "لما حج والدي رحمه الله تعالى في السنة التي كنت معه فيها اجتمع به في عرفات الشيخان ابن مرزوق، وأبو مدين ولبسا منه خرقة البركة، وسمعا عليه جزءاً من مروياته وجلسا بين يديه[٤]. ولما رجع أبو مدين إلى المغرب أصبح له اتباع وتلاميذ إلا أن صلته فيما يبدو لم تنقطع عن شيخه عبد القادر الجيلاني[٥].

وفي تلمسان اتجه أبو مدين لتعليم الطريقة الصوفية لمريديه وتلامذته فتخرج به الشيخ عبد الرزاق الجزولي، وعبد السلام ابن مشيش، ومحي الدين بن عربي[٦]. وهكذا تشابكت صلات الصوفية مريدين ومشايخ في شمال أفريقيا كما تشابكت طرقهم فيها.

وزاد من تشابكها صلة النسب بين بعض المشايخ فإن حفيدة الشيخ أبي مدين التلمساني (فاطمة بنت محمد بن احمد بن عبدالله بن مدين بن شعيب) كانت أم سيدي

---

(١) م.ن.

(٢) التادلي: ٣١٦

(٣) د. الشيال: إعلام الإسكندرية: ١٦٤، دائرة المعراف: ٤٠١.

(٤) التادفي: قلائد الجوهر ٦٠ نقلا عن النجار : ١١٨.

(٥) الشطنوفي: ١٥.

(٦) عامر النجار: ١١٨.

أحمد البدوي شيخ الصوفية في مصر[١]. وكان ابن مشيش أستاذا للصوفي المشهور الشاذلي صاحب الطريقة المنسوبة إليه والتي نشأت في مصر، وتفرعت منها فروع في شمال أفريقيا كما سيأتي بيانه.

وكان لهؤلاء الصوفية أتباع الطرق الكبيرة أو فروعها أثر في نشر التصوف في شمال أفريقيا ما بين المغرب الأقصى ومصر[٢]. ويبدو أن العهد الموحدي (في المغرب الأقصى) ساعد على نشر التصوف هناك، حيث أن شيوع الترف والبذخ والاستمتاع لدى الحكام ومن يلوذ بهم من الموظفين، فضلاً عن إهمال الناس لقواعد الدين والسلوك. وكذلك للنزعة العقلية التي اتجه إليها الموحدون في إدراك ذات الله وصفاته[٣]. فسار التصوف قدما وتفرعت الشاذلية هناك إلى فروع فيما بعد هي:

الطريقة الوزانية، الطيبة التهامية، الحمدوشية، التجانية غير أن الأخيرة انفصلت عنها، وزعم صاحبها أنها مستقلة بنفسها، ثم الطريقة الدرقاوية، والشرادية.

وتفرعت الدرقاوية عدة فروع كل شيخ من اتباعها نسبت إليه طريقة ، فمنها طريقة مولاي العربي، والطريقة الحراقية والطريقة الألغية السوسية والناصرية بتامكروت.[٤] وإذا وصلنا إلى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين السادس عشر والسابع عشر الميلادي وجدنا عدد الطرق كثيراً وزواياها عديدة تفوق عدد المساجد. وقد اختلط فيها أمر الصالحين بمدعي الصلاح من ذوي الأغراض الفاسدة والمشعوذين وعسر بذلك تمييز الطيب من الخبيث، غير أن هناك بعض الزوايا التي أجمع الناس على صلاح أهلها لاستقامة سلوكهم واشهر هذه الزوايا.

الدلائية: التي أسسها محمد بن أبي بكر الدلائي، الذي يتصل سند تصوفه من

---

(١) الجوهر الصمداني: لعبد الصمد زين الدين، ٣٣ نقلا عن عامر النجار: ١١٧.

(٢) النجار: ٢٥٩.

(٣) الفريد بل: ٣٧٨، ٣٧٩.

(٤) عبد الله الجراري: ٧٦.

طرق مختلفة إلى الشاذلي[١]. والناصرية التي تنسب إلى سيدي محمد بن ناصر في درعة جنوب المغرب الأقصى. والفاسية: التي نسبت إلى سيدي عبد القادر الفاسي[٢].

### ٣. الطريقة الرفاعية:

تنسب هذه الطريقة إلى السيد أحمد الرفاعي: محيي الدين أبي العباس أحمد بن علي المتوفي ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م في قرية أم عبيدة في سواد واسط. وقد شاع ذكره واشتهر بكلامه الرفيع، وأسلوبه البديع، وقد انضم إليه خلق عظيم من الفقراء والتلاميذ، واتبعوه ونسبوا إليه، فقيل لهم الرفاعية والبطائحية. وقد نسب إليه كتاب (حال أهل الحقيقة مع الله)[٣]. وفيه ينصح أتباعه بدراسة القرآن والحديث النبوي والالتزام بالمروءة وكرم الأخلاق، كما يعلمهم آداب التصوف. وقد أصبح له أتباع في حياته يعدون بالآلاف يجتمعون في قرية أم عبيدة وأصبح قبره فيها بعد وفاته محط الرحال لسالكي طريقته. كما أصبح له اتباع في غير العراق أيضاً.

وقد صنف كثيرون كتبا خاصة به وبطريقته واتباعه كما جمع بعض كلامه في رسالة سميت (رحيق الكوثر) ونسب إليه شعر[٤]. ولقد مرت الإشارة إلى أن الصوفية كانوا خلال تجوالهم في البلاد الإسلامية يلتقون فيما بينهم فيأخذ صغيرهم عن كبيرهم، كما كانوا يزورون مقابر المشايخ المشهورين للتبرك بها والتعرف على الملمين بها. فممن ألم بقرية أم عبيدة الصوفي المغربي المشهور أبو الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) بعد أن تجول في معظم بلدان المغرب. وعند دخوله إلى العراق اجتمع بالولي أبي الفتح الواسطي عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م وهو تلميذ الرفاعي، ثم عاد الشاذلي بعد ذلك إلى مصر. ثم أن أبا الفتح الواسطي وفد إلى مصر سنة ٦٣٠هـ/

---

(١) محمد حجي: الزاوية الدلائية ٤٨، ٥٠.

(٢) م.ن ٣٨.

(٣) الشعراني: الطبقاتا لكبرى ١/١٢١-١٢٥، د. بدري محمد فهد: تاريخ العراق، ٤٠٢-٤٠٧.

(٤) الزركلي: الإعلام، ١/١٦٩.

١٢٣٢م لنشر الطريقة الرفاعية. وكان يلقي دروسه في مسجد العطارين في الإسكندرية، وقد أصبحت بينه وبين علماء الإسكندرية مساجلات وخصومات علمية كثيرة، وتوفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٢٤م.(١) ويبدو أن للواسطي أثرا كبيرا في انتشار الطريقة الرفاعية في مصر، حيث أخذ عنه عدد كبير من المتصوفة ولما وصل خبر وفاته إلى الرفاعية بالعراق لم يجدوا من يخلفه في طريقتهم فوقع اختيارهم على السيد أحمد البدوي يخلفه في زعامة الرفاعية بمصر(٢).

ومن مشهوري تلاميذ الرفاعي بمصر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن أحمد الشهير بالدريني المتوفي في (٦٩٤هـ أو ٦٩٨. أو ٦٩٩هـ) الذي تابع الرفاعي في الجانب العلمي بشكل خاص. فكان على وفاق مع ظاهر الكتاب والسنة(٣).

ثم شاعت في مصر من بعد الطريقة السطوحية للسيد البدوي والبرهامية للدسوقي المتأثرين بالرفاعية(٤).

ومن مصر امتدت فروع للطريقة الشاذلية بعد أن تفرعت في مصر إلى ١٥ فرعا(٥). فذهبت إلى جنوب وادي النيل وكان من اتباعها الشيخ حمدين المجدوب ١١٠٥-١١٩٠هـ/ ١٦٩٣-١٧٧٦م، وكان ممن درس الفقه وعلم الكلام ثم انتصب للتدريس ورزق القبول عند الخاص والعام. وقد ازدهرت على يد حفدته المجاذيب وعرفت باسم (المجذوبية)(٦). وامتدت إلى المغرب الأقصى وأصبحت هناك عدة طرق متفرعة عن الشاذلية مثل الزروقية، والعيساوية، والجزولية والغزوانية، وطريقة أبي عمر القسطلي بمراكش، وطريقة الصالح محمد الشرقي، والطريقة المباركية

---

(١) الشياك: أعلام الإسكندرية، ١٦٦. عامر النجار ١٨٢.

(٢) النجار، ١٢٢، ١٢٣.

(٣) علي صافي حسن: الأدب الصوفي في مصر ٨٥-٩٠.

(٤) ن.م: ٤٨، ٤٩.

(٥) عامر النجار، ٢٢١.

(٦) الجعلي ، ٧٣، وانظر د. يوسف فضل حسن، ١٩٠ فما بعدها.

والسنوسية التي أسسها سيدي محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢-١٢٧٦هـ/ ١٧٨٧-١٨٥٩م)،[١] وقد انتشرت في إفريقية الشمالية وتناثرت زواياها من غرب الدلتا في مصر إلى المغرب الأقصى، كما امتدت إلى الداخل في واحات الصحراء الكبرى. وكان مقر السنوسية واحة جغبوب في صحراء ليبيا[٢]. وقد اكتسبت سمعة وشهرة بين أهل وادي كما انتشرت زواياها في نواحي فزان، واير، وتبيستي، ويوركو، واندي، وكانم، ووادّاي، وباجرمي.[٣]

وكانت تسعى لنشر العلم وبث الدعوة الإسلامية وقد رفعت راية الجهاد عند احتلال إيطاليا لبرقة. وكان على رأس المجاهدين عمر المختار ثم انتقلت بعد ذلك من الطور الروحي إلى الطور السياسي وأصبحت دولة مستقلة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.[٤]

ومن فروع الشاذلية بالمغرب الأقصى الدلائية التي مرت الإشارة إليها. وقد أصبحت هذه الطريقة دولة داخل الدولة السعدية. وذلك في أواخر العهد السعدي عندما لم يبق للسعديين في جبال الأطلس وبلاد تادلا إلا الاسم. وكان لا بد من وجود قوة محلية في تلك النواحي تعمل على حفظ الأمن وتأمين السبل وحماية القوافل وهكذا تكون في الدلاء جيش لهذه الأغراض، فتحولت الزاوية إلى إمارة مستقلة عن السعديين، فرضت وجودها على الدولة المعاصرة آنذاك فأصبحت لها علاقة تعاون وتجارة مع دول أوربا.[٥]

### ٤. انتشار الطريقة القادرية في القارة الإفريقية:

انتشرت الطريقة القادرية في شمال إفريقيا وأصبح للشيخ عبد القادر في كثير من

---

(١) عامر النجار، ٢٢١.

(٢) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ٢٨١-٢٨٢.

(٣) د. إبراهيم طرخان: إمبراطورية برنو ٧٥.

(٤) عبدالله الجراري ٧٧.

(٥) محمد حجي: الطريقة الدلائية ١٣١، ١٧٧.

المدن مشاهد تزار من قبل الناس يجتمع فيها اتباع طريقته ثم امتدت الطريقة إلى الصحراء الكبرى جنوبا، وإلى أفريقيا الغربية جنوب الصحراء. وكان ذلك في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي على أيدي مهاجرين من توات tuat، وهي واحة تقع في الجانب الغربي من الصحراء الكبرى. ثم اتخذوا من ولاته Walata أول مركز لطريقتهم ولكن أحفادهم طردوا من هذه المدينة فيما بعد فلجأوا إلى تنبكت فأقاموا فيها.

وفي مستهل القرن التاسع عشر الميلادي نجد النهضة الروحية الكبيرة التي شملت العالم الإسلامي، قد امتدت إلى هذه البلاد فدفعت بالقادرية الذين كانوا يقيمون على حافة الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي إلى حياة ونشاط جديدين، ولم يمضي وقت طويل حتى وجدنا فقهاء مثقفين وجماعات صغيرة من المريدين قد انتشروا في أرجاء السودان من السنغال إلى مصب النيجر. وقد قامت مراكز دعوتهم الرئيسة في لنكاو تمبوه Timbo (في غينيا) بجبال فوتاجالون، ومسردو Musrdo الواقعة في بلاد الماندنجو Mandingo على نهر جامبيا. وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الإسلامية في وسط شعب وثني رحب بالقادرية لكونهم كتابا وفقهاء وكتاب تمائم ومعلمين. وتسلط القادرية على كل من كان يحيط بها شيئا فشيئا وسرعان ما تطور الدخول في الإسلام من حالات فردية إلى جماعات صغيرة. فكان يرسل من هؤلاء الذين أسلموا في أغلب الأحيان من هم معقد الرجاء إلى المراكز الرئيسية للطائفة أو إلى جامعات فاس والأزهر.

وربما قضوا في هذه البلاد عدة سنوات حتى يتقنوا دراستهم الدينية ثم يعودون إلى أوطانهم مزودين ومهيأين لنشر العقيدة بين مواطنيهم[1]. وعلى هذا النحو تسربت مبادئ الإسلام إلى عبدة الأوثان والأصنام. وانتشرت العقيدة الإسلامية تدريجا انتشارا عظيما بصفة مستمرة وبخطوات غير محسوسة في الغالب. وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي يؤسسون المدارس في السودان ويشرفون عليها وكان

---

(١) آرنولد: الدعوة، ٣٦٥.

هؤلاء المعلمون قد نزلوا في كنف القادرية، ونظامهم الذي أقاموه على طريقة منتظمة مستمرة في دعوة القبائل الوثنية. وكان نشاط هذه الجماعة في الدعوة ذا طابع سلمي للغاية ويعتمد كل الاعتماد على الإرشاد وعلى أن يكون الواحد منهم قدوة لغيره.

كما كان يعتمد على مبلغ تأثير المعلم منهم في تلاميذه ويعتمد على انتشار التعليم. وبهذه الخطة برهن دعاة القادرية في السودان على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة ولتقاليدها العامة وذلك لأن أهم المبادئ التي كانت تسيطر على حياة عبد القادر هي حب الجار والتسامح.

ومع أن الملوك وأصحاب الثراء كانوا يرسلون له هداياهم فإن كرمه البالغ يجعله دائما في فقر، ولا نجد في كتبه ولا في مواعظه ما يدل على سوء نية أو عداوة نحو المسيحيين. وكان كلما تكلم مع أهل الكتاب لم يزد على أن يعبر عن أسفه على ما هم فيه من باطل ويدعو الله أن ينير لهم السبيل. وقد أوصى تلاميذه بهذا السلوك السمح الذي كان صفة بارزة في اتباعه في جميع العصور.[1]

أما أشهر دعاة القادرية في غرب إفريقيا فهم الشيخ المختار الكنتي الذي يمثل الأصل، وأحمد (أمادو) بمبا الذي كون لنفسه فرعا عرف باسم المريدية، والشيخ محمد فاضل شيخ فرع الفضيلية.[2]

أ- الشيخ المختار الكنتي (ت١٢٢٦هـ/١٨١١م) الذي ولد في المنطقة الموريتانية المتاخمة لجمهورية مالي الحالية، وهو ينتمي إلى القبيلة العربية الكبيرة (كنته) درس العلوم على مشاهير عصره. وقد شهدت مناطق موريتانيا الشرقية والسودان الغربي على عهده نهضة فكرية كبرى تجسدت في انتشار المدارس وكثرة الطلبة الذين يجوبون المنطقة لاقتباس العلم من الشيخ وابنه الذي خلفه.

---

(١) آرنولد ٣٦٦.

(٢) محمد بلو: اتفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور ٢٢٠-٢٢٤. وانظر د. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي ٥٦٢-٥٦٣.

لم تقتصر علاقة سيدي المختار على علماء الدين الذين عاصروه، ولا على الاتباع الذين انضموا إلى طريقته الصوفية، أو الذين تلقوا العلم في مدرسته، بل كانت له علاقة واسعة مع الأمراء الذين يحكمون في غرب إفريقيا على عهده، فقد عثر على الرسائل التي كان يتبادلها مع المجاهد المعروف (عثمان دان فوديو) بنيجريا، كما كان ابنه سيد محمد يتبادل مع أبناء عثمان دان فوديو الرسائل.

وقد كانت مؤلفات كل من الشيخ سيدي المختار وابنه متداولة في نيجيريا كما كانت مؤلفات عثمان دان فوريو متداولة في موريتانيا.

وكانت هناك علاقة حميمة بين مؤسس دولة (ماسنة) أحمد لبو في حمد الله (مالي) والشيخ سيدي المختار، وهذا يفسر لنا سبب مناصرة حفيده الشيخ سيد أحمد البكاي لأمراء ماسنة في (حمد الله).

ومن أبرز تلاميذ الشيخ سيدي المختار وأبنائه الروحيين الشيخ سيديا الكبير (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) الذي ساهم في نشر الطريقة القادرية في موريتانيا والسنغال. وكان على صلة روحية وعلمية وثيقة مع أحدِ ملوك الدولة (الإلمامية) في كل من فوتا جالون وفوتا تورو (أي غينيا والسنغال الحالية) وهو (المامي بيرم). كما كان الشيخ سيديا على صلة وثيقة كذلك مع والد الشيخ الكبير أحمد بمبا الذي سيظهر فيما بعد مؤسسا للطريقة المريدية المتفرعة من القادرية. والتي يناهز اتباعها ثلث سكان جمهورية السنغال. والذي ناصب الفرنسيين العداء[1].

ب- الشيخ محمد فاضل ١٢٨٧هـ/ ١٨٦٩م وهو يمثل الفرع الثاني من فروع القادرية وقد رفع هذا الشيخ نسبه إلى النبي ﷺ وقد انتشرت الطريقة القادرية على يده في المناطق الشرقية من موريتانيا. ثم اتبع وسيلة جديدة بتفريق أبنائه في جهات متعددة فكان منهم الشيخ المجاهد الكبير ماء العينين الذي جاهد الفرنسيين في موريتانيا

---

(١) أحمد ولد الطلبة: مساهمة الموريتانيين في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا: ٨،٩،١٠

والمغرب. ونشر كتبا عديدة أصبحت مرجعا في التصوف والجهاد والعلوم الإسـلامية بصورة عامة. واتباعه منتشرون الآن في موريتانيا والمغرب الأقصى.

واتباع هذه الطريقة في السنغال الآن يأتون في الدرجة الثالثـة بعـد التيجانيـة والمريدية.

كما أنهم انتشروا في بعض مناطق غامبيا وغينيا وسـاحل العـاج والكمـرون. وامتزجوا بالسكان الأصليين عن طريق المصاهرة مما سهل كثيرا من مهمتـهم في الدعـوة إلى الإسلام ونشر طريقته الصوفية.[1]

وعند منتصف القرن التاسع عشر قامت في جنوب سنغامبيا حركة على يد أحـد أفراد شعب الماندنجو تدعو لنشر الإسلام بين الوثنيين ويدعى رائدها أحمد صمـدو (أو صمودو)، وكان في الأصل جنديا وثنيا ولد عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦ واعتنق الإسـلام وجمع حوله القبائل وأسس حكومة قوية في جنوب سنغامبيا في الحوض الأعلى مـن نهـر النيجر وروافده. وقد بلغت حركته أوج قوتها عام ١٨٨١ فكان لا بد من أن يصطـدم بالفرنسيين القادمين لاستعمار هذه البلاد وهكذا حصل الصدام بين الفريقـين فوقـع أسيراً عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨.

وقد مات هذا الداعية ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ولم تكن انتصاراته وفتحه البـلاد هي وحدها التي ساعدت على نشر الإسلام في هذه المنطقة فهناك عامل آخر شلوك في هذا الأمر ويتمثل في روح التفاني التي خلقها في الداعية من إتباع القادرية مـن أجـل نشر الدعوة الإسلامية. فبذل أتباعه جهوداً كبيرة في سبيل ذلك وقد ساعدهم في نجاح مهمتهم ما عرف عنهم من تمسكهم بتقاليد الطريقة التي تدعو إلى التسامح. فخففـوا بذلك من غلواء الحاج عمر زعيم التجانية التي كانت أعماله مشوبة بشيء من القسوة.

وقد أسهموا في فتح كثير من المدارس في مدن هذه المنطقة، وحرصوا على تعليـم الذين دخلوا في الإسلام حديثاً. وسعوا إلى تفهيمهم نظام طريقتهم كما عملو في نفس الوقت على جذب مسلمين جدد إلى هذه الطريقة.

---

(١) أحمد ولد الطلبة: مساهمة الموريتانيين في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ص١.

ومما هو جدير بالذكر أن نشاط هؤلاء الدعاة من القادرية، وتجـــار المســلمين الذين كسبوا لدينهم مسلمين جدداً أدخلوهم في دينهم. وقد زاد عددهم عند ســيطرة الاحتلال الفرنسيين على هذه البلاد فتوقفت المعارك التي كانت تحصل بينـــهم وبــين الوثنيين. ولقد نال المسلمون المتعلمون بفضل تعليمهم وثقافتهم وتحضرهم الذي أمــلاه الإسلام عليهم احترام المستعمرين الفرنسيين بعد أن قارنوهم بالوثنيين (عبدة الفتـــش) من مواطنيهم الذين كانوا يمارسون العادات المنحطة والخرافات[1].

وإن محاولات القادرية ومن تثقف على أيديهم من سكان بلاد أفريقيا الغربيــة، لم تنقطع عن نشر الإسلام فممن عرف بجهاده لنشر الإسلام مرابط يدعى عمــرو كبـا Umaru Kaba.

حاول في أول القرن العشرين تحويل البمبارا Bambara وكانوا يسكنون السنغال الأعلى والنيجر الأعلى) إلى الإسلام، وكانوا محاطين بسكان مسلمين منـــذ قــرون، فأخفق. وقد أسس هذا الرجل جمعية إخوان دينية جديدة كانت على صلة بالقادريــة حاول أن يدخل البمبارا في الإسلام ويضمهم إلى جماعته وقد نجــح في أول الأمــر في تحويل قرية وثنية من ولاية سنسدنج إلا أن رئيس الولاية أبعد هذا الداعـــي خــارج الولاية وأمر من أسلم البمبارا بالرجوع إلى الوثنية[2].

ومن غرب إفريقيا زحفت القادرية نحو السودان الأوســط أي وســط القــارة الإفريقية حيث بلاد الهوسا وإمبراطورية كانم-برنو.

وقد انتشرت بين الفولانيين أكثر من غيرهم، وممن سلك فيها الزعيــم المصلــح الشيخ عثمان دان فوديو الفولاني[3].

---

(١) آرنولد ٣٦٩.

(٢) م.ن ٣٥٨.

(٣) د. إبراهيم طرخان ٧٤-٧٥.

وانتشرت القادرية في شرق إفريقيا وفي السودان الشرقي كما انتشرت في غرب أفريقيا، ويبدو أنها سلكت طريق الحج عبر البحر الأحمر إلى هناك، ومع المهاجرين القادمين من جنوب الجزيرة العربية والذين استوطنوا السواحل الشرقية المقابلة للحبشة.

وقد وصلت القادرية إلى بلاد الحبشة في القرن الخامس عشر الميلادي، أما قبل ذلك فالغالب أنها لم تصل وذلك لأن ابن فضل الله العمري الذي زار هذه البلاد في أوائل القرن لم يذكر الطرق الصوفية، في حين ذكر الخوانق والربط والزوايا والمدارس التي كانت منتشرة.

وكانت القادرية أول الطرق انتشارا في الحبشة. وقد جاءها على أيدي المهاجرين من اليمنيين والحضارمة كما أشرنا سابقا وقد انتشرت في الموانئ مثل مصوع، وزيلع، ومقديشو وفي بعض المدن الساحلية الأخرى.

ولما حل القرن التاسع عشر الميلادي وبدأت حركة الأحياء الإسلامية تظهر في بعض أرجاء العالم الإسلامية وظهرت طرق جديدة امتد بعضها إلى بلاد الحبشة وبلاد (أرتيريا، جيبوتي، والصومال) مثل حركة أحمد بن إدريس الفاسي، وأشهر تلاميذه محمد بن علي السنوسي غير أن السنوسية لم تنتشر كثيرا في الحبشة على حين انتشرت الميرغنية، والختمية التي دخلت الحبشة على طريق كسلا، فضلا عن الطرق الأخرى مثل الرحمانية إحدى فروع الشاذلية، وقد انتشرت في سواكن ومصوع، والسامانية وقد انتشرت في جبرة (ارتيريا)، والرفاعية التي انتشرت بين الصوماليين، والتيجانية التي انتشرت بين الجلاخاصة.[1]

أما عن انتشار القادرية في السودان الشرقي، فإن الطريقة شقت طريقها إلى جبال النوبة في وقت لم يعرف.

ثم ظهرت في مملكة الفونج سنة ٩١٠هـ/ ١٥٧٧م وأن أول من نشرها تاج الدين البغدادي القادري الذي قدم السودان أول النصف الثاني من القرن العاشر عن طريق الحجاز حيث قابله داوود بن عبد الجليل التاجر السوداني ودعاه لزيارة السودان.

---

(١) حسن إبراهيم حسن ١٦٠.

وفي أثناء إقامته التي بلغت سبعة أعوام سلك تاج الدين عددا من المريدين في الطريقة القادرية فكان عجيب الكبير، ملك العبدلاب، وشاع الدين ولد التويم جد قبيلة الشكرية. وحجازي بن معين وبان النقا الضرير، ورحمة جد الحلاويين، وحمد النيحض صاح اسلانج، والعمدة ولد عبد الصادق[1].

وقيل أول من أتى بالقادرية هو الشيخ إدريس ود الأرباب ٩١٣-١٠٦٢هـ/ ١٥٠٧-١٦٥١) يروي أنه أخذها بمدد من الرسول ﷺ أو من شيخ يدعى عبد الكافي قدم عليه (بالخطوة) من المغرب. وربما كانت الرواية الأخيرة صدى لصلة صوفية بالمغرب وحول تلاميذ البهاري محمد الهميم الركابي وبان النقا الضرير الوثيقي وعبد الله العركي، وأحفادهم الصادقاب واليعقوبات والعركيين وغيرهم من المشايخ كالشيخ إدريس ودالارباب، وحسن ودحسونة. فازدهرت الطريقة القادرية حتى صارت مقصد غالبية السكان[2].

**٥- التيجانية (أو التجانية):**

طريقة تنسب إلى أحمد بن محمد المختار الجزائري (١١٥١-١٢٣١هـ/ ١٧٣٧-١٨١٥م) المولود في (عين ماضي) بالجزائر، وبها نشأ وتعمق في دراسة الدين الحنيف في شتى المراكز الدينية بمصر وبالمشرق. وبعودته إلى الجزائر أخذ بتدريس علم الحديث والتفسير في مدينة تلمسان. وكانت له استنباطات عميقة وأصلية من القرآن والحديث، نشر بعضها في كتاب جواهر المعاني الذي جمعه صاحبه الشيخ حرازم، وكتاب الجامع للشيخ سيدي محمد بن المشري[3]. وفي هذا الوقت أسس طريقته التي تعد فرعا من الطريقة الخلوتية. جاء في أثناء ترجمة أحد أصحابه وتلاميذه الشيخ علي حرازم "فتوجه معه إلى الحضرة الفاسية فلما وصلها وأقام بها مدة لقضاء وطره من

---

(١) الجعلي ٤٤-٤٥.

(٢) الجعلي: ٣٥، ٤٧، ١١٢، ١٤٨، وانظر د. يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ١٣٣

(٣) عبد العزيز بن عبدالله: الموسوعة المغربية ق٣، ص ١٤٠، ١٤١.

زيادة الروضة الإدريسية ثم لقنه الطريقة الخلوتية وألقى إليه ما قسمه الله له على يـــده من العلوم والأسرار السنية.."[1]

وكان قدومه فاس عام ١١٧١هـ بعد أن تضايق من نفوذه وإلى مدينة وهـــران العثماني، وحدث صدام بين أتباع الشيخ وأتباع الوالي. وفي فاس بـــنى زاويتـــه عـــام ١٢١٥هـ بحومة الدرداس المعروفة بالبليدة فيما بعد، والتي دفن فيها. وقـــد زيـــد في مساحة الزاوية من جهاتها المختلفة، واعتنى بأبوابها ومحرابها وسقفها وقبر الشيخ التجاني وتناولتها أيدي النقاشين بالزخرفة والتجميل. وجيء للقبر بقبة من تونس، وأصبحـــت مزاراً معروفاً يقصده أتباع الطريقة التجانية من أهل المغرب وغيره.[2]

وقد ألف التجاني من الكتب:

١- السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر.

٢- جوهر الكمال في الصلات على سيد الإرسال في الأدعية.

٣- جوهرة الحقائق في الصلاة على حيز الخلائق.

٤- حزب التضرع والابتهال.

٥- حزب المغني.

ومن دعاة التجانية المعروفين في شمال أفريقيا محمود بن علي التونســـي، محمـــد الكبير، محمد الصغير (ولدي أبي العباس)، والحاج علي بن عيسى، والعائد (حفيـــده)، أما في غرب أفريقيا أو شرقها فهناك غير هؤلاء ممن سيأتي ذكرهم.[3]

اتبعت التجانية طريقة القادرية في الدعوة ونشر الإسلام وقـــد ســـاعد تعـــدد مدارسهم على نشر العقيدة. إلا أن التجانية اختلفت عن القادرية أنها لم تتورع عـــن اللجوء إلى السيف ويعتقد آرنولد بأن جهود الدعاة المسلمين كانت أجدى في نشـــر

---

(١) سيكرج: كشف الحجاب ٦٩.

(٢) ن.م ٢٠، ٢١ فما بعدها، ٣٦ فما بعدها، عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية ١٤٠، ١٤١.

(٣) سيكرج: كشف الحجاب ٦٩.

الإسلام من أسلوب التجانيين الذين أقاموا دويلات صغيرة قصيرة العمر. ثم أن حملات التجانية كانت تجلب انتباه الغزاة الأوربيين أكثر من انتباههم للأعمال السلمية التي يقوم بها دعاة المسلمين. وعلى كل حال فإن نشاط التجانية فتح ميادين واسعة للدعوة في البلاد الوثنية.[1]

وممن نشط لنشرها في موريتانيا الشيخ محمد الحافظ (ت ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م) الذي درس على مشايخ عصره في موريتانيا، ثم سافر وادي فريضة الحج والتقى هناك ببعض أصحاب الشيخ التيجاني. فلما عاد إلى وطنه أصبح داعية لها، إلا أن طريقته لم تعبر نهر السنغال إلا بعد حين على يد أتباعه وأتباع أتباعه خصوصا على يد الحاج عمر تال الفوتي المجاهد المعروف. والحاج مالك سي وعبد الله انياس، ومن بعده ابنه الشيخ إبراهيم أنياس وكان ينتسب إلى مشايخ موريتانيين كثيرين كما ذكر في كتابه (كاشف الالباس). كما أن موريتانيين يعدون بالآلاف ينتمون إلى طريقته وكان هذا التبادل بين المشايخ والأتباع قائماً ومكثفا طول القرنين الماضيين.

والشيخ حماه الله (ت ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) الذي يرفع نسبه إلى النبي ﷺ ويرجع نسب أمه إلى قبيلة السونيتكية الإفريقية وهي قبيلة تتوزع حاليا بين موريتانيا والسنغال ومالي.

ونظراً لجهوده في مقاومة الفرنسيين فضلا عن نشره الوعي الديني بين أبناء قومه تعرض للنفي عدة مرات إلى ساحل العاج، والجزائر، وفرنسا حيث توفي هناك. ويوجد أتباعه الآن في كل من موريتانيا والسنغال ومالي وساحل العاج.[2]

أما أولى الحركات الحربية التي قام بها أفراد التجانية في نشر الدعوة فتعزى إلى الحاج عمر بن سعيد الفوتي الذي دخل الحركة التجانية على يد أحد أتباعها، الذي التقى به في مكة. وهو أبو عبد الله سيدي محمد الغالي الحسني ثم تدرج الحاج عمر في الطريقة حتى عد سلطان العلماء، وعالم السلاطين ولقب المجاهد أيضاً. واصبح بالنسبة لأتباع الطريقة بمثابة خليفة التجاني ونسبت إليه مؤلفات وقصائد من الشعر. وكان

---

(١) آرنولد ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) أحمد ولد الطلبة: مساهمة الموريتانيين من نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا. ص ١١، ١٢٢.

بنظر شيوخ الطريقة كما جاء ذلك في رسالة أبي العباس سيدي أحمد ابن محمد العلـــوي التجاني الشنجيطي إلى أخوانه المشايخ القاطنين بالمغرب؛ شيخ علم ودعوة، حيـــث قـــال "اعلموا أن الشيخ عمر (ر) شيخ علم وتعليم وتربية، له مريدون عديدون سكن هم في فلا من الأرض لم يسكنه أحد قبله، يعلمهم العلم الظاهر والباطن كليهما، ويذكرهـــم ويعظهم.."[1] وكان الحاج عمر قد ولد سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، على مقربة مـــن (بودور) Podor على نهر السنغال الأدنى، ويظهر أنه كان رجلا كـــريم الســـجايا، ذا نفوذ شخصي ومظهر يوحي بالسيطرة والقوة. وكان ابنا لأحد المرابطين وقد تثقـــف ثقافة دينية، واشتهر بعلمه وورعه حين خرج إلى الحج عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م وعاد إلى وطنه عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م. وقد مر عند عودته بمصر ولبث قليلا في الأزهـــر للدراسة، ثم مر بلاد برنو، وزار بلاد الحوسا. وقد تأثر بحركة الجهاد التي كانت قـــد انتشرت هناك على يد الشيخ عثمان دان فوديو، وابنه محمد بعده، إلا أنـــه لم يـــرض بالتساهل الذي كان عليه القادرية. وأخذ يعظ الناس، ويحثـــهم للعـــودة إلى عقيـــدة السلف، ولا ندري إن كان قد صاهر عائلة الشيخ عثمان في هذه الزيارة أم في غيرهـــا حيث ذكر عنه أنه تزوج من إحدى بنات السلطان بللو.

ثم غادر بلاد الحوسا إلى بلاد فوتاجالون (جمهورية غينيا) وعـــرج علـــى بـــلاد البامبارا فانضم إليه قسم من شعب الفولة (الفولانيين) يقال لهم الواسولونكة جنـــوب النيجر الأعلى. كما نجح في كسب كثير من الأتباع في إفريقيا الغربية، وقد نظر إليـــه كمهدي جديد. وما أن وافت سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م حتى بشر أتباعه بأنه قـــد أذن له بالجهاد حيث قال "لذا أعلمني الله تعالى بعد العشاء ليلة الاثنين لعشر بقين مـــن ذي القعدة الحرام عام ثمانية وستين ومائتين وألف، باني مأذون في الجهاد بهاتف رباني يقـــول لي: أذنت في الجهاد في سبيل الله ثلاث مرات..."[2] وكان قد بلغ جبال فوتاجـــالون حيث سلح أتباعه وبدأ سلسلة من الحملات لنشر تعاليم الدعـــوة ومجـــاهدة الغـــزو

---

(١) سكيرج: كشف الحجاب ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٣٥.

(٢) م.ن ٣٣٦.

الفرنسي لطرده من البلاد. فبنى قلعة حصينة في شمال النيجر في دينقيراي Dinquiray وهزم البمباره (البلمبارا) الوثنيين في تومبا، واستولى على كوناكري في بـــلاد غينيـــا (وهي عاصمة البلاد الآن). وفي سنة ١٨٥٤ جعل مقره العام في نيورو شمال الســـنغال الأعلى ثم استولى على مملكة سيفو على الضفة اليمنى من متوسط النيجر، وعلى بـــلاد ماسينة (ماسينا).

ولقي حتفه في سنة ١٨٦٥م فخلفه ابن أخيه أحمد وشيخو في زعامة التيجانيـــة وبقي لفترة قصيرة في عاصمته سيفو زعيما للبلاد التي كان الحاج عمر زعيما لها. حـــتى قبض عليه الفرنسيون[١].

وقد لعب الحجاج دوراً هاما في نشر الطريقة كما لعب كتاب (دلائل الخـــيرات) دورا في نشر التجانية بأرجاء السودان. لقد أدى كل ذلك إلى حمل الناس على الاتجـــاه إلى الله والابتعاد عما شاب الدين من عادات وتقاليد وثنية، والتوجـــه إلى الجهـــاد بروح صافية ورغبة حقيقية في الشهادة لذلك كانت هذه الحركة الصوفيـــة مدرســـة للإصلاح ولمحاربة الأجنبي المحتل[٢].

إلا أن المنازعات الداخلية لكبار رجال الحركة عجلت باستيلاء الفرنسيين علـــى البلاد[٣].

ولم تحل سيطرة الأوربيين على غرب أفريقيا وتقسيمها فيمـــا بينـــهم وفـــرض قوانينهم عليها دون نشاط التجانية في نيجريا الجنوبية في ظل الحكم البريطـــاني أو في الجهات الأخرى التي خضعت للفرنسيين أو غيرهم فاســـتطاع مســـلحوا الهوســـا (الحوسا) الذين تحول كثير منهم إلى الطريقة التجارية أن ينتقلوا في البلاد بحرية[٤].

(١) آرنولد ٣٦٧، د. عبد الرحمن زكي: تاريخ دول ٣٨، ٢٠٣.

(٢) د. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي ٥٦٣.

(٣) آرنولد ٣٦٧.

(٤) آرنولد ٣٦٢.

إن الطريقة التيجانية لم تبق مقتصرة على بلاد غرب أفريقيا بل امتدت إلى منـــــاطق أخرى مثل منطقة تشاد، بعد أن تحولت الطرق السابقة الـــتي كـــانت موجـــودة إلى التيجانية، مثل الطريقة العروسية التي أسسها العباس بـــــن عـــروس (ت ٨٦٥هـــــ/ ١٤٦٠م). وقد أعاد تنظيمها عبد السلام الفتري (ت١٢١٠هـــ/ ١٧٩٥م) نســبة إلى بحيرة الفتري وتعرف هذه الطريقة كذلك باسم (العروسية الإسلامية). غير أن إتبـــاع هذه الطريقة سرعان ما تحولوا إلى السنوسية ثم التيجانية.[١] وامتدت كذلك إلى مـــدن الهوسا وقد استطاع مسلحو الهوسا الذين يدينون بعقائد الطريقة التيجانية أن ينفـــذوا إلى القبائل الوثنية في نجيريا الجنوبية حيث نشروا الإسلام في مملكة اليوروبا. وكـــانت غالبية المسلمين في الفترة التي سبقت الاحتلال البريطاني تقيم في المدن الكبيرة، ولكنـهم أصبحوا الآن يستقرون في القرى على مقربة من أعمالها الزراعية وبذلك أخــذ نفــوذ الإسلام يزداد اتساعا في هذه البلاد.[٢] فالطريقة التيجانية إذن قد انتشر اتباعها مــــن موريتانيا إلى نيجريا مرورا بأكثرية دول أفريقيا الغربية[٣].

(١) د. إبراهيم طرخان: إمبراطورية ٧٥.

(٢)د. حسن إبراهيم حسن ٨٢.

(٣) د. إبراهيم طرخان ٧٥.

## ٨ـ أثر الإسلام في انتشار العربية في إفريقيا

إن معلوماتنا عن غرب إفريقيا ووسطها وشرقها ترجع إلى ما كتبه العرب الرحالة والجغرافيون منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى القرن الهجري/ الخامس عشر الميلادي، في حين لم يعرف الأوربيون شيئا عن هذه البلاد حتى قامت حركات الاستكشافات والتبشير التي كانت طلائع الاستعمار لهذه البلاد.

أما معلوماتنا عن هذه البلاد بعد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي فنستمدها من مؤلفات علماء هذه البلاد من الأفارقة الذين لم تكن لديهم لغة مكتوبة غير العربية، وتمتد هذه الفترة إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

إن الكتابة بالعربية والتأليف بها قد عرفا من غرب إفريقيا منذ قيام دولة المرابطين ٤٧١-٤٧٥هـ/ ١٠٧٨-١٠٨٢م أي فترة انتشار الإسلام في هذه المنطقة. أما في شرق إفريقيا فإن العربية رافقت المهاجرين إلى هذه البلاد منذ صدر الإسلام. وقد كانت مؤلفات الأفارقة كثيرة في مختلف بلدانهم في شرق القارة أو في غربها ووسطها، في الأدغال أو الصحارى إلى أن حروب السيطرة الاستعمارية وتجارة الرقيق التي تلتها، وما قام به المبشرون من حرق ما وجدوه أدى إلى ضياع الكثير منه. وما سنعرضه فيما يأتي يعطي صورة جلية عن أثر الإسلام في قيام نهضة فكرية في هذه البلاد. وهو استعراض ودراسة تحليلية لبعض ما استطعنا الحصول عليه من مؤلفات الأفارقة المسلمين. أما التي ما تزال مخطوطة فإنها بعيدة عن متناول أيدينا. وسنتبع في استعراض هذه المؤلفات الموقع الجغرافي فنتناول أولاً مؤلفات الأفارقة في غرب إفريقيا ثم في وسطها وأخيراً في شرقها.

**أولاً: غرب أفريقيا.**

**١- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التواتي (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م):**

فقيه تلمساني الأصل، من قبيلة مغيلة البربرية التي كانت تقطن نواحي تلمسان (الجزائر حالياً).

لا يعرف عن مولده شيء، أو نشأته الأولى، ولا عن دراسته سوى أنه قرأ على الشيخ يحيى بن يدير، والشيخ الثعالبي ٨٧٥هـ في الجزائر.

ويبدو أن المغيلي بعد أن اكتمل نضجه، واستقام عوده في المعارف الدينية غادر تلمسان مكان إقامته والتحق بمدينة توات في الصحراء الكبرى جنوب الجزائر ليباشر الدعوة إلى الإسلام وإرشاد الحكام المسلمين في بلاد وسط أفريقيا وغربها مما كان يسمى (بالسودان).

فقد ذكر مترجموه أنه جال في بلاد أهـر، وتكده، وكنو، وكشن، والتكرور، وقد اختلط بأهلها حكاما ومحكومين، آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر.

وقد وصفه مترجموه بعد أن عرف واشتهر بأنه خاتم المحققين الإمام القدوة الصالح، الجدلي، النظار، والشيخ الفقيه الصدر أحد أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء. وأنه كان أحد الدعاة المتطوعين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(1). كان جهد المغيلي دَفْعُ من بيده السلطة إلى تطبيق قواعد الشرع فيما يقع تحت سلطته من البلاد، وتقديم النصح للسلاطين عند إبرازه لواجب الأمراء وما ينبغي أن يتحلى به الأمير لبلوغ هذا القصد. وما يجب عليه أن يلتزم به من قواعد الشرع فيما يستحدث من النوازل. وفي علاقته بالإمارات المجاورة إسلامية كانت أو كافرة. ومتى يكون الجهاد عليه فرضاً لا بد منه، وفيمن يجب هذا الجهاد.

وكانت موجبات آرائه ونصائحه ما شاهده وتعرف عليه في بلاد السودان من واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي وديني، كوجود الرقيق وخلط العبادات الوثنية المحلية بعقائد المسلمين لدى بعض القبائل وتصديق السحرة والكهان. ثم هنالك بلاد إسلامية كانت لا تدين لبعض السلاطين بالطاعة، وفي بعض بلاد السودان دول بها مسلمون وسلاطينهم ظلمة.

---

(1) ابن مريم، البستان، ص ٢٥٣، التمبكتي، نيل الابتهاج، ص ٣٣٠-٣٣٢، ابن عسكر، دوحة الناشر، ص١٣٠، أحمد حمدان العلمي، رسالة المغيلي في اليهود، مجلة كلية الآداب بفاس، ص ١٠٤.

ومما استأثر باهتمام المغيلي ممارسات اليهود الدينية والدنيوية الخالية من كل قيد وشرط، فيدهم عليا في الاقتصاد حيث فيهم التجار ذوو المناصب العليا كالوزارة، وشعائرهم تقام علنا، والجزية ساقطة عن بعضهم لخدمتهم السلطان.

ولما عرفت مكانة المغيلي وفضله بين قادة وسلاطين بلاد السودان، دانوا له بالطاعة، والتزموا بالأخذ بفتواه لذلك أصدر المغيلي فتواه بشأن التجار اليهود حتى لم يعودوا بعدها يدخلون بلاد السودان[1]. وتوفي المغيلي في توات، وخلف الكتب والرسائل الآتية[2]:

١- البدر المنير في علوم التفسير.
٢- شرح مختصر خليل، في الفقه المالكي، لم يكمله.
٣- مفتاح النظر، في علم الحديث.
٤- التعريف فيما يجب على الملوك.
٥- مختصر تلخيص الفتاح، وهو في البلاغة.
٦- النظم الكامل في علم الميزان، لعله في العروض، منه نسخة في الخزانة البلدية بتطوان تحت الرقم ٨٨٩.
٧- تأليف في المنهيات.
٨- الفتح المبين.
٩- منح الوهاب، منظومة في المنطق.
١٠- شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفرعي، في الفقه.
١١- مقدمة في العربية.
١٢- فهرست مروياته.
١٣- مراجعة مع السيوطي، ينتصر فيه المنطق وهو منظومة.

---

(١) د. أحمد العلمي حمدان، استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان – مجلة كلية الآداب بفاس، عدد خاص، ص ٨٩-١١١.

(٢) الزركلي، الأعلام، ص ٧-٨٤، د. أحمد العلمي حمدان، ص ٨٩-١١١. الطيب عبد الرحيم محمد، المخطوطات العربية في نيجيريا الاتحادية، ص ١٠.

١٤- قصيدة في مدح النبي ﷺ ، لعلها التي عارض فيها البردة كما جاء في بعض المصادر. والقصيدة موجودة ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت الرقم ٦٨٣ق.

١٥- شرح الجمل للخونجي، في المنطق.

١٦- منح الوهاب في رد الفكر على الصواب، منظومة في المنطق، يوجد مخطوطاً وعليه شرح موجز للمؤلف ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقمه: ٢٢٣١د.

١٧- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، في الاعتقاد، مخطوط ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقمه: ٢٦٦د.

١٨- مراجعات مع السنوسي (محمد بن يوسف ٨٩٥هـ) في الكلام، مخطوط في خزانة القرويين تحت رقم : ١٥٣١.

١٩- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، في التصوف.

٢٠- أجوبة على أسئلة الأسقيا (ألاسكيا حاكم دولة سنغي). وهي رسالة في السياسة الشرعية، نشرها عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٤م.

٢١- رسالة في الإمامة، وهي في السياسة الشرعية، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : ١٨١٦د، وكذلك تحت رقم : ٣٦٤د.

٢٢- رسالة إلى أمير (مدينة) كانو، وهي في السياسة الشرعية نشرها الأستاذ رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٩٦٨م.

٢٣- رسالة في اليهود، وهي في السياسة الشرعية، نشرها الأستاذ رابح بونار، تحت عنوان "مصباح الأرواح"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٦م.

٢٤- استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان، رسالة في أمور السلطنة، تحقيق الدكتور أحمد العلمي حمدان- مجلة كلية الآداب بفاس، العدد الخاص بالعلاقات المغربية الأفريقية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢- محمود كعت:

القاضي الكرمني التنبكتي (٩٥٥-١٠٠٢هـ/ ١٥٤٨-١٥٩٣م). كان عالماً مؤلفا وأحد مستشاري حكام دولة سنغي. (الحاج اسكيا محمد ) ومؤرخ دولة سنغي، له كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، يقع في ١٨٤ صفحة من القطع الاعتيادي. اعتنى بنشره وترجمته إلى الفرنسية المستشرقان هوداس وديلافوس، وطبع في باريس عام ١٩١٣م ثم أعادت طبعه اليونسكو مصوراً في مجلد واحد يضم الطبعتين العربية والفرنسية سنة ١٩٦٤م.

بدأ كتابه بالبسملة والتحميد متلوة بخطبة الكتاب التي اعتنى بسبكها وحبكها. مستشهداً بالأحاديث النبوية حتى خلص إلى غايته من تأليفه واتباعه لسنن القرآن من ذكر الماضي للعظة والذكرى وإنصاف الحق، وتخليداً لأيام زمانه التي حكم فيها خليفة عادل. وسلطان منصور هو أسكيا الحاج محمد (١٤٩٣-١٥٢٨م) الذي أشاع العدل في زمنه فامتدت دولته (دولة سنغي) شرقاً وغرباً، وأذعنت له الملوك طوعا وكرها. وأنه سماه: "تأريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوشَ وأكابر الناس" وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار.

ويمتاز هذا التأريخ بأن مؤلفه معاصر للأحداث، فقد أرخ لسلطان كبير من سلاطين دولة سنغي التي امتدت رقعتها ما بين شمال جمهورية نيجيريا الحالية شرقاً إلى شواطئ المحيط الأطلسي غرباً. ومن ولاية تغازة في الصحراء الكبرى في الشمال إلى مناطق الغابات الاستوائية جنوباً. وكان عمره في أثناء تولي السلطان الحكم ٢٥سنة كما قال ص(٥٤)، وقد صاحب المؤلف هذا السلطان في أثناء ذهابه إلى الحج مع من ذهب معه من العلماء والأعيان. (ص١٦)

ومارس الشيخ محمود كعت دور المستشار لهذا السلطان، وأصبح موضع ثقته، لهذا نراه يرسله موفداً عنه إلى السلاطين المجاورين لدولته (ص ٥٤).

وقدم صورة للحياة الإجتماعية في بلاد السودان، فوصف بيع الرقيق في سوق مدينة تنبكت (ص٧٥)، واعتقاد الناس بقبور الأولياء والصالحين. ففي أثناء كلامه عن

الفقيه عثمان درم القاضي ذكر أن قبره مجاب الدعوة وأنه رأى وسمع كثيراً من الذين جربوا زيارة قبره، وأن الأمر تعدى العامة إلى الفقهاء الذين عايشهم مثل الشيخ أحمد بابا التمبكتي والسيدين الفقيهين إبراهيم ومحمد ابني أحمد بغيغ (ص٩١). وأن المؤلف استعان بالرواية الشفوية عن تاريخ السلاطين السابقين لعهده مثل السلاطين والحكام الذين قاموا بالسفر للحج من بلاد السودان مثل الملك (كنك موسى ملك مالي) و (الباشا علي بن عبد القادر) (ص٣٣). أو السلاطين الذين دخلوا في الإسلام منذ العهود الأولى لانتشار الإسلام في السودان (ص ٤١).

وكانت روايته الشفوية عن شيوخه أو فقهاء عصره أو أفراد عائلته مثل قوله: هكذا روينا القصة عن خالنا الفقيه القاضي محمد الأمين بن القاضي محمود كعت – رحمهم الله (ص٨٩). أو قوله روى أحمد بن إبراهيم بن يعقوب أن اسكي محمد كان إذا مر عليه أسكي داود في الصباح عبس (في أثناء الكلام عن تولي أسكي داود السلطنة) (ص٩٣)، أو كذا ذكره الفقيه (ص١٢٩)، وما ذكره شيخي الفقيه، و حكى لي الشيخ..(ص١٤٥)، أو سمعت ممن أثق به يحكيه من حضر هناك (عن دخول الجيش المغربي السعدي إلى بلاد السودان) (ص١٤٧).

واستعان بالمصادر المكتوبة سواء فيما يتعلق بتاريخ السودان أو قيام دولة سنغي وتعاقب حكامها. فمن تلك المصادر:

أ- درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان، تأليف باب كور بن الحاج محمد ابن الحاج الأمين. الذي نقل عنه ذكر ولاية (شي علي). سلطنة سنغي ما بين ٨٦٩-٨٩٧هـ (ص٤٤)، ووفاته سنة ٨٩٩هـ (ص٥٢)، وعن عزل السلطان اسكيا محمد وتولية أسكيا محمد (ص١٢٦) وذكر الصراع بين الأساكي بعد عزل السلطان الحاج محمد (ص٨٥)، والغزو المغربي (السعيد) للسودان عام ٩٩٨هـ (ص ١٤٦)، وانظر (ص١٥٥).

ب- كفاية المحتاج في معرفة ما ليس في الديباج: لأحمد بابا التبكتي الآتي ذكره بعد قليل، نقل عنه ترجمة القاضي أبي الثناء محمود بن عمر بن محمد أقيت (ص٥٢)،

وذكر من مات من الفقهاء على عهد السلطان محمد بنكن (ص٨٥) وشيئاً عن علاقة السلطان داود بعائلة الشيخ أحمد باب التنبكتي (ص١١٥)، وانظر (ص١٢١).

وهناك أخبار نقلها عن أحمد بابا، ولكن لم يصرح إن كانت من "نيل الابتهاج" أو من "كفاية المحتاج"، بل اكتفى بذكر أحمد باب هكذا (ما ذاكره أحمد بابا نفسه في ترجمة والده المذكور). والخبر عن علاقة جد أحمد بالسلطان أسكي داود (ص١١٥).

جـ- نقول من مخطوطات لم يذكر اسماً لها مثل قوله : معنى (شي علي) اسم السلطان، ما وقفت عليه من خط بعض أئمتنا محمود.. (ص٤٤).

وبعد أن ذكر جملة من غزوات السلطان شي علي قال: "ونقلت هذا كله من كتاب الجد الفع[1] محمود بن الحاج المؤكل (ص٤٨).

وكذلك ما نقله عن أحد فقهاء تنبكت الفقيه القاضي عمر الذي كان أحد ضحايا حملة المنصور السعدي على بلاد السودان سنة ٩٩٩هـ بقوله: "ونقلت من شيخنا محمد ولد كرتم رحمهم الله"(ص١٧٤).

ونقل أيضاً من خط بعض الطلبة معلومات تتعلق بترجمة يحيى الأندلس العلوي الذي عاش في عهد السلطان شي علي وتولى منصب القضاء (ص٥٣). ونقل معلومات معاصر له عن الحرب التي دارت بين جيش المنصور السعدي المغربي وجيش دولة سنغي سنة ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م، من خط الفقيه الإمام أبي بكر سن بن عمر (ص١٥٢).

أما منهج الكتاب فإنه مرتب على توالي السلاطين، ثم يذكر الأحداث والوفيات في عهد كل سلطان بتواريخها (ص٤٤، ٤٨، ٥٢، ٥٣، ٨٢، ٨٥، ٨٧)، وخلال الأحداث وذكر وفيات العلماء والفقهاء يذكر أموراً شتى عن بلاد السودان. ويورد أسماء المقاييس المحلية المستعملة للطعام مثلاً فالأسكي داود نظراً للحالة الاقتصادية الجيدة في عهده كان يأتيه من الطعام في بعض السنين ما ينيف على الأربعة آلاف

(١) يبدو أنها "الفاهم "العربية، إذ هكذا كتبت في تذكرة النسيان. (بل هي صحيحة: فألفا أو الفع تعني الفقيه-الحوليات).

صينية (ص٩٤) وجمعها. صنون ويبدوا أنها أوعية من الجلد (ص١٠٠،١٠١)، وهناك مصطلحات أخرى مثل البعوات (ص١٠٢) والكملية وهي مقياس للملح (ص١٨٣).

ويبدو أن التعامل في الأسواق كان بالذهب، وبالودع وكانوا يدفعونه لقاء شراء الملح أو الكتب أو غيرها من السلع (ص١٠٨، ١٤٣، ١٧٣، ١٨٣). وإن الضرائب في أكثر الأسواق كانت تؤخذ على شكل أشياء عينية مثل الأسماك الجافة والعاج (ص١٤٩) فضلاً عن الضرائب المقررة الأخرى.

أما الشؤون الإدارية فإن تاريخ الفتاش قدم صورة للتنظيم الإداري، وذكر المصطلحات الإدارية المستعملة في دولة سنغي (ص١٤٥، ١٨٥).

وكان كعت ينقل الأخبار التي يسمعها ولا يثبت كل ما يقال له فبعد أن استعرض تاريخ غرب إفريقيا قبل مجيء الأساكي وذكر دولة كيمع والخلاف حول أصلهم إن كانوا من (وعكري) أو (نكر) من قبائل السودان قال: "والصحيح أن أصلهم ليسوا من السوادين والله أعلم".(ص٤٢)

وكان ينبه القارئ إلى بعض الأمور التي يراها مهمة مثل انتشار أولاد الشريف أحمد الحسن الصقلي، وذكر مكانة الولي الصالح محمد تل، والولي الصالح الفع صالح جور (ص٣١، ٣٢، ٣٣).

كما نبه القارئ إلى اسم عاصمة دولة سنغي، أنه يلفظ (كاع كما يلفظ كوكو) (ص٤٥)، وهذا راجع للقبائل المحيطة بدولة سنغي. فهناك من يلفظ (غاو) و ٠جاو) و (كاغ) أيضا[1].

ونبه القارئ إلى لقب (أسكي ) وأنه كان موجوداً من زمن سلطنة سي علي أي قبل مجيء (اسكيا الحاج محمد) بزمن (ص ٤٦).

كما أشار إلى القبائل المتفرعة من الأصليين (وعكري ونكر) الساكنة منطقة (ير) (ص ٤٨) وتكتب أيضا (اير).

---

(١) السعدي: ٣، ٤، ٥، وانظر د. محمد الغربي: ٥٣، حسن أحمد ، ممدوح: ٢٢٣.

ومن استطراداته أنه قارن بين السلطان "سي علي" و "الحجاج بن يوسف الثقفي" بقوله : ولا أحسب الحجاج بن يوسف مع سفكه للدماء وشره بالناس أن يتأتى له مثل هذا في مثل تنبكت" (ص٥٠).

أما اختصاراته للأخبار فهي ليست قليلة كأخبار الصالحين المجابي الدعوة (ص٩١).

وقصة موت أسكي محمد بنكن في أيام سلطنة أسكي إسحاق، وفي قصة موته سبب يطول ذكره (ص٨٧)، ومناقب أسكي داود وإحسانه لطلبة العلم وحميد سيرته مع الرعية "اكثر من أن يؤتى بعضه، فكيف بكله، وفي تتبعه طول" (ص١١٣).

وكذلك اختصار لمناقب اسكي داود حيث قال "وقد تركنا منها الكثير خوف التطويل والإطناب" (ص١١٥).

ومن جملة اختصاراته ما وقع لبلده لا سيما مدينته تنبكت على يد الباشا محمود المغربي، بعد سيطرة السعديين على بلاد السودان بقوله: "فكان من أمر الله ما كان مما لا ينبغي ذكره ولا يحتمل القلب جلب ما كان هناك عما عمله الباشا محمود المغربي بأهل تنبكت" (ص ١٧٣).

أما عن مركز القضاة في بلاد السودان فإن تاريخ الفتاش قد قدم صورة مشرقة للحضارة الإسلامية في هذه البلاد حيث ذكر معلومات عن تخوف القضاة من تولي القضاء لورعهم وتقاهم (ص٨٩)، وهذا تأكيد لما عرف وشاع في البلاد الإسلامية الأخرى اتباعا لأحاديث الرسول ﷺ المخوفة من عاقبة الخطأ أو الجور في القضاء. وذكر عدة مدن يحكمها قضاتها ومركزهم فيها لا يدانيه أحد مثل مدينة (تنبكت)، وكيف أن مركز القاضي فيها باعتباره متولي الشرع لا يدانيه سلطان غيره. ومثلها مدينة (جَعْبَ) في عهد سلاطين دولة مالي حيث كان لا يدخلها سلطان، والحكم فيها للقاضي. ومدينة (كنجور) بأرض كياك لا يدخلها جندي ولا يسكنها حاكم (ص ١٧٩).

وقدم "تاريخ الفتاش" صورة ثقافية عن بلاد السودان حيث ذكر المكاتب التي تعلم القراءة والكتابة للصبيان وكيف يستعملون الألواح لتلك الغاية (ص ٩٠). والتي

ما تزال تستعمل في بعض مناطق المملكة المغربية والدول الأفريقية الإسلامية. فضلاً عن قراءة بعض الكتب ودواوين الشعر من قبل الطلبة علـــى مشـــايخهم( ص١٨٢). وكـــان نسخ الكتب في بلاد السودان الوسيلة المألوفة لنشرها وتيسير تداولها، حتى أصبحـــت لهم خزائن يمتلكها مشايخهم وسلاطينهم. فقد جاء عهد السلطان أسكي داود أنه كـان له نساخ ينسخون له الكتب فيحفظ بعضها وربما يهدي العلماء نسخاً منها. وأنه كان نفسه حافظاً للقرآن، وقارئاً للكتب (ص٩٤)، وقد مر بنا في أثناء الكلام عن مصـــادر كتاب الفتاش ذكر من كتب عن تاريخ هذه البلاد أو عن تراجم علمائها وفقهائها، مما يعطي فكرة واضحة عن عدد هؤلاء الفقهاء والأدباء المنتشرين في مدن بلاد السودان.

ومن الوان النشاط الثقافي الذي كان سائداً في بلاد السودان إقامة حفـــلات في بيوت العلماء لقراءة المدائح النبوية في جمع من الفقهاء والطلبة. فمما ورد في "تـــاريخ الفتاش" أن الشيخ النحوي أبا حفص عمر كري قد اتخذ عادة قراءة المدائـــح في يـــوم الجمعة في بيته، وكان يقرأ فيه عشـــرينيات الفـــزاري، وتخميســـها لابـــن مـــهيب (ص١٢٤).

وتاريخ الفتاش لا يخلو من التأثيرات المحلية لبلاد السودان إذ الخرافـــات كـــانت شائعة إلى جانب كرامات الأولياء، مما أدى بها إلى أن تظهر في تراجم الملوك مع محاولـة إيجاد صلة ما بين الملوك ومشايخ الطرق والملوك وإشراف العرب. كما هو الحـــال في إيجاد صلة بين الحاج أسكيا محمد مثلاً والخلافة الإسلامية عن طريق الاتصـــال بـــأحد أشراف مكة لأخذ البيعة منه ليصبح تلقيبه بالخليفة أمير المؤمنـــين ذا صبغـــة شـــرعية (ص٢٠، ٢٢، ٢٤، ٦٦، ٦٨).

وأما لغة الكتاب فإنها باستثناء المقدمة التي اعتنى بها المؤلف والتزم فيها الفصيـــح، وتمثل فيها بالآيات والأحاديث الشريفة، حفلت بتعابير محلية، وباستعمالات تبدو أنهـا عامية، وبعضها مما انحدر من لهجة أهل المغرب. فمن أمثلة ذلك أنه جمع حفيد علـــى حفائد والصحيح حفدة (ص٧٥، ١٠٣)، ومنه (ترك أولاداً كثيراً) والصحيح كثـيرين (ص ٧٨)... وسبع خيول أحرارا والبواقي من البراذين (ص١٠٢)، وهو يقصد ســبع

خيول أصيلة والباقي من البراذين. وقد لح عليها والصحيح ألح عليها (ص ١١٣)، وإنما أصلهم حين أرق أهل كلنبوت، وهو يقصد حين استرق (ص١١٧)، وكان الحاج رجلاً مليحاً لحيانا مهيباً.. أي ملتحياً مهيباً (ص١١٩). أمر مرسوله، ويقصد رسوله (ص١٢٣).

أما الألفاظ التي وردت السودان من المغرب فمثل الملف: من القماش ( ص ١٠٤، ١٠١).

والشكارة: وهي الكيس الكبير الذي تحمل فيه الثياب والملابس (ص ٨٦، ١٤٤).

والمحلة: أي الجيش (ص ١٢٦-١٣١).

الزرابي: أي السجاجيد ٠ص ١٠٨)، وهو يقصد إلى تعبير قرآني في الأصل.

وكعت يحاول أن يظهر ثقافته الإسلامية بالإشارة إلى بعض كتب أهل المشرق أو بعض الشخصيات المشرقية مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، ومعروف الكرخي والقشيري صاحب كتاب "الرسالة" والحريري صاحب: "المقامات" (ص ٩١، ١٧٨).

### ٣- أحمد بابا التنبكتي التكروري (٩٦٠-١٠٣٦هـ/ ١٥٥٣-١٦٢٧م):

هو أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي، من عائلة توارثوا العلم والفقه والأدب من أهل مدينة تنبكت. وقد كتب أحمد بابا ترجمة لأفراد عائلته في كتابه: "نيل الابتهاج" وعنه نقل بعض ما يتعلق بهذه العائلة المؤرخون السودانيون أمثال كعت والسعدي.

وأحمد بابا يعد من أشهر علماء التكرور في الفقه والأدب والحديث. وكان يسكن في مدينة تنبكت يمارس فيها التدريس والتأليف حتى أخذ أسيراً عام ١٠٠٢هـ إلى مراكش، على إثر التوسع الذي قامت به الدولة السعدية لضم الصحراء وبلاد السودان إليها. وكان سبب أسره وطائفة من أفراد عائلته رفضه ما وقع لبلاده. وقد آلمه الأسر والاعتقال كثيراً. وأدى إلى ضياع كتبه التي بلغت ١٦٠٠ مجلد. وأحمد بابا مؤلف لما يزيد على أربعين كتاباً في طليعتها:

### أ- نيل الابتهاج بتطريز الديباج:

وهو معجم لعلماء السودان والمغرب من المالكية أرخ سيرهم وأوردها فيه، بعد أن قدم له مقدمة ذكر فيها أهمية تاريخ العلماء والأئمة، أسوة بمن تقدمه من مؤلفي المالكية. أمثال القاضي عياض صاحب كتاب "المدارك"، ومن تابع عياض، ممن اختصروا المدارك كابن حماد وابن رشيق وابن علوان وغيرهم، ثم من جاء بعدهم مثل إبراهيم بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) المدني الذي فاته الكثير من تراجم أعيان المالكية. مما دعا أحمد بابا إلى كتابة هذا الكتاب ليستدرك ما فات ابن فرحون، ويكمل عمله بمن كانت وفاته بعد ابن فرحون. وقد ترجم لابن فرحون، فيمن ترجم من علماء المالكية وفقهائها ووصل به إلى يوم تأليفه في مراكش. وقد التزم في ترتيبه ترتيب حروف المعجم إلا أنه راعى الترتيب الزمني لوفيات المترجمين داخل الحرف الواحد. وقدم معلومات عن كل ترجمة على جاري العادة في أمثال هذه الكتب، من ذكر مشايخ المترجم وتأليفه إن كانت له تآليف. وقبل ختامه ذكر مصادره التي رجع إليها ونقل عنها تراجمه وفوائده مثل كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" للتادلي. و "ذيل ابن الآبار لصلة ابن بشكوال" و "تاريخ ابن الزبير" و "رحلتي العبدري"، و "أبي القاسم التجيبي" ومشيخة الإمام المقري وفوائده، و "تاريخ المدينة" لابن فرحون، و "رحلة خالد الفتوري"، و "فهرست صاحبه أبي عبد الله الحضرمي" و "الإحاطة" لابن الخطيب السلماني و "تاريخ ابن خلدون"، و "فهارس أبي زكريا السراج"، و "ابن حجر"، و "المنتوري" و "مرويات الإمام ابن مرزوق الحفيد" و "الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد"، و "رحلة ابن الخطيب القسنطيني ووفياته" و "رحلة القلصادي"، و "أشياء في كناشة" أحمد مرزوق، و "فهرسة الشيخ ابن غازي"، و "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون" له في كراسين. و"تاريخ النحاة" و "تاريخ مصر "كلاهما للسيوطي. ومعجمه الصغير. وبعض فوائد الإمام الونشريسي ووفياته و "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب "للتلمساني، وتاليف "الملالي في مناقب السنوسي"، و "فهرست الشيخ المنجور"، و"الشيخ عبد الواحد الفيلالي"، و "ذيل

الديباج" للبدر القرافي، وغيرها من المعاجم والكناشات والمجاميع. وأشياء أخذها من بطون كتب الفقه وغيرها. وفوائد تلقفها من أفواه الرجال مثل والده وصاحبه محمد ابن يعقوب الأديب المراكشي وغيرهما. وبذلك أصبحت التراجم المستقاة من هذه المصادر لكتابه نيل الابتهاج تنيف على عدد تراجم "الديباج" أي الأصل بما يزيد على مائتي ترجمة، إذ أن جملة ما في الديباج ستمائة ونيف وثلاثون رجلا بينما أصبح عدد تراجم "نيل الابتهاج" يزيد على ثمانمائة وثلاثين رجلا.

أما أهمية هذا الكتاب فتكمن فيما بثه بين ترجماته من فوائد تاريخية واجتماعية ولغوية واقتصادية فضلا عن الترجمات التي نقلها من مصادر ما زال الكثير منها في عداد المفقود.

وتظهر أهميته أيضا في مواكبته لأحداث عصره لا سيما في الساحة المغربية والأندلسية، إذ أرخ بعض الأحداث. كما ذكر أنه لم يقتصر في تراجمه على بلاد السودان وحدها بل ترجم لتونسيين وطرابلسيين وجزائريين ومغاربة وأندلسيين. مبينا من خلال تراجمهم رحلاتهم العلمية ما بين المدن الإسلامية، إذ البلاد كلها بلاد الإسلام ما بين شمال أفريقيا وجنوب الصحراء وما بين المغرب الأقصى والحجاز[1].

وقد اعتمد هذا الكتاب المؤرخ السوداني محمود كعت صاحب: "الفتاش" فيما يتعلق بتاريخ السودان فكان أحد مصادره التي رجع إليها، وكذلك المؤرخ الآتي ذكره عبد الرحمن السعدي.

ولقد نشر كتاب "نيل الابتهاج" عباس بن عبد السلام بن شقرون، وطبع في القاهرة (١٣٥١هـ) على هامش كتاب "الديباج المذهب "لابن فرحون.

### ب- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج:

والكتاب ما زال مخطوطا، وتوجد منه نسخ في المملكة المغربية، وقد ألفه أحمد

---

(١) د. عبد الجليل التميمي، مساهمة أحمد باب التنبكتي في الحضارة العربية الإسلامية من خلال كتابه: "نيل الابتهاج" ، ص ٢٢٩-٢٤٠، ندوة العلماء الأفارقة، بغداد.

بابا في مراكش أيضاً عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م، وهو مختصر لكتابه السابق، اقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمة والفقهاء المشهورين بتأليف دون غيرهم. ورتبه على نفس ترتيب "نيل الابتهاج"، ويمتاز كتاب "كفاية المحتاج" فضلاً عما اشتمل عليه من أخبار مؤلفي العصر السعدي بترجمة شخصية للمؤلف في نحو ٦٥ صفحة كفهرس خاص به، تلاه بلائحة مفصلة للمصادر التي اعتمد عليها[١].

### ٤- عبد الرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر السعدي (أو السعيدي)[٢] (١٠٠٤هـ-بعد عام ١٠٦٦هـ/ ١٥٩٦-بعد عام ١٦٥٥م):

مؤرخ أصله من مدينة تنبكت حيث ولد ونشأ وتلقى تعليمه لهذا وجدناه يقول في كتابه "تاريخ السودان" في اكثر من موضوع: "وهي مسقط رأسي وبقية نفسي" (ص٢٠) أو "مسقط رأس" (ص٢٥٦، ٢٥٩) وحضر مجالس كبار علمائها وقد انخرط في مسلك الإدارة السعدية في تنبكت كاتباً للبشوات ثم أصبح عدلاً، وسفيراً، وإماما ومدرسا في جامع سنكري أو سنكوري بمدينة جني. فمهمة العدل كانت تقتضي عند سجن أحد القادة حضوره مع بعض الذين يوكل إليهم الباشا أمر إعداد وثيقة بممتلكات المسجون ودخول بيته وإحصاء ما يملكه من أثاث ومتاع وتقديم تلك الوثيقة للمسجون ليقر بها وعند ذلك يقوم العدل بالتوقيع على الوثيقة. وهكذا كان السعدي يقوم بالمهمة سواء كان في تنبكت أو جاءه أمر الباشا وهو في مدينة جني (ص ٢٣٥). أما إذا حصلت وفاة لأحد الحكام المحليين فإن العدل كان يستدعي لتثبيت مخلفاته في وثيقة ويوقع عليها (ص ٢٤٥).

أما مهمة السفير التي قام بها السعدي بين باشوات بلاد السودان والحكام المحليين، سواء الخاضعين للباشوات أو المستقلين عنهم. فإن السعدي كان يسفر بينهم ويصلح ذات بينهم (ص٢٤٩، ٢٦٠)، ولهذا كان ينال هدايا الحكام والباشوات من بقر وغنم وملابس.

---

(١) د. محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، ١: ٢٠-٢١.

(٢) هكذا وردت عند ذكره لبعض أفراد عائلته.

وكان يكتب على لسان البشوات كتبا إلى الحكام أو إلى سكان بعض المـــدن في بلاد السودان (ص ٢٧٧، ٢٧٩).

أما إمامته لمسجد سنكري فيوضحه كلامه عام ١٠٣٦هـــ بعد وفـــاة إمامــه، الشيخ الفقيه محمد بن محمد بن حمد الخليل، وكان قد جعل السعدي نائبا لـــه قبـل وفاته، مما دعا أعيان مدينة جني إلى دعوته لتولي إمامة المسجد بعد أخذ إذن القـــاضي أحمد داب (ص٢٤٤). ويبدو أنه استمر إماماً حتى عام ١٠٤٦هــ حيث أبعده حـــاكم جني (القائد أحمد بن حم). وكان ظالماً فعم بظلمه العلماء والتجار فضلاً عن الرعيـــة. لذلك شكاه السعدي للباشا فأرجعه إماماً لمسجده، وعزل حاكم جني ( ص ٢٨٥).

ورغم ما كتبه هذا المؤرخ في "تاريخ السودان" الذي يعد لحد الآن مـــن أوثـــق المصادر لتاريخ تلك البلاد في القرن الحادي عشر الهجري (١٦م) لا نكاد نعـــرف إلا القليل مما بثه هو في ثنايا كتابه. كالسياحات التي قام بها في بلاد ماسنة أو (ماســـينا) الواقعة إلى الجنوب من مدينة تنبكت. وقد خصص لهذه الســـياحات البـــاب الثـــاني والثلاثين -كما سيأتي ذكره- وقد أشار إليها في سنة ١٠٣٨هــ وسنة ١٠٤٢هــــ وسنة ١٠٥٣هـــ، ويبدو أنه كان يسافر إلى هذه البلاد لفترة معينة يلتقـــي خلالهـــا بالقضاة والفقهاء والسلاطين، مثل قاضي ماسنة "محمد سنب" وسلطانها "حمد آمنـــة"، ويعود بعدها إلى جني. ثم يعاود السفر إليها لمصلحة تقضي ذلك فكانت زيارته هـــذه معتادة يقوم خلالها بتدريس بعض الكتب لطلبة العلم في المدن المنتشرة هنـــاك مثـــل "بينا"، و "كنتي"، و "كمن"، وكان يصف الطرق البرية أو النهرية والقرى التي كـــان يمر بها وحكام البلاد وقضاتها وفقهائها، وكان يؤرخ بالأيام والأشهر تنقلاته، فيذكـــر أين صلى الصبح وفي أي بلد صلى الظهر وأي البلاد قطع عند حلول المغـــرب. وإذا كانت بعض الطرق مسدودة بسبب المد الحاصل بأحد فروع نهر النيجر فأي الطـــرق يسلك عوضاً عنه، وهكذا (ص ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٦٤).

ولم ينس السعدي أن يذكر أفراد عائلته وهذا ما أعطى تاريخه حيوية وأبعده عـــن الجمود، فأرخ لوفاة والده عبد الله بن عمران السعيدي (هكذا)، وذكر من صلى عليـــه (ص ٢٣٩). أو لوفاة أم ولد (والده) حفصة وأنها دفنت في مقبرة الجـــامع الكبـــير في

مدينة جني (ص ٢٤٢). وأرخ لوفاة عمته أم هاني بنت عمران (ص ٢٤٢)، وعمته الثانية زهراء بنت عمران (ص ٢٤٣) وعمته أم حفصة (ص٢٩٤)، وابن أخته أم نانا عبد الرحمن (ص٢٤٥). ووفاة صهره الشيخ المختار الونكري، وقد تولى هو تجهيزه والصلاة عليه ودفنه في مقبرة الجامع الكبير (ص ٢٤٥). وابن خال والده (ص٢٤٢) وزوجة أخيه (ص ٢٤٣)، وأخته أم كلثوم بنت عبد الله، وزوجته كاك بنت المختار.

كما أرخ لأصدقائه فقد ذكر أن "في آخر رمضان توفي أخونا وصديقنا من حين الطفولة حبيب بن عبد الله بن القاسم التواتي (ر) سنة ١٠٤٢هـ" (ص ٢٩٥)، وانظر (ص٢٩٦).

**"تاريخ السودان"** -أي السودان الغربي - غرب أفريقيا- حققه ونشره المستشرق الفرنسي هوداس، باريس ١٨٩٨م، ويقع في ٣٢٣ صفحة من القطع الاعتيادي، وينتهي بأحداث عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م.

وقد رتبه السعدي على أبواب فاحتوى على ثمان وثلاثين بابا تناول كل باب أمراً معيناً، ولهذا اختلفت أحجام الأبواب وفق الغرض المخصص له والاستطرادات التي وردت فيه. وقد جعل أبواب الكتاب وفق ما يأتي:

١- من الباب الأول إلى الباب الرابع: تكلم فيه عن دولة مالي حتى بداية عهد السلطان سني علي.

٢- من الباب الخامس إلى السادس: تكلم فيه عن مدينة جني وعلمائها وصلحائها.

٣- الباب السابع والتاسع عن تاريخ مدينة تنبكت وعلمائها.

٤- الباب الثامن: عن التوارك.

٥- الباب العاشر: عرف بكتاب الذيل لأحمد باب التنبكتي وهو أحد مصادره.

٦- الباب الحادي عشر: تحدث فيه عن أئمة المسجد الجامع.

٧- الباب الثاني عشر: خصصه لحياة السلطان سني علي.

٨- الباب الثالث عشر إلى العشرين: تحدث فيه عن دولة سنغي حتى الغزو المغربي لبلاد السودان.

٩- من الباب الحادي والعشرين حتى السابع والعشرين: تكلم فيه عن بشوات بـــلاد السودان الأوائل.

١٠- الباب الثامن والعشرون والتاسع والعشرون: تكلم فيهما عن الدولة السعدية.

١١- البابان الثلاثون والرابع والثلاثون: ذكر الوفيات إلى عام ١٠٦٣هـــ.

١٢- الأبواب الحادي والثلاثون والثالث والثلاثون والخامس والثلاثون: ذكر الباشوات الذين حكموا السودان من عام ١٠٢١هـــ/ ١٦١٢م-١٠٦٣هـــ/ ١٦٥٢م.

١٣- الباب الثاني والثلاثون: تكلم فيه عن سياحته في بلاد مسينا.

١٤- الباب السابع والثلاثون: ذكر فيه حكام البلاد من السودانيين من بداية الســيطرة المغربية إلى سنة ١٠٦٣هـــ.

١٥- الباب الثامن والثلاثون:تناول فيه تاريخ السودان ما بـــين ســنة ١٠٦٣هــــ/ ١٦٥٢م إلى سنة ١٠٦٥هـــ/١٦٥٤م.

فمنهج الكتاب إذن يسير وفق حكام دولة سنغي ثم الباشوات في العهد السعدي. ويتناول الأحداث وفق تسلسل السنين في عهودهم. كما تناول تراجم المشهورين مـــن علماء وصلحاء وذكر وفياتهم. وضمن كتابه وصف سياحات قام بها إلى بلاد مســينا. وكان ينبه القارئ على بعض الأمور مثل عدم وجود حرب أو غزو في سنة من السنين (ص٧٦، ٧٧، ٧٨). وكان يذيل الأحداث لشرح موقف إلقاء ضوء على موضـــوع البحث (ص ٧٦،٧٧)، وقد يتلو تذييله بتنبيه لشرح حال أسرة أو إمــارة قــامت أو وردذكرها عرضا في أثناء الكلام (ص ٧٧).

أما مصادر "تاريخ السودان" فبعضها مؤلفات مدونة مثل كتب:

### أ- أحمد بابا التنبكتي:

فقد أورد عند (ص ٩) كلاما عن خراب مدينة تنبكت ثلاث مـــرات خـــلال تاريخها الطويل، ولكنه لم يشأ أن يذكر اسم الكتاب بل اكتفى بالقول: "قال العلامـــة الفقيه أحمد بابا (ر)"، وقد فعل ذلك في (ص ٢٨، ٧٠) أيضاً، وفي (ص٣٧) نقل مـــن كتاب "الذيل" ويقصد به "نيل الابتهاج"، وفي (ص ٦٤، ١٧٣) نقـــل مـــن "نيـــل

الابتهاج " أيضاً وقد سماه في هذه المرة، ثم في (ص ١٩١) نقل من أحمد بابا دون ذكره اسم الكتاب. ويبدو أن نقله من أحمد بابا ولا سيما في التراجم، كثير جداً.

**ب- من خط والده:**

جاء في (ص ٥٠) بعد أن أورد قصيدة رثاء طويلة أنه نقلها من خط والده.

**جـ- مجهول: الحلل الموشية (من ذكر الأخبار المراكشية)[1]:**

نقل منه نسب الطوارق (التوارق) (ص٢٥)، لم يذكر اسم مؤلفه كما لم يذكر اسم الكتاب كاملاً. فلعله نفس الكتاب الذي نشره ي.س. علوش، الرباط ١٩٣٦م.

**د- ومن مصادره أيضاً العلقمي:**

العلامة الحافظ (٩٦٩هـ شرح الجامع الصغير للجلال السيوطي. وقد نقل عنه ذكر بعض حوادث القرن التاسع الهجري المتعلقة بالسلطان سن علي (ص٦٤).

**هـ- ما نقله عن بعض الطلبة:**

نقل بعض ما يتعلق بالسلطان سن علي من خط بعض الطلبة (ص٦٠).

**و- ما أورده ابن بطوطة:**

الرحلة ، نقل عنها معلومات تتعلق بسلاطين دولة مالي (مل) (ص ٨).

**ز- الكتب أو الرسائل السلطانية:**

يبدو أن السعدي كان يطلع على خطابات السلاطين إلى سلطان سنغي، فمن تلك الخطابات المهمة التي نقل عنها معلوماته، الخطاب الذي أرسله السلطان أحمد المنصور السعدي المعروف بالذهبي (ت ١٠١٢هـ / ١٦٠٢م) إلى سلطان سنغي المؤرخ في صفر سنة ٩٩٨هـ يطالبه بدفع خراج (الملح) المستخرج من مناجم مدينة تغازة (ص ١٣٦)

(١) نشر في تونس كتاب "الحلل الموشية" على أنه للسان الدين بن الخطيب ١٣٥٠هـ، ويبدو أنه نسب لأكثر من واحد انظر ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب ١، ص ٤٥-٤٦.

ومن مصادر معلوماته الروايات الشفوية التي نقلها عن معاصريه مثل قوله: "حدثني بعض الإخوان أنه سمع ولي الله تعالى الفقيه محمد عريان الرأس يقول: حاصر سن علي مدينة جني أربع سنين.. (ص١٥).

أو قوله: "وكفى في ذلك ما رواه الشيوخ الثقات عن الشيخ العالم الفاضل الصالح الولي... الفقيه القاضي محمد الكابري (ر)" (ص ٢٧)، وروى عن "شيخنا الفاضل الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد.." ٠ص ٢٧). "وسمعت العلامة الفقيه أحمد بابا (ر) أنه قال: والكلام عن جد الفقيه محمود محمد أقيت – ما رحَّله منها أي من تنبكت إلى بير إلا بعض الفلانيين" (ص ٣٥) و "سمعت من بعض الفقهاء" (ص٥٩).

أو "هكذا سمعت الحكاية من جماعته" (ص٣٨)، أو "على ما أخبرنا به شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد" ٠ص ٤٨) و "حدثني من اثق به" (ص١٤١).

وكان يشير إلى ما يحصل في زمانه مثل كلامه عن إمامة مسجد سنكري... فتولاه الفقيه سنتاعو بن الهادي الوداني.. وهو الذي يتولاها الآن (ص٧٧،٧٨). ولعل من المفيد أن نشير إلى أن بعض معلوماته لا سيما ما يتعلق منها بدخول القوات المغربية واستيلائها علي تنبكت مشابهة لما أورده كعت في الفتاش (ص١٧٣).

إن مادة "تاريخ السودان" تتضمن جملة أمور تتلخص بما يلي:

### أ– تاريخ سلاطين السودان:

ذكر أول من أسلم من سلاطين دولة سنغي (ص٣)، وأول من استقل عن حكم دولة مالي (ملي) (ص٣)، وتكلم عن أصلهم (ص٤).

وذكر سلاطين دولة غانة ودولة مالي وسعة كل دولة وعدد مَن تولاهما من هؤلاء السلاطين (ص٩). وتناول من سلاطين دولة سنغي السلطان سن علي الذي كان ظالماً فسعى إلى قتل العلماء وتشريدهم من مدينة تنبكت إلى مدينة بير وإلى مدينة تكدة (ص٦٤). ثم تناول أسكيا الحاج محمد الذي لقب بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين لعطفه على المسلمين وتشجيعه العلم والعلماء ورأفته بالرعية (ص٢٧٢)، واعتبر هذا السلطان وحفيده السلطان أسكيا محمد بن أسكيا داود من أهم السلاطين، وإن مقدرتهما تتعدى سلطنة سنغي (ص١٤٤)، وعرج على ذكر محاولة السلطان المغربي

أحمد المنصور الذهبي أخذ خراج مناجم الملح في تغازة (الواقعة في شمـال الصحـراء) ورد أسكيا إسحاق عليه (ص٩٩). ولما خضعت بلاد السودان للسلطان أحمد ذكر تـاريخ تولي الأخير سلطنة المغرب بعد وفاة أخيه في مراكش (السلطان عبـد الملـك). ولمـا كانت علاقته هذه علاقة سيطرة فقد أدت إلى زوال دولة سنغي، لذلك نـراه يقـرن مجيء السلطان أحمد الذهبي إلى الحكم مقترنا بظهور المذنب في السماء (دليل شـؤمه) ليلة الجمعة لخمس وعشرين ليلة مضت من شعبان (ص١١١).

وأشار إلى أن قائد الجيش المغربي (جودار وتكتب جؤذر) بعد وصوله إلى عاصمة دولة سنغي (كاغ)، لم يجد ما كان يؤمل من ذهب، بل وجد بيت السـلطان نفسـه متواضعا أثار احتقاره لذلك كتب إلى سلطانه رسالة يبلغه فيها بانتصاره علـى دولـة سنغي ودخوله العاصمة ورؤيته دار السلطان فيها أسوأ من دار شيخ الحمـارة الـذي يشتغل بنقل البضائع على حماره (إن دار شيخ الحمارة، في المغرب خير من دار أسـكيا) (ص ١٤١). وذكر وفاة السلطان المغربي زيدان في فاتح عام ١٠٣٧هـ (ص٢٤٤). ثم تناول الخلاف على سلطنة سنغي بعد خضوع البلاد للمغرب (ص ١٢٢).

## ب- التنظيم الإداري:

لقد أعطى كتاب "تاريخ السودان" صورة عما كان في بلاد السودان من تنظيـم بسيط، وسمى الوظائف بأسماء محلية كنواب السلطان في أقسام الدولـة (ص ٧٢، ٧٥، ٧٨، ١٠٠،، ١٠٤، ١٠٥، ١١٥، ١١٧) كما ذكر القضاة (ص١٨، ١٩، ٢٠).

وأظهر الكتاب عدم وجود نظام ثابت لولايـة السلطنة، ولكن هنـاك رسـوما تؤدي عند الدخول إلى حضرة السلطان أو الجلوس بحضرته. فضلا عن وجود الحـرس والخدم بين يدي السلطان.

## جـ- الحياة الاقتصادية:

تكلم عن الحياة الاقتصادية أو بعض مفرداتها عرضا خلال كلامه عن الحكم وعن شؤون بلاد السودان. فأشار إلى التجارة والتجار وتبادل الملح والذهب، وذكر سـني الجفاف وأثرها على التعامل في الأسواق، كما ذكر سني الغلاء. وأشـار إلى الـودع كعملة مستعملة للمقايضة (ص١١، ٢٢٢٢، ٢٦٠).

### د- الحياة الاجتماعية:

وردت إشارات هنا وهناك في "تاريخ السودان" عن التركيب السكاني لبلاد السودان، فقد ذكر أن الطوارق (التوارق) نقلاً عن كتاب "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" وهم عرب من حمير وفدوا إلى الصحراء الكبرى من بلاد اليمن وامتدوا ما بين البلاد العربية في شمال الصحراء وبلاد السودان جنوب الصحراء. وأنهم لا ينتسبون إلى البربر ولكن بينهم وبين البربر صلة رحم. وأنهم منذ خروجهم من اليمن قد وضعوا على وجوههم اللثام فصار زيا مميزاً لهم، ثم تبربرت ألسنتهم بحكم السكنى البعيدة عن بلاد العرب ومجاورتهم للبربر ومصاهرتهم معهم. وهم ثلاثة مجاميع كبيرة لمتونة وجدالة ولمت (لمط) ومسوفة وهم ينتمون إلى صنهاجة (ص٢٥).

وإن هؤلاء الطوارق (ولا سيما توارق مغشرة) هم الذين بنوا مدينة تنبكت ومعنى اسمها في لغتهم (المعجزة) في أواخر القرن الخامس الهجري على ضفة نهر النيجر، التي كانوا ينزلون بها صيفاً ويرحلون عنها في الخريف. ولما كان هؤلاء الطوارق مسلمين لذلك قال السعدي عنها: "وما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن. مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك السيار، فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم إلى أن صار مسلكاً للسالكين في ذهابهم ورجوعهم".

ثم ذكر توسع مدينة تنبكت وزيادة عدد سكانها حتى غدت سوقاً للتجارة فَجُعِلَتْ محل مدينة (بير) وورد إليها العلماء والفقهاء وطلاب العلم، فضلاً عن التجار من بلاد مصر والمغرب ومن مدن فزان، وغدامس وتوات ودرعه وتفلالت وفاس وبيط وغيرها. أي من المدن الواقعة في شمال الصحراء الكبرى وفي الصحراء الكبرى نفسها (ص٢٠-٢٢). وكان العرب والفلانيون إلى جانب الطوارق الذين سكنوا تنبكت وغيرها من مدن السودان كالعاصمة (كاغ) و (جني) (ص٢٨٨، ص٢٩٢)، كما كان بعض العرب يسكن الصحراء، مثل مدينة ولات (ولاته) (ص٢١٦)، أو في غرب أفريقيا في الحمدية (لعلها ضمن موريتانيا حالياً) (ص١٠٩)، أو تغازة في جنوب المغرب الأقصى.

وقداظهر السلاطين والعلماء احتراماً لبعض الوافدين إلى هذه البلاد ممن ينتسب إلى الإشراف العلويين. ومسألة الانتساب إلى العرب أو للإشراف في أفريقيا بجهاتها المختلفة مسألة شائعة تعكس احترام السكان في هذه البلاد للعرب، لما بينهم من صلات روحية وثقافية امتدت قروناً متطاولة (ص ٥٠، ٩١، ١٦٦).

و "تاريخ السودان" يظهر ما كان متبعا من رسوم في بلاد نسلاطين وهي رسوم تبدو موروثة عن أيام الوثنية. فكان على الداخل على السلطان أن يضع التراب فوق رأسه .ص١٢٦)، وكان الناس يؤمنون بالكرامات للعلماء والفقهاء فيطلبون من موتاهم تفريج الشدائد عنهم (ص ٣١)، ويوردون لأحيائهم خوارق العادات (ص٣٤، ٣٨، ٤٨، ٥١، ٥٤، ٥٧).

وكانوا يؤمنون بالسحر ويخافون من إصابة عين الحاسد، فقد أورد السعدي خبرا عن أحد حكام مدينة جني بأنه حكم أربعين يوما ثم مات وكان سبب موته السحر وقيل أصيب بالعين _ لأنه رجل أسمر اللون جميل الصورة .ص ٣٥٠).

ورغم العادات التي ورثوها من بيئتهم الإفريقية، وما شاع بينهم من أخلاق الصوفية ومعتقداتهم كان السودانيون على جانب عظيم من الأخلاق كالصدق والنزاهة. وقد أورد السعدي قصة رجل يسعى بالنميمة بين الناس قبض عليه فنقشوه بالحمرة والسواد والبياض وركبوه حميراً وطوفوا به البلد بالنداء والبريحة هذا جزاء من يسعى بالنميمة (ص٩٠). وذكر السعدي من عادات السودانيين سرد بعض الكتب في جمع من الناس سواء كان ذلك في دار السلطان أو في أحد المساجد ولا سيما في شهر رمضان، والتي تنتهي عادة بختمة بعد الانتهاء من قراءة الكتاب. وأول هذه الكتب التي كانت تقرأ في المساجد القرآن الكريم، ويكون يوم قراءة الختمة يوماً حاشداً بالناس (ص٥٨).

وقد تقام حفلة مدائح نبوية عند حلول مولد النبي ﷺ وقد اختصت بعض العوائل بالمدائح النبوية مثل عائلة الفقيه المختار محمد بن الفقيه المختار النحوي بن اندغ محمد المادح. وقد لحقه لقب (المادح) لأنه قام بهذه المهمة طوال عمره. وقد ورث عنه هذه المهمة ابنة الفقيه محمد سن (ص٢٩)، وكان شيخاً للمؤرخ السعدي، وقد لازمه كما

نص في تاريخه من حين الطفولة إلى مماته، وأنه أفاد منه كثيراً وقد عمر أربعاً وثمانين سنة وكان في وقته شيخ المداحين (ص٢٣٩).

ثم ذكر من هذه العائلة أبا حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر محمد أقيت النحوي المادح لرسول الله. وكان يسرد في رمضان كتاب: "الشفا بتعريف حقوق المصطفى "للقاضي عياض السبتي في مسجد سنكري .ص ٣١).

إن المدائح كانت تقرأ عادة في شهر رمضان بعد صلاة العشاء (ص١٩٨)، أما حفلات الختمات لبعض الكتب المشهورة فكان يقوم بها بعض الفقهاء أو العلماء المشهورين لمنفعة طلاب العلم أو من يحضر المجلس من عامة الناس. فقد ذكر السعدي الشيخ عبد الدين الفقيه أحمد معيا الذي كان يسرد الجامع الصحيح للبخاري في دار السلطنة. وأنه صادف أن مات يوم الختمة، فأقام أخوه الفقيه عبد الرحمن قراءة الختمة الكتاب (ص ٢٩٧).

ومن هؤلاء الذين ذكرهم السعدي ممن يسردون الكتب العلامة المحدث الفقيه أحمد بن الحاج بن عمر بن محمد أقيت .أي والد العلامة أحمد بابا التنبكتي، الذي وصفه السعدي بأن الله وهبه شكلاً وصوتاً جميلاً وفصاحة وبراعة في الأدب والفقه والحديث. وذكر أنه كان من عادته سرد الصحيحين في مسجد سنكري (ص٣٢،٣٣).

### هـ- الحياة الفكرية:

كان لـ "تاريخ السودان" للسعدي منهج معين سلف الكلام عنه، فهو لم يبن على شكل الحوليات المعروفة ولا على التراجم وفق حروف المعجم أو الطبقات، و لم يكن يجمع الحوليات والوفيات بشكل منظمة على شاكلة بعض الكتب مثل " منتظم ابن الجوزي البغدادي"، بل كان يذكر وفيات الأعلام ويستطرد في الكلام، إلا أنه كان يقدم معلومات ثقافية وفكرية مهمة عن بلاد السودان من خلال استطراده، فيذكر ما كان متداولاً من كتب أهل المشرق أو المغرب، أو المشهورين من العلماء حسب اختصاصتهم المعروفة. وأهم العلوم الشائعة بين المعنيين بها طلاباً ومشايخ.

وتاريخ البلاد التي ينتمي إليها هؤلاء العلماء. فكم من مدينة مغمورة لا يعرفها العرب تتداول فيها كتب عربية مشهورة، وكم من عالم لم يسمع به قضى عمره يدرس أو يملي علم العربية أو القراءات أو الفقه أو غيرها، وكم من شيخ نذر نفسه لتعليم القرآن ونشر الإسلام متخذاً من بيته مدرسة، أو من مقعده تحت شجرة في العراء منبراً لنشر العربية وتعاليم الإسلام. ولو أخذنا المدن التي ورد ذكرها في "تاريخ السودان" لعرفنا سعة انتشار الفكر العربي في هذه البلاد وسنوردها حسب أهميتها:

مدينة تنبكت (تمبكت أو تمبكتو): وكانت أهم مركز ثقافي تجاري في غرب أفريقيا (في بلاد السودان) تكونت فيها طبقات من الفقهاء والعلماء والمعلمين، ونمت فيها مكتبات لعلمائها وقصدها طلاب العلم من بلاد السودان المختلفة، كما ورد إليها علماء من بلاد أفريقية مختلفة. وقد أتحفنا السعدي بأسماء كثير من المشهورين في هذه البلاد ممن استوطنها من العوائل التي توارثت العلم والقضاء أو من الأفراد الذين عرفوا بعلم معين أو أكثر من علم واحد. فمن هؤلاء :

- أبو عبد الله اندغ محمد بن الفقيه النحوي المختار... عالم تقي ورع اشتهر بمعرفته باللغة العربية، وكان أحد المادحين للرسول ﷺ . سرد كتاب "الشفا" للقاضي عياض في رمضان في مسجد سنكري المشهور بتنبكت (ص٢٩). وقد خلف هذا العالم أبناء وأحفاداً من العلماء الفقهاء (ص ٢٨، ٢٩، ٣٥).
- عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى بن كحالة الصنهاجي التنبكتي.. الذي خلف أجيالاً من الفقهاء والعلماء منهم أبناؤه الثلاثة:

### أ- محمود القاضي بن عمر بن محمد أقيت[1]:

الذي وصفه السعدي بأنه عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع، والذي طار صيته شرقاً وغرباً، وقد ولي القضاء عام ٩٠٤هـ. وكان يدرس الكتب المشهورة مثل "المدونة" للإمام مالك و "مختصر خليل" في الفقه المالكي و "الرسالة" لابن أبي زيد القريواني و "الألفية" لابن مالك و "السلالجية"، وعنه انتشر

---

(١) انظر ترجمته عند أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص ٣٤٣.

تدريس كتاب خليل ولا سيما شرحه وتعليقاته عليه التي تمت في جزءين. وقد سافر للحج عام ٩١٥هـ ولقي في طريقة من علماء مصر إبراهيم المقدسي والقلقشندي وغيرهم فعرف فضله هناك، وعاد إلى بلده ولازم التدريس حتى وفاته عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م (ص٣٨).

**ب- عبد الله بن عمر بن محمد أقيت:**

وهو أحد المتضلعين في علوم الشريعة كان فقيها زاهداً ورعاً تولى التدريس في ولاته (في الصحراء) ثم في مدينة تنبكت وتوفى بولاته سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م[١].

**جـ- الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت:**

وهو أكبر الأخوة الذين اشتهروا بالعلم والفضل في بلاد السودان، وهو جد الفقيه المشهور أحمد بابا التنبكتي. كان ملازما لقراءة قصائد المدح النبوي، وكتاب الشفا، وقد عرف لغوياً ونحوياً عروضياً. وكان ينسخ الكتب بخط يده وقد ترك في مكتبته نحو سبعمائة مجلداً[٢].

وكان قد أخذ العلم في صغره عن جده لأمه الفقيه (اندغ محمد)[٣]، وعن خاله الفقيه المختار النحوي. وسافر إلى الحج عام ٨٩٠هـ، ولقي في طريقه الجلال السيوطي والشيخ الوقاد الأزهري وغيرهما. وعاد إلى بلاده وكان يحكم البلاد آنذاك السلطان السودان للتدريس فيها مثل كنو وغيرها. ثم عاد إلى بلده وتوفي عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م (ص٣٧).

وترجمة الحاج أحمد هذا تظهر الترابط الأسري وصلة الرحم بين أسر مدينة تنبكت ولا سيما أسر العلماء والفقهاء. وقد تلا هؤلاء أجيال من الأبناء ممن عرف بالعلم أو الفقه (ص٤٠).

ومن علماء تنبكت محمد بابا بن محمد الأمين (أبو عبد الله)، وكان عالماً فاضلاً، مدرسا بارعاً مشاركاً في علوم كثيرة.

---

(١)م.ن.ص ١٦١.

(٢) م.ن، ص ٨٨.

(٣) اندغ: أي ابن.

أخذ العلم عن والده محمد الأمين والفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود، وحضر مجالس الفقيه محمد الونكري للنحو وعلم الكلام، ثم أخذ يراسله بكتابة الأسئلة إليه ويتلقى الإجابة منه. ولازم الشيخ سيدي أحمد لأخذ النحو عنه وقرأ على الفقيه معيا جملة من كتاب "مختصر خليل" وسمع الباقي من الفقيه محمد كري عندما تولى القراءة في مسجد سنكري كما سمع من هذا الشيخ كتاب: "التوضيح" لابن الحاجب و "جمع الجوامع". وسمع "المدونة" و "الموطأ" من الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد. وأخذ روايتي ورش وقالون عن حامل لوائها (أي لواء القراءات) من سيدي ابن عبد الله المولى الجلال.

وعن الفقيه أحمد كري أخذ الإجازة بكتاب "الشفا" و "الجامع الصحيح" للبخاري. وقد ألف جملة كتب هي:

- شرح ألفية بن مالك.
- تكملة البجاوي على اللامية.
- شرح ملفقات شواهد الخزرجي.
- مقامة على شاكلة مقامات الحريري.
- حاشية على البجائي! لم تكمل.

وله قصائد جياد كان ينظمها في كل مولد نبوي. ومن شعره رثاؤه لشيخه الفقيه محمد الونكري، ولشيخه عبد الرحمن.

توفي سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م، عن عمر ناهز الثانية والثمانين (ص٢١٧).

ومن المدن الأخرى التي عرف بها العلم وانتسب إليها علماء وفقهاء ومعلمون.

**مدينة جني:**

مدينة قيل عنها أنها عظيمة ميمونة مباركة جمع فيها العلم والتجارة. إذ كانت محطة تجارية يأتيها تجار الذهب من مناجمه في (بيط) في جنوب بلاد السودان. كما يأتيها تجار الملح من مناجمه في تغاز على أطراف الصحراء الشمالية ليقوموا بتبادل تجارتهم فيما بينهم فضلاً عما تحوي المدينة من سلع أخرى للتجارة.

ويعتقد السعدي أن مدينة جني قد بنيت في أواسط القرن الثاني الهجري، وأن أهلها أسلموا في القرن السادس الهجري، عندما أعلن سلطانها (نبر) إسلامه (ص١١). وكانت تقع على ضفة نهر النيجر إلى الجنوب الشرقي من مدينة تنبكت، وقد ذكر السعدي أن الله تعالى ساق إلى هذه المدينة المباركة سكاناً من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل شتى ومن بلاد مختلفة (ص١٦).

**مدينة بير:**

وممن كان بها من العلماء الإمام الزموري الذي أجاز الفقيه المختار النحوي تدريس كتاب "الشفا"(ص٦٥).

ومن علمائها أيضاً الفقيه أحمد بن عثمان وحامد اللذين قرأ عليهما الفقيه الفع محمود رسالة ابن أبي زيد القيرواني. ثم غادرها عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، إلى مدينة تنبكت (ص٦٩).

**مدينة تكدة:**

وهي مدينة صغيرة بنتها صنهاجة قرب بلاد السودان من جهة الصحراء نسب إليها العاقب بن عبد الله الأنصمي (الأنساموني)، وهو فقيه نبيه درس على المغيلي بتوات، وسافر إلى مصر فقرأ على الجلال السيوطي وقرأ على غيرهما. ألف عدة كتب منها:

- تعليق على مختصر الخليل.
- جزء في وجوب الجمعة (بقرية انصمن).
- الجواب المجدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود.
- أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير (أجاب فيها أسكيا الحاج محمد).

كان له نزاع مع الحافظ مخلوف البلبالي (الآتية ترجمته) حول بعض المسائل العلمية، واستمر العاقب حيا حتى عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م (ص٣٩، ٤١).

**مدينة توات:**

وكانت مدينة في الصحراء الكبرى نسب إليها سيدي أبو القاسم التواتي الزاهد الولي، وكان قد وفد إلى بلاد السودان ومعه جماعة من علماء تافيلالت المغربية، فابتنى دارا قرب المسجد الأعظم بمدينة تنبكت، يدرس فيها الطلاب. وأنشأ مقبرة تنبكت الكبرى التي حبس عليها الأسكيا صندوقا يحتوي على ستين جزءا من القرآن، وكانت داره قرب المسجد وكان يعمل الطعام ويقدمه للمداحين كلما أقاموا حفلة أمداح. ولما توفي عام ١٥١٦هـ بلغ عدد علماء مدينة تنبكت من أهل توات خمسين عالما (ص٥٨، ٥٩، ٦٠).

**مدينة ولاتة:**

وهي مدينة في الصحراء الكبرى في غرب أفريقيا قريبة من بلاد السودان نشأ بها مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ودرس على مشايخها مبادئ العلوم الإسلامية ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى لاستكمال تعليمه فسمع في فاس من الفقيه ابن غازي وغيره. ثم عاد إلى بلاد السودان فدرس بكنو، وكاسينا (تقع في نجيريا حاليا) وغيرهما.

وحدث له نزاع -كما سلف عند ترجمة العاقب الأنساموني- حول بعض النوازل. ثم دخل تنبكت ودرس بها، إلا أنه غادرها إلى مراكش في المغرب الأقصى فدرس بها مدة، ثم وضع له السم فمرض فعاد إلى السودان ومات بها بعد ٩٤٠هـ-١٥٣٣م. وله كتاب في النوازل (ص٣٩، ٤١).

وهكذا يبدو جليا من خلال كتاب "تاريخ السودان" للسعدي الصلة الثقافية والفكرية بين البلاد العربية من المغرب غربا إلى الحجاز شرقا مرورا بمصر فالرحلة لطلب العلم والعلماء باختلاف اختصاصاتهم غير منقطعة من مدينة إلى أخرى، ما بين بلاد السودان جنوبا وبلاد العرب شمالا وشرقا عبر الصحراء الكبرى التي كانت واحاتها ومدنها الصغيرة محطات تجارية وعلمية. وكانت الكتب تحمل جيئة وذهابا مع المسافرين حيث تنسخ وتقرأ ويتداولها الناس. فكان القرآن أول كتاب تناقله الناقلون ودرسه الدارسون وتلاه في صلاتهم المصلون، ثم حديث المصطفى فكان صحيح

"مسلم" و "البخاري" الذي كان يقسم به الناس كما يقسمون بـالقرآن .ص١٥٩) و "موطأ مالك" و "المدونة" المنسوبة إليه، و "مختصر خليل" و "رسالة ابن أبي زيد" و "معيار الونشريسي" و "المدخل" لابن الحاج، ومؤلفات المغيلي (فضلاً عن دلائل الخيرات والشفا). كانت هذه الكتب متداولة يقرؤها الناس بينهم وقد يحفظها بعضهم عن ظهر قلب (ص٥٥، ٥٦، ٩٣، ٢١٢، ٢١٨، ٢٣٨).

وقد زاول بعضهم قرض الشعر (ص٣٣)، أما مجالس الذكر وحفلات ختمة القرآن أو ختمة "الجامع الصحيح" و "الشفا" فإنها جعلت العربية على لسان عامة الناس في الصحراء وفي أدغال أفريقيا.

أما لغة الكتاب فإن السعدي قد عني بخطبة الكتاب فجعلها فصيحة واضحة وإن لم تكن طويلة إلا أنه في ثنايا الكتاب لم يلتزم الفصحى بل تسربت إلى لغته العامية المغربية والعامية المحلية، وإليك نماذج منها:

| | |
|---|---|
| متكلم ملسن: | أي لسن (ص١٣٠). |
| مرسوله: | أي رسوله .ص١١٦. |
| حريسش وجمعها حرشان: | حربة (ص ٨٢،١١٦، ١٢٣). |
| أيو عازمين على المقاتلة: | أتوا عازمين على المقاتلة .ص ١٢٣). |
| المخزن: | الحكومة – وهو تعبير مغربي ما زال مستعملاً (ص١٩٧، ١٩٨، ٢٣٢). |
| المحلة: | الجيش وهو تعبير مغربي (ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٢) |
| براءات: | جمع براءة (٢٤٩). |
| الحصران: | أي المحاصرة (ص ٢٤٩). |
| المشور: | القصر (للحاكم) وهي مغربية ما تزال مستعملة (ص١٧٦، ١٩٠). |
| الظهير: | الأمر الرسمي، وهي مغربية ما تزال مستعملة (ص٢٢٧). |

زنكل: ضريبة محلية (ص٢٥٢).

قياد: أي قواد (ص٧١).

عفاريتهم: أبطالهم، وهي مغربية ما تزال مستعملة (ص٧٦).

الطلوع: الارتفاع (ص ٨٠).

صاية: بركة، وهي مغربية ما تزال مستعملة (ص ٢٨٠).

## ٥- مجهول: [١]

وهو مؤلف كتاب "تذكرة النسيان" الآتي ذكره، وكان يعيش في مدينة تنبكت كما هو واضح من خلال كتابه، وقد كلفه أحد الباشوات بوضع كتاب في تاريخ السودان يكمل به عمل السعدي، وهكذا كتب "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان" وقد فرغ من تأليفه في ٢٥ شعبان ١١٦٤هـ/١٩ تموز ١٧٥١م. وقد شاءت الصدف أن يعثر على مسودة الكتاب القبطان "كادين GA DEN" عندما قاد حملة ضد المجاهد ساموري وسلمها لمحققها ومترجمها هوداس فطبعت في باريس ١٩٠١م.

والكتاب تناول باشوات السودان وأعمالهم وحروبهم وصراعاتهم مع القادة المغاربة أو مع رجال القبائل اعتبارا من عام ١٥٩١م إلى ١٧٥٠م باستثناء بعض الفترات القصيرة. وكان يلجأ إلى ذكر اسم الباشا فقط إذا لم تكن لديه أية معلومات عنه أو إذا بقي ذلك الباشا يوما أو بضعة أيام في الحكم.

وكان منهج المؤلف أن يجعل كتابه وفق الترتيب الأبجدي فيبدأ بمن اسمه بالألف وينتهي بمن اسمه بحرف الياء. إلا أنه لم يجد سوى إحدى عشرة مجموعة من أسماء الباشوات تبتدئ بالحروف المعروفة، لهذا ابتدأ بحرف الجيم وأعطى نبذة صغيرة عن القائد "جؤدر" قائد الحملة المغربية على السودان. ثم حرف الميم وأورد فيه أسماء أربعة

(١) ذكر أحمد فؤاد بليع في بحثه عن (عبد الرحمن السعدي)، إن مؤلف كتاب "تذكرة النسيان" هو الحاج سعيد وآخرون، المجلة التاريخية المصرية، ص٧٤. وهذا خطأ مردد، وورود اسم الحاج سعيد في كتاب "تاريخ صكتو" المنشور مع "تذكرة النسيان".

وعشرين من الباشوات دون أن يتحدث عن الثمانية الأوائل بشيء باعتبار أن ذكرهم ورد في كتاب : "تاريخ السودان" للسعدي. ثم حرف العين وأورد أسماء ستة وعشرين باشا. ثم حرف السين وذكر فيه أحد عشر باشا، ثم بقية الحروف الأخرى.

والملاحظ في أمر الكتاب أن المؤلف لم يستطع أن يتجنب التداخل والاختلاط في تواريخ الحكام والأحداث، وكذلك في ترتيب حروف المعجم وترتيب أسماء الباشوات حسب تتابع تلك الحروف الأمر الذي يجعل البحث في الكتاب صعباً وشاقاً[1].

كما أن المؤلف لم يحصر كل معلوماته عن الباشوات في مكان واحد، كتواريخ حكمهم وما جرى في عهودهم من أحداث سياسية أو إدارية أو طبيعية، أو ذكر للقضاة وحكام المدن الصغيرة والقرى، بل فرق هذه المعلومات. لذلك ذكر في موضع عدد الباشوات وعدد من تولى عدة مرات (ص١٦٤). ثم ذكر الفاسيين منهم (ص ١٦٤) والمراكشيين (ص١٦٥)، وذكر القضاة (ص١٧٨)، وأئمة الجامع الكبير بتنبكت .ص١٧٩) والأساكي الذين حكموا تحت إمرة الباشوات (ص ١٨٠).

وعلى كل حال، فإن الكتاب وثيقة تاريخية صادقة عن بلاد السودان شأنه شأن الكتب الأخرى التي ذكرناها، يعكس أمور هذه البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومركز المرأة المحترم إذ أن في تواريخ السودان هذه ميزة معينة هي اشتراكها في الإكثار من ذكر نساء أو بنات الحكام والولاة والعلماء وائمة المساجد مما يعطي انطباعاً جيداً عن مكانة المرأة المسلمة في هذه البلاد.

**٦- الحاج سعيد:**

كان حيا عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، "تاريخ سكت" أو "سكوتو" ، وهو تاريخ لحكام هذه المدينة التي تقع في أقصى الشمال الغربي لجمهورية نيجيريا الحالية. والحكام هم محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي الذي اتخذها عاصمة له. ومن تلاه من حكامها وهم عتيق بن أمير المؤمنين عثمان، أي شقيق محمد بلو، وعلى بن أحمد بلو. وقد نشر هذا الكتاب المختصر هوداس وألحقه بكتاب "تذكرة النسيان"، وجعل

(١) الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ٥٣٦-٥٣٧.

تسلسل صفحاته مكملاً لتسلسل كتاب "النسيان" كأنه مكمل له. وقد شغل ما بين صفحة ١٩٨-٢٢٠ كان منها محمد بلو ما بين (ص ١٨٩-١٩٦) لغزواته وحروبه في البلاد المجاورة لبلاد الهوسا، وما بين (ص ١٩٦-١٩٩) للكلام عن أحواله الخاصة مثل حبه للعلم والعلماء، وكثرة تأليفه، وتعميره لبلاد الهوسا، وحكمه الذي دام اثنتي عشرة سنة.

أما حصة أخيه عتيق بن الشيخ عثمان فكانت ما بين ٠ص ١٩٩-٢٠٦) والتي تتناول حكمه الذي دام خمسة أعوام قضاها في الغزو وإعمار بلاد الهوسا. أما آخرهم فهو علي بن محمد بلو وقد خصص له ما تبقى من الصفحات أي ما بين (ص٢٠٦ و ٢٢٠)، والذي دام حكمه اثنتي عشرة سنة.

ومؤلف "تاريخ سكت" أو "سكوتو" قريب من عائلة الشيخ عثمان، ولعله أحد أفراد العائلة إذ معرفته بهؤلاء الحكام تدل على قربه منهم، فهو قد ذكر أسماءهم مسبوقة بأمير المؤمنين. ونقل أخباراً شفوية من محيط العائلة كقوله "وكان شيخنا يحكي لي كثيراً.." (ص ١٩٤)، فمن شيخه عمر هذا نقل بعض أخبار محمد بلو قبل وفاته (ص ١٩٨). ونقل عن معاذ بن محمد بلو وصف ساعاته الأخيرة قبل وفاته. وأنه ترك من الأولاد أحد عشر ولداً، ومن البنات ثلاث عشرة بنتا، وأن أمير المؤمنين محمد بلو عينه قارئاً للقرآن في قصره يقرأ له خمسة أحزاب يومياً بعد أن مات القارئ (حسين وطنب). وذكر أن هذه العادة في القراءة كانت جارية لدى الشيخ عثمان بن فودي، وأخيه عبد الله بن فودي، فكان القارئ إذا ختم القرآن أمضى أياماً للراحة ثم يعاود القراءة على العادة المقررة (ص ٢١٩).

وفي بعض الأخبار نرى المؤلف جالساً مع الشيخ عمر وعلي بن هاشم (الأخير ممن نقل عنه الأخبار أيضا)، وأخيه الفاهم أحمد فيأتهم إلى مجلسهم ذاك خادم أمير المؤمنين علي ويتوجه بالكلام إلى الشيخ عمر طالباً منه على لسان أمير المؤمنين علي أن يدعوا الله لجيشه الغازي بالنجاة والانتصار حيث كان يقاتل في بلاد حارة قليلة الماء.

وفي موضع آخر من الكتاب نرى المؤلف يصف أمير المؤمنين على من حيث خلقته الجسمية وخلافته العظيمة، ومحبته للعلم والعلماء وتواضعه وفصاحته في المناظرة، وكرهه لسفك الدماء، وذكر أنه كان يحضر مجالسه (ص٢١٧).

ونرى المؤلف يفصح عن اسمه في (ص ٢١٨)، وذلك أنه كان حاضراً في مجلس أمير المؤمنين علي بن محمد بلو وأتته رسالة من أحد الإشراف يطلب فيها قتل رجل وعدم قبول توبته فقال –وأمرني أمير المؤمنين– فقرأها عليه أي الرسالة– وقال لي يا حاج سعيد قل للشريف ليس لي يد أقتل بها إنساناً ولا أقتل إلا من قتله الشرع ( ص ٢١٨).

وعمد المؤلف إلى اختصار أخباره وعدم ذكر كثير من تفاصيل المعارك أو الأخبار لهذا كان يشير إليها بقوله "في كلام يطول" (ص ٢١٢) أو "في خبر يطول" (ص ٢١٦) أو "مما يطول جلبه ويقبح ذكره " (ص٢١٩).

ونراه يتحقق من أخباره فلا يقبل كل ما يقال له ففي أثناء كلامه على غزوات محمد بلو يقول : "هذا آخر ما تحققنا من غزواته وله غزوات كثيرة لا نعرف حقيقتها ولذلك لم نذكرها" (ص١٩٦).

والكتاب يظهر جهود هؤلاء الحكام الثلاثة في جهادهم في البلاد المجاورة لبلاد هوسا ومحاربتهم لسلاطين غوبر، وزنفر، وكب، وصراع محمد بلو مع محمد الكانمي سلطان برنو. وما كان يجري من مكاتبات (بالعربية طبعاً) بينهما. والكتاب أخيراً يظهر تمسك هؤلاء الحكام بالعربية والدين الإسلامي، وحبهم للعلم والعلماء وتأليفهم الكتب لا سيما محمد بلو.

وقد ختم المؤلف هذا الكتاب الصغير بقوله: "هذا آخر ما تيسر لي جمعه من سيرهم وغزواتهم مع إني معترف بكثرة نسياني، وما كان منها موافقاً فمن الله وما كان فيها خطأ فمن نفسي. وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم".

**٧- البرتلي : أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر.**

فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، بيروت، ١٩٨١م.

وهو كتاب في تراجم علماء غرب أفريقيا شأنه شأن كتب أحمد بابا، يظهر جهودهم العلمية والفكرية في التدريس والتأليف ونسخ المخطوطات الثمينة. كما يظهر ارتباط بلاد التكرور ببلاد المغرب العربي الإسلامي والتأثير المتبادل بين المنطقتين ثقافياً وحضارياً خلال عصور متطاولة.

**ثانياً:أواسط أفريقيا:**

أما النشاط الفكري والتأليف بالعربية في أواسط أفريقيا فخير من يمثله عائلة الشيخ عثمان بن فودي الآتي ذكرهم:

**٨- الشيخ عثمان بن فودي (١١٦٧-١٢٣٢هـ/ ١٧٥٤-١٨١٧م): وأخيه .**

**٩- عبدالله وابنه**

**١٠- محمد بلو فقد مر الكلام عن تآليفهم.**

**١١- ناتا أسماء (ابنة الشيخ عثمان) (١٧٩٢-١٨٦٥):**

درست على أبيها الشيخ عثمان، وحفظت القرآن مع إخوتها وواصلت دراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية والشعر. وقد اشتركت مع زوجها بكتابة "تاريخ خلافة سكتو" أي تاريخ المدينة التي اتخذها أبوها مقراً له. ثم واصلت التأليف نظماً ونثراً في ميادين الوعظ والجهاد والشريعة والسياسة والتاريخ والاجتماع والتربية بما يربو على سبعين كتاباً.

ومن غير عائلة الشيخ عثمان برز في وسط أفريقيا آخرون مثل:

**١٢- عبد القادر دان تافا:**

أخبار البلاد الهوسية والسودانية [١].

---

(١) د. أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ص ٢٩.

أما في دولة برنو (تشاد حالياً) فمنهم:

**١٣- أحمد بن فرتو:**

مؤرخ البلاط في دولة برنو في زمن سلطانها إدريس ألوما. "تاريخ الاثنى عشر الأولى من حكم إدريس ألوما"، إن الباقي من هذا الكتاب الذي وضعه مؤلفه في جزئين ٧٧ صفحة من الجزء الأول، و ١٤٥ من الجزء الثاني، وهو يتناول أحداث الفترة ما بين سنة (٩٧٩ و ٩٩١هـ/ ١٥٧١-١٥٨٣م) والحروب الواقعة فيها. طبع مترجماً إلى الإنجليزية في لندن ١٩٦٢م.

## ثالثاً: شرق أفريقيا:

وإذا انتقلنا إلى شرق أفريقيا وجدنا أن الإسلام قد انتشر في الحبشة بدعوة الدعاة الأفارقة أو هجرة بعض الجاليات العربية إليها، مما أدى إلى قيام إمارات مستقلة ذكرها المقريزي. وكانت سبع إمارات هي أوفات أو (وفات) وتسمى جبرة أو جبرت وهي أوسع هذه الإمارات ثم دوارو، ورابيني، وهاديتا، وشرحا، وبالي، ودارة وسمى البلاد جميعاً باسم بلاد زيلع[1]. وهو يطلق على ميناء جبرت أيضاً، وقد دخل بعضها الآن ضمن دولة جيبوتي أو ضمن دولة الصومال كما أدى انتشار العربية لغة للتخاطب والتأليف.

وقد وفد من سكان هذه البلاد أساتذة وطلاب على مصر بأعداد كبيرة حتى أصبح لهم رواق خاص بالأزهر فمن هؤلاء صوماليون من ميناء زيلع أو جبرت:

**١- أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م):**

وهو فقيه متصوف من ذرية عقيل بن أبي طالب، كان صاحب قرية (المحمول) من قرى وادي مور بقرب اللحية على ساحل البحر الأحمر، ووفاته باللحية (بضم اللام وفتح الحاء والياء المشددة). له كتاب في التصوف سماه: "ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح طريقة".

(١) المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ٦-٨.

**٢- فخر الدين عثمان بن علي الحنفي الزيلعي (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م):**

فقيه حنفي قدم القاهرة سنة ٧٠٥هـ فأفتى ودرس وتوفي بها، وله كتاب:

- تبيين الحقائق في شرح كتر الدقائق، طبع في ستة مجلدات .
- بركة الكلام على أحاديث الأحكام.
- شرح الجامع الكبير.

**٣- جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الحنفي الزيلعي (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م):**

فقيه محدث توفي بالقاهرة ومن كتبه :

نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، أربعة أجزاء طبع مرتين الأولى ١٩٣٨م، والثانية سنة ١٩٧٣م.

وقد قدم لهذا الكتاب الشيخ المحقق محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) بمقدمة نفيسة نقتطف منها ما يأتي: [١]

"يعد هذا الكتاب منقطع النظير في استقصاء أحاديث الأحكام إذ لم يدع مؤلفه مطمعاً لباحث وراء بحثه وتنقيبه، بل استوفى في الأبواب ذكر ما يمكن لطوائف الفقهاء أن يتمسكوا به على اختلاف مذاهبهم من أحاديث قلما يهتدي إلى جمع مصادرها أهل طبقته ومن بعده من محدثي الطوائف. إلا من أجهد نفسه إجهاده، وسعى سعيه، بل قل أن ينصف إنصافه فيدون أدلة الخصوم تدوينه غير مقتصر على أحاديث طائفة دون طائفة، مع بيان ما لها وما عليها.

والحافظ الزيلعي هذا، جامع لأوصاف العدالة. لذلك أصبحت كتب أصحاب التخاريج بعده عالة عليه، فدونك كتب: البدر الزركشي، وابن الملقن، وابن حجر، وغيرهم... وقارنها بكتب الزيلعي، فإنك ستجد أن سدى تلك الكتب ولحمتها كتب الزيلعي، إلا في التعصب المذهبي .

---

(١) طبعت هذه المقدمة لوحدها تحت عنوان "فقه أهل العراق وحديثهم" وقام بتحقيقها عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

وكتاب الزيلعي هذا يجد فيه الحنفي صفوة ما استدل به أئمة المذهب من أحاديث الأحكام، ويلقى المالكي فيه نقاوة ما خرجه ابن عبد البر في "التمهيد" و "الاستذكار"، وخلاصة ما بسطه عبد الحق في كتبه، في أحاديث الأحكام، والشافعي يرى فيه غربلة ما خرجه البيهقي في "السنن" و "المعرفة" وغيرهما، وتمحيص ما ذكره النووي في "الخلاصة" و"المجموع" و "شرح مسلم" واستعراض ما بينه ابن دقيق العيد في "الخلاصة" و "الإمام" و "العمدة". وكذلك الحنبلي يلقى فيه وجوه النقد في كتاب "التحقيق "لابن الجوزي" و "تنقيح التحقيق" لابن عبد الهادي، وغير ذلك من الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام.

بل يجد الباحث فيه سوى ما في الصحاح والسنن والمسانيد والآثار والمعاجم، ومن أدلة الأحكام في الأبواب من "مصنف" ابن أبي شيبة، و "مصنف" عبد الرزاق، ونحوهما مما ليس بمتناول يد كل باحث اليوم. مع استيفاء الكلام في كل حديث، ومن أقوال أئمة الجرح والتعديل: من كتب العلل المعروفة، مما جعل لهذا الكتاب ميزة عظمى بين كتب التخاريج".

**٤- حسن بن إبراهيم بن حسن الزيلعي العقيلي الحنفي (١١١٠-١١٨٨هـ/ ١٦٩٨-١٧٧٤م) والد المؤرخ الجبرتي:**

فقيه له علم بالفلك والهندسة اثنى عليه ولده عبد الرحمن (المؤرخ) وأطال في ترجمته بعد أن ذكر أجداده، ولا سيما السابع منهم (عبد الرحمن) الذي هاجر من بلاده جبرت بطريق البحر إلي جدة في أوائل القرن العاشر الهجري وانتقل إلى مكة فجاور بها وحج مرارا وذهب إلى المدينة المنورة ثم انتقل إلى مصر عن طريق البحر الأحمر، ودخل الأزهر وجاور برواق زيلع واجتهد، فعلا اسمه فاختير شيخا للرواق. فلما مات خلفه ابنه شمس الدين في مشيخة الرواق وهكذا ظل أحفاد الجبرتي الكبير يتوارثون مشيخة رواق زيلع حتى الجبرتي المؤرخ الذي كان آخر من تولى هذه المشيخة، وذلك في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري( أوائل القرن التاسع عشر الميلادي).

وبذلك تكون مشيخة رواق زيلع قد انحصرت في أسرة الجبرتي زهاء ثلاثة قرون[1]، وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن لوالده نحو عشرين رسالة منها:

- رفع الأشكال- في حكم ماء الحوض.
- نزهة العين في زكاة المعدنيين.
- حقائق الدقائق.
- رسالة في المواقيت.
- المفصحة فيما يتعلق بالأسطحة.
- أخصر المختصرات على ربع المقنطرات- في الفلك.
- الدر الثمين في علم الموازين.
- الأقوال المعربة على أحوال الأشربة- طبع.

**٥- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (١١٦٧-١٢٤٠هـ/١٧٥٤-١٨٢٥م):**

مؤرخ مصر ومدون وقائعها وسير رجالها في عصره، ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله نابليون حين احتلال مصر من كتبة الديوان، وولي إفتاء الحنفية في عهد الوالي محمد علي باشا ومن تأليفه:

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار طبع في أربعة أجزاء، ويعرف بتاريخ الجبرتي، ويتناول الفترة من ١١٠٠-١٢٣٦هـ/ ١٦٨٨-١٨٢٠م، وقد لقي هذا التاريخ عناية من الكتاب والمؤرخين العرب والأجانب لما حواه من معلومات عن تاريخ مصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية. ومن هؤلاء الكتاب والمؤرخين الأجانب "لين" و "فون كريمر" و "جب" و "برون"[2].
- كتاب "مظهر التقديس لذهاب دولة الفرنسيين".

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم، صوماليا، ص ٣٨٨.

(٢) محمد محمود السروجي، كتاب عجائب الآثار كمصدر لأحداث الجزيرة العربية، ص ٢٧٩.

٦- **شيبو فرج بن أحمد الباقوري (الباقري):**

أخبار لامو - ترجمة هشنس، طبع في جو هانسبرج سنة ١٩٣٩م، ولامو اسم جزيرة تقع أمام ساحل كينيا على خط عرض ٢ جنوب خط الاستواء شمال شرق ميناء مالندي. سكنها العرب ولا سيما القادمون من الخليج.

٧- **محي الدين الزنزباري:**

السلوة في أخبار تاريخ جزيرة كلوة الواقعة في المحيط الهندي أمام ساحل تنزانيا على مقربة من خط ٨ جنوب خط الاستواء إلى الجنوب من دار السلام (عاصمة تنزانيا) وتسمى الآن كلوة كسواني تميزا لها عن المدينة التي نشأت قبالتها على ساحل تنزانيا وسميت كلوة فنجة (كلوة كفنجة)[1].

إن كتاب "السلوة" طبع مع ترجمته من قبل أس. أي. سترونج ونشر في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عام ١٨٩٥م.

وقد كان في خزانة سلطان زنجبار، السيد برغش ثم نسخ منه أحد العاملين في بلاطه وهو الشيخ عبد الله بن مصبح نسخة لنفسه. ويتألف الكتاب من مقدمة قصيرة وعشرة فصول ذكر المؤلف في أولها اسم الكتاب، وأنه ألفه في القرن التاسع الهجري، أما فصول الكتاب فهي:

الفصل الأول: يتناول فيه تأسيس مدينة كلوة وأول من وفد إليها.

الفصل الثاني: فيه ذكر اضطراب الأمر على أهل كلوة وولاية المتمندلين.

الفصل الثالث: في ولاية أبي المواهب - وفي عهده زار الرحالة ابن بطوطة جزيرة كلوة.

الفصل الرابع: في ولاية الملك العادل، الملقب بالمطر الجديد.

الفصل الخامس: في ذكر رجوع الأمر إلى بيت أبي المواهب.

---

(١) المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ٣٧.

الفصل السادس: في ولاية الحسن بن الوزير سليمان بن يارك، وفيه قصة الأمير محمد كواب، وأسباب وفاته.

الفصل السابع: في ولاية السلطان سليمان، وبقية قصة محمد كواب.

الفصل الثامن: في ولاية حاج محمد بن ركن الدين الدابولي، وقصة ولده الحاج حسن.

الفصل التاسع: في ولاية السلطان محمد بن الأمير كواب المذكور وبقية قصة رجوع الأمر إلى الأمير إبراهيم، وولاية أخيه الأمير سعيد.

الفصل العاشر: في ولاية الملك العادل السلطان محمد بن السلطان حسن بن السلطان سليمان بن السلطان محمد الملقب بالمطر الجديد.

إن الكتاب يظهر وجود العرب (وهم من أهل الخليج على الأرجح) في هذه الجزيرة منذ القرن الثالث الهجري، وقد عرفت سلطنة كلوة منذ القرن الرابع الهجري حتى أوائل العاشر باسم دولة الزنج[1]، وقد قام بدراسة هذا الكتاب أكثر من باحث حديث فالمغيري قد تولى ما ورد من روايات تاريخية عن المؤسسين للحكم العربي في هذه الجزيرة[2]. وعقد الدكتور جمال زكريا قاسم مقارنة بين نص الكتاب وما أورده بعض المستشرقين المعنيين بتاريخ أفريقيا أمثال "جرنفيل فريمان" و "انجرامس" و "باروس" "من معلومات عن كتاب آخر عرف باسم: "سنة الكلاوية" يعتقد بأنه أصل كتاب "السلوة"[3].

**٨- عرب فقيه: شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الساكن بجيزان:**

فتوح الحبشة: طبع في باريس ١٨٩٧-١٩٠٩م بتحقيق "دينية باسية" أرخ فيه لجهاد المجاهد أحمد بن إبراهيم الملقب بالأشول أو الأعسر في اللهجة الصومالية

---

(١) المغيري، جهينة الأخبار، ص ٥٩-٦٠.

(٢) د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص ٦٥-٩٦.

(٣) نفسه.

(جران)، وكان فارساً شجاعاً يخدم في جيش صاحب هرر، وقد قضى نشأته الأولى في منطقة "هوبت" بين "جلديا" و "هرر" من أرض الحبشة والتي أصبحت فيما بعد مركز العمليات العسكرية. وكان والده قد وضعه تحت رعاية أحد عبيده الذين حررهم ويقال له (عدلي أو عدولي) الذي أصبح فيما بعد من كبار مؤيديه. ولقد تزوج أحمد من "باني" ابنة محفوظ إمام زيلع وكسب بذلك تأييد اتباع محفوظ. وقد تولى "جران" الذي لقب بالإمام زعامة الصوماليين وعزم على فتح جميع بلاد الحبشة. وقد استمر جهاده ما بين ٩٣٥ و ٩٥٠هـ/ ١٥٢٨-١٥٤٣م، حتى لقي ربه في سنة ٩٥٠هـ.

وقبل الكلام عن الكتاب لا بد لنا من إعطاء صورة عن الحبشة التي كانت حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي تبسط سيطرتها على الإمارات العربية الإسلامية التي تحيط بالحبشة من جهة شواطئ البحر الأحمر والمحيط الهندي، إلا أن وفاة الإمبراطور الحبشي زرء يعقوب سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨ أدت إلى ضعف السيطرة الحبشية فتجددت المناوشات والحروب الصغيرة، وسرعان ما أصبحت سيادة الإمبراطور الحبشي على الإمارات العربية اسمية وشكلية. واستمرت الاضطرابات خلال عهود متوالية من ملوك الحبشة تنقلت الانتصارات من فريق إلى آخر حتى قامت الملكة هيلينا بطلب المعونة من البرتغاليين لأجل التعاون على قهر المسلمين، مما دعا سلطان "عدل" الأسطول إلى طلب الأسلحة من العثمانيين (الموجودين في الجزيرة العربية) فتشجع وقام بمحاربة مملكة الحبشة، إلا أنه فشل واستطاع الإمبراطور باجتياح مملكة "عدل" وفي الوقت نفسه قام الأسطول البرتغالي من البحر بحرق مينا زيلع. إلا أن الحروب تجددت بعد ذلك وأخذت مظهراً جديداً اكتسح فيه المسلمون جميع بلاد الحبشة واستولوا على السلطة فيها بشكل لم يسبق له مثيل ويطلق المؤرخون على هذه الفتوحات اسم (الغزو العظيم)[1].

(١) فتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص ١٤٨-١٥٥.

أما مؤلف الكتاب شهاب الدين فقد كان معاصراً للإمام أحمد جران مرافقاً له في غزواته، لذلك يعد كتابه وثيقة صادقة عن تاريخ المسلمين في النصف الأول من القرون السادس عشر الميلادي. فكان يذكر رؤيته للأحداث مثل قوله: "وشهدت صمبر كوري مع الإمام، وباقي الغزوات فلم أر خيلاً ولا بغالاً أحسن من خيل زري وبغالها.." ص (١٢٧)، أو مثل قوله: "قال المؤلف رحمه الله تعالى سمعت من الإمام يحدث ويقول قال ابسمانور يومئذ كنت سمعت من حضرة الإمام قارئا وهو يقرأ في كتاب المشرع -لعله الشرع- في فضل الجهاد.." (ص ١٤٧)، وفي موضع آخر: "قال الراوي رحمه الله تعالى رأيت ليلة عظيمة - الكلام عام ٩٣٧هـ/١٥٣٠م- الريح والمطر ليلة ما بتنا قربها -أي مدينة برارة- أظلمت السماء واحلولك الظلام وغابت النجوم وجاءنا ريح كأفواه القرب، فلقد رأيت الريح تنقل الخيمة من الأرض وتطير بها فوق الخيمة التي تليها واقتلعت جميع الخيم. ولقد رأيت الإمام وسريته هاجره ورجلين من أصحابه ماسكين الخيام وهم يصيحون بالتهاليل والتكبير كأنهم أيقنوا هلاكهم في ذلك المكان فرفع الله عنهم الظلام والمطر والريح" (ص١٥٨).

وكرر المؤلف أقوالاً تدل على المشاهدة عن قرب في مواضع أخرى من الكتاب (ص ٣١٠)، ويبدو أن المؤلف لم يكتف بالمشاهدة وتسجيل تفاصيل المعارك بل إنه بعد أن هزته فرحة الانتصار على إمبراطور الحبشة في إحدى المعارك في بلاد التجيري قال شعراً في المناسبة (١٩ بيتا) (ص٣٣٠).

وقد ابتدأ المؤلف كتابه بالبسملة والحمد لله تعالى والنطق بالشهادتين والصلاة على النبي وآله وأصحابه كما جرت العادة، ثم قدم مقدمة قصيرة للكتاب اعتنى في صياغتها مبيناً فيها فضيلة الجهاد مستشهداً بالآيات الكريمة والأحاديث. ثم ذكر أنه سيتحف القارئ بأخبار تشتاق إليها النفوس وأنه سمى كتابه: "فتوح الحبشة على يد الإمام الأعظم الأمجد الهمام الأكرم الأسعد الذي لم يسمع بمثله ولا تلا أحد بمنواله فأعاد الله علينا وعلى المسلمين بركاته وأفضاله، الملك الناصر والشهاب الزاهر شهاب

الدين سلالة السادة المجاهدين أحد الأئمة المهديين القائم بأمر الله البـــاذل مهجتـــه في مرضاة الله سيدنا ومولانا الإمام العالي الجنان المحترم أمير المؤمنين السلطان أحمـــد بـــن إبراهيم الغازي المجاهد المرابط رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه بجواره بدار القـــرار بحق محمد المصطفى المختار وآله وأصحابه البررة الأخيار، وإعطاء الله تعالى جميع مـــا يتمناه في آخرته ودنياه إنه ولي ذلك والقادر على ما هنالك آمين". ثم ذكر بعد ذلـــك ما كان يدور في خيال الناس نتيجة الفوضى والاضطراب قبل ظهور الإمام أحمد مـــن آمال في ظهور رجل يخلصهم مما هو فيه. مثل الحلم الذي رآه أحدهم: "إذ وجد النـــبي ﷺ، وعن يمينه أبو بكر وعن يساره عمر ابن الخطاب وبجوارهم علي بن أبي طـــالب وبجانبه الإمام أحمد بن إبراهيم، فسال -صاحب الحلم- من هذا يا رسول الله؟، فأجابه ﷺ: (هو الرجل الذي سيصلح الله به بلاد الحبشة) (ص١٣). وكان الإمام وقت هـــذه الرؤيا فارسا بسيطاً في جيش صاحب هرر وعندما زار صاحب الرؤيا مدينة هرر، وقع نظره على أحمد بن إبراهيم فوجده مطابقاً لما رآه في المنام. ومما حاكه الناس حولـــه أن بعض رجال التصوف المشهورين تنبأ بظهوره وسماه باسمه ووصفه مثل ولي الله شمـــس الدين علي بن عمر الشاذلي القرشي اليمني (ت٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، وهذا الصـــوفي ممن ساح في بلاد كثيرة مثل مصر والشام والحجاز واليمن والحبشة ثم استوطن (مخا) في اليمن[1].

ثم ذكر بعد ذلك ما دار من صراع بين المجاهد أحمد وسلطان هرر الذي انتـــهى بقتل سلطان هرر وتنصيب شقيقه الذي اصبح تابعاً له ثم أخذ يعمل على تحقيق هدفـــه بالاستيلاء على جميع الحبشة. فبدأ بقطع الجزية التي كانت تـــؤدي لملـــك الحبشـــة ثم حدث الصدام بين جيشه وجيش الحبشة، ولما كانت نتيجته انتصـــار المجـــاهد أحمـــد اشتعلت في نفوس المسلمين حماسة الجهاد فزاد انضمامهم إليه، وهكذا باشر الجـــهاد فكانت له جملة مواقع هامة انتصر فيها كما حدث في عام ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م.

---

(١) الزركلي، الأعلام، ٥، ص ١٣٢.

ثم عاد بالمجاهدين إلى ديارهم نتيجة إلحاحهم لكسب الراحة وأخذ بعدها بتكوين جيشه من جديد معتمداً على العناصر التي تدين له بالولاء. واستغرق ذلك مدة عامين ثم واصل جهاده بادئاً بالاستيلاء عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م على دوارو، وشوا ثم أمهرة، ولاشا ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م، وفي طريقه استولى على السلطنات الإسلامية في بالي وهدية وسيداما وجوراجي من أجل توحيد الحبشة تحت سلطانه.

ولقد اتسمت غزوات الإمام أحمد بالسرعة والمفاجأة والحماس والشدة التي لا تقاوم. وكان يستخدم الجواسيس لمعرفة تحركات الإمبراطور الحبشي، كما كان يعمد إلى أخذ المعلومات عن تحركات جيشه من الرعاة والفلاحين. واتخاذ الاحتياطات عند الاستراحة، ورسم الخطط والتعبئة عند القتال. وعند العودة إلى الاستراحة يطلب من جيشه الاهتمام بالخيل وتهيئة آلات الغزو (ص٧٠). ويستعين في حركاته بالإدلاء، وما أن حل عام ١٥٣٥م، حتى كان الإمام أحمد قد سيطر على وسط الحبشة وجنوبها، وبدأ بغزو مقاطعة تيجري التي دانت له بالرغم مما بذلته من مقاومة عنيفة، وبذلك امتدت سلطته من شواطئ البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً حتى مدينة كسلا غرباً حيث اتصل بالمقاطعات الإسلامية التي كانت وقتئذ بشرق السودان.

وكان المجاهد أحمد يرسل من يشتري له السلاح لا سيما المدافع، فقد وصلته في إحدى المرات سبعة مدافع ومعها سبعون رجلاً من المهرة (ص٩٧)، وانضم لجيشه كثير من المرتزقة فضلاً عن المتطوعة من القبائل (ص٩٨).

وأمام الانتصارات الكبيرة أصبحت الحبشة كلها تحت حكم المجاهد أحمد مما أدى بالإمبراطور الحبشي إلى اليأس بعد الهزائم الكثيرة التي لحقت به، ولقد أرسل بطلب الإغاثة إلى البرتغاليين الذين أصبح لهم أسطول يجوب شرق أفريقيا. إلا أن الإمبراطور مات قبل وصول البرتغاليين.

ومما يجدر ذكره أن الإمام أحمد بدا جهاده وعمره إحـــدى وعشـــرون ســـنة، واستطاع خلال خمس عشرة سنة أن يجعل الحبشة تحت حكمه وعمره لا يزيد علـــى الرابعة والثلاثين (ص٢٠).

ثم وصلت الحملة البرتغالية إلى ميناء مصـــوع في ١٥٤١م بالأســـلحة والمدافـــع الحديثة. وحصلت الحرب بين القوتين غير المتكافأتين مما أدى إلى إلحاق الهزيمـــة ســـنة ١٥٤٣م، بجيش الإمام أحمد وقد أصيب بجراح في المعركة، ثم لحقته هزيمة أخـــرى. ثم استأنف القتال بعد أن جاءته مساعدة من الوالي العثماني المقيـــم في زبيـــد بـــاليمن، وكذلك من شريف مكة واستطاع الانتصار وقتل قائد الحملة البرتغالية ونصف قوتـــه، إلا أن القوة التي جاءته على سبيل المساعدة انسحبت من بعد الانتصار. فلمـــا عـــاود البرتغاليون الكرة بمساندة الإمبراطور الحبشي "جلاوديوس" انتصروا على الإمام الـــذي توفى في تلك المعركة سنة ٩٥٠هـــ/ ١٥٤٣م[١].

كان المؤلف شهاب الدين ينقل –وهو شاهد عيان– صوراً دقيقة عن المعـــارك، يذكر فيها أدق التفاصيل مثل قراءة الفقهاء للقرآن وترتيله من قبل المقاتلين عند الإقدام على الغزو أو بعد انتهائه (ص١٢٣). أو ذكره لأسماء الفرسان من الطرفين، وأسمـــاء قتلاهم. وعدد القتلى مثال ذلك ما ذكره بعد معركة "صمبر كوري"، التي انتصر فيـــها الإمام "وكان جملة من قتل من المسلمين من قبيلة الصومال، ومن قبيلة الحرلة ومـــن قبيلة الملساي، ومن العرب خمسة آلاف"( ص ٦٤). ومن جملة التفاصيل اسم حصـــان الإمام أحمد "سكب" (ص ٢٠٥)، واسم حصان قائد جيش الحبشة "جبل الذهـــب" (ص٦٤). ومن هذه التفاصيل أن الإمام أحمد أرسل مسبحته ومعها كتاب أمـــان إلى أحد الأحباش (ص١٨٢)، وأن يهود الحبشة الذين يسموهم الفلاشة كانوا يســـكنون بلاد سمين من الحبشة (ص٣٤٢).

---

(١) فتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص ١٤٨-١٥٩، نقلاً عـــن ترمنغـــهام: الإســـلام في أثيوبيـــا بالإنجليزية، ص ٨٤-٨٩.

ومن المعلومات التي قدمها شهاب الدين بعض الجزئيات التي لم يشأ إغفالها والتي تؤيد معلومات أوردها غيره من المؤرخين مثل الصلة ما بين كنائس الحبشة ورئيسهم البطريق في مصر الذي كانت له سلطة روحية عليهم (ص١٣٩). ومن هذه الجزئيات ذكره لهدايا الأمراء المسلمين للإمام أحمد متضمنة "البن، والقات، والسكر" (ص١٣٣).

ويبدو أن شهاب الدين ممن قرا كتب المغازي والفتوح التي ألفها العرب وتأثر بها إذ أنه استعمل أسلوبهم في ذكر التفاصيل مثل ذكر أسماء الفرسان أو مثل التعابير الآتية في وصفه لأحد الأحباش بقوله : "أسلموا وحسن إسلامهم وشهدوا المشاهد التي كانت بعد..." (ص١٧٧).

أما لغة الكتاب فهي مفهومة وسهلة بشكل عام إلا ألفاظاً فيها ركاكة وتعابير عامية تخللت الكتاب مثل :

- اشتور المسلمين فيما بينهم: أي تشاوروا (ص ١٢٤).
- شماع: جمع شمعة (ص ٢٢٢).
- غلب الأمير في ذلك: أي رفض ذلك (ص ٢٨).
- المحطة: بمعنى الجيش وقد مر بنا أن المغاربة يقولون المحلة (ص ٣٤،٥٣).
- فقد تغولنا في الطريق: يقصد توغلنا في الطريق (ص٦٧).
- تمجن في الصلح بينه وبين الإمام: أي تشفع (ص٦٧).
- فأضافوهم أهل البلد: يقصد استضافهم أهل البلد (ص٨٢).
- الرزن: بمعنى الأثقال (ص٨٣).
- وأنهم مرزونون: أي مثقلون (ص١١٣).
- سيوط: جمع سوط من سياط، وأعجال جمع عجل (ص٢٣١).

- حق الملك، وحق خواصه: أي العائد للملك، والعائد لخواصه (ص٢١).
- فنجان وجمعها فناجين: أي أكواب وهي نفس التسمية المستعملة في العراق لأكواب القهوة (ص ١١٤).
- رمس: جمعها أرماس (ص٣٣٥) ويقصد بها هيئة زورق بعمل من الأخشاب شبيه بالكلك الذي كان مستعملاً في العراق أوائل هذا القرن.
- السنبوق: نوع من الزوارق (ص٣٣٥).
- يستعمل واو الجماعة مع الفاعل مثل قوله: "وأما ما كان من أمر الكفرة فإنهم لما انهزموا المسلمون بالصبح.."(ص٥٢).

هذه بعض النماذج المشهورة عرضناها لإعطاء فكرة عن الجهود التي بذلها الأفارقة في البلاد غير العربية سواء كانوا من اصل عربي أو من اصل زنجي. وما لم نعرفه أكثر وهو ما زال مخطوطاً يركن في مكتبات عدة دول أفريقية، ففي نيجيريا هناك سبع مكتبات رسمية و ٤٨ مكتبة شخصية تزخر بالمخطوطات. وفي دار أحمد بابا التمبكتي للمخطوطات العربية في جمهورية مالي حوالي ١٠٠,٠٠٠ مخطوطة عربية. وفي داكار في السنغال وغيرها من دول غرب ووسط أفريقية من المخطوطات ما يستدعي تكاتف الجهود للتعريف به ووصفه ونشر ما يمكن نشره.

إن هذه المكتبات وما تحويه من مخطوطات عربية تشير إلى ما كان قائماً من حركة علمية لدراسة العربية وعلوم الإسلام حتى أصبحت بعض المدن الأفريقية مثل تمبكتو وجني، وكانو، مراكز إشعاع عربية إسلامية. وقبلة لطلاب العلم من مختلف

بقاع أفريقيا وقد وصف الرحالون العرب النشاط العلمي لهذه البلاد وقدموا عنها صورة مشرقة، ففي هذا المجال نرى الحسن الوزان "ليو الأفريقي" يقول: "إن تجار الكتب كانت شديدة الرواج هناك وكانت تجارتها تحقق أرباحا أكثر مما تحققه أية تجارة أخرى"، فقد تم في هذه المدن نسخ المخطوطات وتداول بيعها مثل كتب "عياض" و "سحنون" و "شروح ابن القاسم"، و"مختصر خليل"، و"كتب الونشريسي"، و "موطأ مالك"، و "المدونة"، و"تحفة الحكام"، و "المحكم لابن سيدة".

وقيل إن سلطان دولة سنغي "أسكيا داود" أراد تكريم المؤرخ محمود كعت فاشترى له نسخة من كتاب "القاموس المحيط" بثمانين مثقالاً من الذهب

ويبدو أن مدينة "تنبكت "أو "تمبكتو" قد بلغت من النشاط العلمي شاوا بعيداً مما جعل المؤرخ محمود كعت أحد أبنائها يعقد مقارنة بينها وبين البصرة بسبب تشابه الموقع والنشاط العلمي فتنبكتو على نهر النيجر يزاول أبناؤها التجارة كما يزاولون العلم، والبصرة على شط العرب لعبت دورها المعلوم في التجارة والعلم، ولهذا قال واصفاً تنبكت: "وهي يومئذ موصوفة ببعض ما وصف به الحريري البصرة في المقامة الثامنة والأربعين التي تعرف بالحرامية[1] أو في المقامة الخمسين البصرية من قوله: "يا أهل البصرة، رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما أضوع ريّاكم[2] وأفضل مزاياكم، بلدكم أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة، وأفسحها رقعة وأمرعها نجعة، وأقومها قبلة، وأوسعها دجلة.. إلى قوله، وله آية المد الفائض، والجزر الغائض. انتهى".

## الصلة الحالية والمستقبلية بين العرب وأفريقيا:

أ- مما مر يتضح جليا عمق الصلة الثقافية بين العرب وأفريقيا ورسوخها، وروافد هذه الصلة النابعة من الإسلام وان اتخذت أشكالا فكرية وممارسات عملية اختارت

---

(١) مقامات الحرير من المقامة الحرامية، ص ٣٩٦، المقامة البصرية، ص ٤١٢، ط بيروت، ١٩٥٨م.

(٢) ما أعطر روائحكم الزكية.

منها شعوب القارة ما لاءم نفسيتها وأمزجتها وتركت ما سوى ذلك. وقد أنعشت الحضارة الإسلامية الحضارات القديمة وأمدت شعوب القارة السوداء بروح جديدة للانطلاق والبناء. وقد قدم لنا الرحالة العربي ابن بطوطة والبكري والوزان من صور الإعجاب الشيء الكثير عن الثراء الكبير والحياة الرغدة التي رأوها والنشاط الفكري للمدارس والمعلمين والدعاة والمجاهدين في أفريقيا الغربية[1].

وسواحل أفريقيا الشرقية التي رأوها قبل قدوم البرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر الميلادي وانتزاعهم من العرب والمسلمين تجارة الشرق[2]. فضلا عن وصف الرحالة البرتغالي دورات باربوسا الذي وصف بشكل دقيق كثيراً من مظاهر الحياة التي كان يعيشها الأهالي على اختلاف حياتهم. وقد سجل إعجابه بما وجده من مدن ومجتمعات متحضرة على الساحل الشرقي لأفريقيا وتجارة مزدهرة. ومما لاحظه من التناقض الشاسع بين الساحل الغربي والساحل الشرقي لأفريقيا[3].

فكان النشاط الفكري الذي ساهم فيه البربر والزنوج فضلا عن العرب في ميادين العلوم الإسلامية والأدب العربي بفروعها المختلفة على مستوى رفيع. وكانت حركة نشر الإسلام في إفريقيا الغربية والصحراء الكبرى في نمو واتساع ثم أخيراً برزت الحركة النضالية ضد الاستعمار التي قامت على عاتق المستنيرين الذين وجدوا في الإسلام عامل توحيد لشعوب أفريقيا ولطرد الغاصب المحتل.

إن الصلة الثقافية التي قامت بعقدها حركات شعبية بدأت بشكل عفوي دون تخطيط من دولة قائمة، ثم نشطت هذه الحركات وكونت إمارات ودولاً اختلفت أحجامها وطول أعمارها وأهمية تأثيرها، ولكنها عموما كانت حركات سلمية تدعو

---

(١) انظر د. جمال زكريا قاسم: أثر الاستعمار، ٨٠٣، ٨٠٧.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

إلى نشر أفكارها وهي لذلك أنبل غاية إذا قورنت بحركة الاستعمار الأوروبي الـــذي كان يهدف إلى :[1]

١- إيجاد أسواق لتجارته.

٢- الاستيلاء على المواد الأولية والمعادن.

٣- جعل المستعمرات قواعد أمامية للدول المستعمرة في حالة قيام حرب.

٤- ونضيف سببا رابعا أهم هذه الأسباب والمحرك الأول للاستعمار وهو القضـــاء على الإسلام والمسلمين وانتزاع الموارد الاقتصادية من أيديهم.

وكان من مساوئ مجيء الأوربيين إلى أفريقيا وبلاد العرب أنهم أحرقـــوا المـــدن ونهبوها في الخليج العربي وفي السواحل الشرقية لأفريقيا. وكان أشدهم سوءا في ذلـــك البرتغاليون.[2] وحلوا الروابط بين الخليج العربي وجنوب الجزيرة بالسواحل الشـــرقية لأفريقيا بشتى السبل والحيل لأحياء الحضارات القديمة لإبعادهم عن الإسلام والكتابـــة بالحروف اللاتينية بدلا من العربية، ويكفينا مثالا على ذلك ما جرى لزنجبار. ذلك مـــا قامت به بريطانيا من اتفاق مع القوى الزنجية في ديسمبر عـــام ١٣٨٢/ ١٩٦٣م إذ قامت بريطانيا بالانسحاب من الجزيرة كي تعلن ظاهريا إعطاءها الاســـتقلال لهـــذه الجزيرة ثم بعد خمسة أسابيع انفجرت المؤامرة العنصرية المدبرة وقضى علـــى الكيـــان العربي عام ١٩٦٤[3].

أما في غرب أفريقيا فإن حضارة الأوربيين ابتكرت شركات المتـــاجرة بـــالرقيق الإفريقي حيث أخذت تجمعه في أماكن على الساحل الغربي وتقوم بنقله إلى أمريكـــا. وقد دامت هذه التجارة الأوربية قرابة أربعة قرون اختطف الأوربيين خلالها نحو مائـــة مليون أفريقي.

---

(١) دنيس أوستن: أفريقيا الغربية والكومنولث: ٣٦.

(٢) نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام : ٥٩،٦٠.

(٣) عامر محمد الحجري : تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ٧٧٩ وجمال زكريا، ٧٩٨.

وقام في أمريكا أبناء الطائفتين الكاثوليكية والإنجيلية بتسخير العبيد في مزارعهم مزارع التبوغ وقصب السكر[1].

وخلال القرن التاسع عشر كانت بلاد العرب وأفريقيا مجال مساومة لاسترضاء الدول الأوربية بعضها مع بعض الآخر[2].

ب- إن البحث قد بين عمق الصلات الثقافية بين العرب وأفريقيا، التي زادها تمتينا حركة الكفاح ضد الاستعمار الأوربي وهذا يملي على شعوب هذه البلاد رسم الخطط السلمية للتعاون في الحاضر والمستقبل ومن هذا المنطلق نقول أن الأهمية التي تحتلها دول القارة الأفريقية والأقطار العربية إذ تشكل بمجموعها ٤٠% من عدد الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة تجعلها تستطيع أن نلعب دورا أساسيا في حركة الصراع التاريخي وكذلك في العمل من أجل استقرار الأمن والسلم الدوليين في العالم.

وهناك مسألة جديرة بالنظر وهي أن الامتداد العربي في القارة الأفريقية هو أوسع في جغرافيته الطبيعية والبشرية عما هو عليه في آسيا، فالبلدان الأفريقية العربية تشمل اليوم ما مساحته تسعة ملايين كم٢ تقوم عليها حاليا تسع دول هي: موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس والجماهيرية الليبية ومصر والسودان والصومال وجيبوتي ومن ثم فإن العرب ليسوا آسيويين كليا، ولا هم بإفريقيين كليا وإنما يتراوحون بين القارتين آسيا وأفريقيا.[3]

أما صيغ التعاون العربي الأفريقي الحالي فيبدو من خلال المنظمات الإقليمية والهيئات الثقافية والسياسية. ولعل أهم هذه المنظمات الوحدة الأفريقية التي تأسست خلال مؤتمر إديس أبابا من أيار عام ١٩٦٣ ويمكن القول أن ميثاق الوحدة الإفريقية

---

(١) دنيس أوستن: أفريقيا، ٣٧.

(٢) أسير: أفريقيا والعرب ٣٨، ٣٩.

(٣)م.ن.

يمثل أول لقاء بين الفكر العربي والفكر الأفريقي من إطـــار تنظيمي رسمي واحــــــد. فمن بين الأعضاء الاثنين والثلاثين المؤسسين لمنظمة الوحدة الأفريقية ثمان دول أفريقيــة تنتمي إلى الجامعة الدول العربي[1].

فضلاً عن أن رابطة العالم الإسلامي، والمؤتمر الإسلامي، والبنوك العربية الأفريقية. كلها مواقع للعمل المشترك الذي يساهم به كل من العــــرب والأفارقــة والمطلــوب مستقبلاً ما يأتي:

١- زيادة اللقاءات بين المنظمات الجماهيرية والهيئات الفكرية والرياضية والفنية.

٢- تبادل الكفاءات والخبرات المختلفة للتبادل والمعلومات وإثراء التجارب المحليــة في المجالات العلمية والفنية المختلفة في إطار الحضارة الإسلامية.

٣- تبادل المعلومات المختلفة كتباً وخرائط وأفلاماً وثائقية لتسهيل مهمة البــــاحثين والدارسين.

٤- تخصيص منح دراسية كافية للأفارقة في الجامعات العربية في اختصاصات متعددة ولا ســيما في مجال علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الفقهية، والتاريخ والحضارة الإسلامية.

٥- مساعدة الدول العربية ممثلة في جامعاتها ومراكز تحقيق التراث فيــــها، ومراكــز حفظ الوثائق لنشر أدلة المخطوطات والوثائق المكتوبة بالخط العربي لتسهيل مهمة التعــرف عليها وتسهيل عملية طلب استنساخها من قبل الباحثين أو الهيئات العلمية.

٦- تنشيط الصلة التجارية بين الأقطار العربية والافريقية في المجال الزراعي والحيــواني والصناعي.

٧- التأكيد على تدريس مادة تاريخ الوطن العربي في الأقطار الأفريقيــــة وتــاريخ الشــعوب الأفريقية في الوطن العربي لإظهار الروابط الثقافية والتجارية العريقة بين الشــعب العــربي والشعوب التي رزحت تحت حكم في ظل الاستعمار في القارة الأفريقية.

---

(١) م.ن ٦٣.

٨- تخصيص مواسم ثقافية ثابتة لعقد لقاءات في إحدى الدول العربية أو الأفريقية لمدارسة بعض مفردات الحضارة الإسلامية أو بعض القضايا المتعلقة بالفكر المعاصر العربي والأفريقي.

وفي ضوء ما تقدم فإن المطلع على العلاقات العربية الإفريقية يأمل أن تستطيع الأقطار العربية الاستفادة من عرض وجهات نظرها لدى الأقطار الأفريقية للحصول على تأييدها ومن ثم الوقوف بوجه المخططات الاستعمارية، والصهيونية المتربصة بالعرب ولدحر الافتراءات المعادية للأمة العربية والإسلام.

## قائمة المصادر والمراجع الحديثة


١- أحمد أمين: فجر الإسلام، ط٨، مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٢- أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، الرياض، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

٣- أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، نشر عباس بن عبد السلام ابن شقرون على هامش كتاب الديباج لابن فروحون، القاهرة، ١٣١٥هـ.

٤- أحمد فؤاد بلبع: عبد الرحمن السعدي (عصره، وكتابه تاريخ السودان، المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون ١٩٧٣.

٥- أحمد ولد الطلبة: مساهمة الموريتانيين في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا ، ضمن بحوث ندوة تونس عن العلاقة العربية الأفريقية ١٩٨٥.

٦- أرنولد: توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط٢، القاهرة ١٩٥٧.

٧- الأسفرائيني: أبو المظفر طاهر بن محمد الشافعي (ت٤٧١هـ-١١٧٨م) التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، باعتناء محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٨- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين القرش الأموي الكاتب (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م). الأغاني، ط دار الكتب بالقاهرة.

٩- الفريد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي ١٩٦٩.

١٠- الدكتور أمين أسبر: أفريقيا والعرب ، دار الحقائق ١٩٨٠م.

١١- بالنثيا: انخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٥٥م.

١٢- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م): الجامع الصحيح، ٤ مجلات، باعتناء لودلف قرهل، ليدن، بريل ١٩٦٢م.

١٣- الدكتور بدري محمد فهد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٣.

١٤- البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر. (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): الفرق بين الفرق، باعتناء محمد زاهد الكوثري ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

١٥- البغدادي: إسماعيل باشا بن محمد أمين (ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠): هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، استانبول ١٩٥١م.

١٦- البلاذري: أحمد بن يحيى (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الإشراف، ج١١ باعتناء الوردات، كرترول ١٨٨٣، فتوح البلدان، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.

١٧- البلخي: أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي (ت٣١٩هـ/ ٩٣١م) فضل الاعتزال (ضمن كتاب فضل الاعتزالي وطبقات المعتزلة)، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

١٨- بللو: بن عثمان بن فودي: اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

١٩- البكري: أبو عبيدة الأندلسي (ت٤٧٨هـ/ ١٩٠٤م): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك باعتناء دين سلان ١٨٣٧م.

٢٠- التادلي: ابو يعقوب يوسف بن يحيى (ت٦٢٧هـ/ ١٢٣٠): التشوف لمعرفة رجال التصوف، باعتناء أدولف فور، الرباط ١٩٥٨م.

٢١- ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). النجوم الزاهر في أخبار مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن دار الكتب .

٢٢- التميمي، د. عبد الجليل: مساهمة أحمد بابا التنبكتي، بحث في ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية بغداد ١٩٨٥.

٢٣- الجعلي: محمد ضيف الله بن محمد الفضلي (ت١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩): الطبقات في خصوص الأوليات والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، المطبعة المحمودية، القاهرة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

٢٤- د. جمال زكريا قاسم:

- أثر الاستعمار الأوروبي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرق أفريقيا مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج٢، قطر ١٩٧٦.
- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، القاهرة ١٩٧٥.

٢٥- الجمل: الدكتور شوقي: عثمان دان فوديو وسياسة الجهاد الإسلامية، مجلة البحث العلمي، العدد ٢٦ سنة ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ.

٢٦- الجراري: الأستاذ عبد الله: الصوفية وحركاتها في الإسلام، مجلة البحث العلمي، العدد ٢٦، الرباط ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٧- الدكتور جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧ أجزاء، مطبعة المجمع العلمي العراقي، سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٢٨- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ١٠، باعتناء الدكتور سالم الكرنكوري، الهند، ١٣٥٧هـ/ ١٣٥٩هـ.

٢٩- جويدي: مادة الحبشة، دائرة المعارف الإسلامية.

٣٠- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، ط٢، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٣٨٥-١٩٦٧م.

٣١- الحجري: عامر محمد: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ضمن كتاب مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج٢، قطر ١٩٧٦.

٣٢- الدكتور: حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، القاهرة، ١٩٥٧.

٣٣- الدكتور حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨م.

٣٤- حسن جلاب: الدولة الموحدية وأثر العقيدة في الأدب، منشورات الجامعة، ط٢، ١٩٨٥م.

٣٥- حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر ١٩٧٦.

٣٦- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (غادر بغداد عام ٣٣١هـ/٩٤٣م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٧- الحسيني: السيد محمود أبو الفيض: جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف، جزءان، مؤسسة الحلبي القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣٨- الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث القيرواني الأندلسي (ت حوالي سنة ٣٦١هـ/ ١٩٧١م): قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، نشر عزت العطاء الحسيني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

٣٩- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ أجزاء، دار صادر.

٤٠- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) تاريخه، أو العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ٧

مجلدات، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي ج١، (المقدمة)، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦١م.

٤١- خليفة بن خياط: أبو عمروخليفة بن خياط شباب العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م).

٤٢- الدباغ: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج١، تحقيق إبراهيم شبوح ١٩٦٨، ج٢، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، ١٩٧٢م.

٤٣- دنيس أو ستن: أفريقيا الغربية والكومنولث، ترجمة لجنة في المكتب التجاري.

٤٤- راشد أبو بكر: العلاقات العربية القمرية قديماً وحديثاً، ضمن أبحاث ندوة تونس عن العلاقات العربية الأفريقية.

٤٥- ابن أبي زرع: علي بن عبد الله الفاسي (ت؟): الأنيس المطرب بروض القرطاس من أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣.

٤٦- زبادية: الدكتور عبد القادر.

- دور العرب الخليجيين في نشأة وتطور الحركة الوطنية في زنجبار مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج٢، الدوحة، قطر ١٩٧٦.
- القرن ١٦ وحركة التعليم في تنبكتو مركز التبادل الثقافي الأول مع العرب، المؤرخ العربي العدد ١٤، سنة ١٩٨٠.
- مملكة سنغاي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٤٧- ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر (كان حياً بعد سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م): الأعلاق النفسية، ليدن ١٨٩١م.

٤٨- الزركلي: خير الدين: الأعلام، ١٢ مجلد، ط٣، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٤٩- زهدي حسن جار الله: المعتزلة، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
٥٠- السراج: محمد بن محمد الأندلسي الوزير (ت ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م): الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الجزء الأول في أربعة أقسام تحقيق محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م.
٥١- السعدي: عبد الرحمن بن عبد الله (ت بعد عام ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م) تاريخ السودان، تحقيق هوداس، باريس ١٨٩٨م.
٥٢- سعودي، الدكتور محمد عبد الغني: الاتصالات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، ضمن كتاب العلاقات العربية الأفريقية.
٥٣- السروجي، محمد محمود: عجائب الآثار كمصدر لأحداث الجزيرة العربية، ضمن موسوعة دراسة تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، ج١، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٥٤- سكيرج: الحاج أحمد بن الحاج العياشي: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، بيروت.
٥٥- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): الإتقان في علوم القرآن، جزءان، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١.
٥٦- الشريف الإدريسي: محمد بن عبد العزيز (ت نحو ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م): وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، باعتناء هنري بيريس، الجزائر ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م. نزهة المشتاق، رومة ١٥٩٢م.
٥٧- الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد الحنفي (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م): الطبقات الكبرى أو لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، جزءان، مكتبة صبيح وأولاده، القاهرة.

٥٨- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

٥٩- الملل والنحل، بهامش كتاب (الفصل في الملل والنحل لابن حزم)، ٥ أجزاء المطبعة الأدبية، القاهرة ١٣١٧هـ/ ١٣٢٠هـ/ ١٨٩٩-١٩٠٢م.

٦٠- طرخان: الدكتور إبراهيم: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥.

٦١- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت٤٦٣هـ/١٠٧٦م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٤ مجلدات، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦.

٦٢- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م): فتوح مصر وأخبارها، باعتناء شارلس. توري، جامعة يال ١٩٢٢.

٦٣- الدكتور عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقية الغربية، القاهرة، سلسلة الألف كتاب، ١٩٦١م.

٦٤- عبد العزيزي عبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، (٣) مطبعة فضالة، المحمدية.

٦٥- الدكتور عبدة بدوي: الشعراء السودان وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٧١.

٦٦- ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله الأندلسي (نحو ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أربعة أجزاء، الثلاثة الأولى بتحقيق كولان، وبروفنسال والرابع باعتناء د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٧.

٦٧- عرب فقيه شهاب الدين أحمد بن عبد القادر: فتـــوح الحبشـــة، ٨ أجـــزاء في مجلدين، نشر دينه باسيه، باريس ١٨٩٧-١٩٠٩.

٦٨- علي حسن علي الحلبي وآخرون: موســـوعة الأحـــاديث والآثـــار الضعيفـــة والموضوعة، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٦٩- العلوي: محمد عبد الكبير: علماء شنقيط والمذهب المالكي، ضمن ندوة الإمـــام ملك ٣ أجزاء، فاس ١٠.

٧٠- الدكتور علي صافي حسن: الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجـــري، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٧١- عياض: القاضي عياض اليحصبي الســـبتي (ت٥٤٤هـــ/ ١١٤٩م): ترتيـــب المدارك، تراجم أغلبية، مستخرجه من مدارك القاضي عياض، تحقيـــق محمـــد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٦٨م.

٧٢- العربي: الدكتور محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغـــربي، دار الرشـــيد للنشر، بغداد ١٩٨٢.

٧٣- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـــ/ ١٣٣١م): تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م.

٧٤- القاضي عبد الجبار: بن أحمد الهمذاني الاسدابادي (ت٤١٥هـــ/ ١٠٢٥م): طبقات المعتزلة، ضمن كتاب (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، تحقيـــق فـــؤاد سيد، الدار التونسية للنشر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

٧٥- القاضي عياض: ترتيب المدارك، تحقيق د. أحمـــد بكـــير محمـــود، بـــيروت، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م.

٧٦- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن سلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): الشعر والشـعراء، جزءان، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٣٦٦هـ.

٧٧- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، ٤ أجزاء، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

٧٨- ابن قنفذ: أحمد الخطيب القسنطيني (ت٨١٠هـ/ ١٤٠٧-١٤٠٨م): انس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي، وأدولف فور، مركز البحث العلمي بالرباط ١٩٦٥م.

٧٩- كحالة: عمر رضا: معجم المؤلفين، ١٥ جزءاً، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م-١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٨٠- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م): السيرة النبوية ، ٤ أجزاء تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة ١٣٨٤-١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤-١٩٦٦.

٨١- كعت: القاضي الفح محمود كعت الكرمني داراً التنبكتي مسكناً الوعكري أصلاً: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق هوداس وديلافوس، باريس ١٩١٣.

٨٢- الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م): الولاة وكتاب القضاة، باعتناء رفن كست، مطبعة الآباء اليوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

٨٣- كنون: عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط٣، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٨٤- المالكي: عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م): رياض النفوس، تحقيق د. حسين مؤنس، م النهضة، القاهرة ١٩٥١.

٨٥- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق ي س. علوش، الرباط ١٩٣٦م، وطبعة تونس.

٨٦- مخلوف: محمد بن محمد: شجرة النور الزكية من طبقـــات المالكيـــة، جـــزءان، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٩هـــ/ ١٩٥٠م/١٩٣٠.
٨٧- المطوي: محمد العروسي: سيرة القيروان، الدار العربية للكتاب ١٩٨١م.
٨٨- الدكتور محمد حجي:
- الحركة الفكرية بالمغرب من عهد السعديين، مطبعة نضالة ١٣٩٦-١٣٩٨هـــ/ ١٩٧٦-١٩٧٨م.
- الزاوية الدلائية، المطبعة الوطنية بالرباط ١٣٨٤هـــ/ ١٩٦٤م.
٨٩- محمد رشيد رضا: مادة الشيخ عبد القادر الجيلاني، دائرة معـــارف البســـتاني، ج١١.
٩٠- الدكتور محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوســطى، ضمن كتاب العلاقات العربية الأفريقية.
٩١- الدكتور محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
٩٢- المجذوب: عبد العزيز: الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيريـــة، الـــدار التونسية للنشر، ١٣٩٥هت/١٩٧٥م.
٩٣- مسعد: الدكتور مصطفى محمد. الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، مكتبـــة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٠م.د
٩٤- مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـــ/ ٨٧٥م): صحيح مسلم (بشرح النووي)، ١٨ جزءا، ١٣٤٩هـــ.
٩٥- المقدسي البشاري: محمدج بن أحمد (ت نحـــو ٣٨٠هـــ/ ٩٩٠م): أحســـن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة إبريل، ليدن ١٩٠٦م.
٩٦- المغيري: سعيد بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٩م.

٩٧- المقريزي: أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): البيان والإعراب عما بـأرض مصر من الأعراب، تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين عالم الكتب، القـاهرة ١٩٦١م.

- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، القاهرة ١٨٩٥م.
- السلوك المعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء من ٩ أقسام، تحقيق د. مصطفى زيادة، و د. عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٧٠م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، مجلدان ١٢٩٠هـ، مطبعة أوروبا في ٧ مجلدات.

٩٨- الميلي: مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

٩٩- النجار: عامر: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، مكتبة الأنجلو مصرية.

## مؤلفات الدكتور بدري محمد فهد

**الكتب:**

١- الكتب القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٦.

٢- الخليفة المغني إبراهيم بن المهدي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٧.

٣- العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٧.

٤- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٩٧٤.

٥- شيخ الأخباريين أبو الحسن المدائني، مطبعة القضاء النجف ١٩٧٥.

٦- كتاب التعازي للمدائني (تحقيق بالمشاركة مع الدكتورة ابتسام الصفار) مطبعة النعمان، النجف ١٩٧١.

٧- صور من الحضارة العربية الإسلامية (بالمشاركة مع الدكتورة ابتسام مرهون الصفار) مطبعة النعمان، ١٩٧١.

٨- تاريخ بغداد للمؤرخ ابن النجار البغدادي، بغداد، ١٩٨٦.

٩- الصلات الثقافية بين العرب وافريقيا من خلال الحركات الشعبية، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨.

١٠- تاريخ الفكر والعلوم العربية، مطبعة التعليم العالي ١٩٨٨.

١١- القاضي شريح الكوفي، معد للطبع.

١٢- صناعة الكتاب بين المؤلف والوراق –عمان- دار المناهج، ٢٠٠١.

١٣- كتاب روح العارفين من كلام سيد المرسلين، تأليف الخليفة الناصر لدين الله العباسي، تحقيق، عمان – دار الفكر- ٢٠٠١.

١٤- دراسات في الحضارة العربية الإسلامية، معد للطبع.

١٥- تاريخ التربية والتعليم ، معد للطبع.

١٦- محاضرات في الفكر والحضارة –عمان- دار المناهج ٢٠٠١.

١- الطيلسان، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٦٦ (مستل من العدد الثاني من مجلة كلية الشريعة).

٢- تاريخ الشهود، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٦٧، (مستل من العدد الثالث من مجلة كلية الشريعة).

٣- العمامة، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٨٦، (مستل من العدد الرابع من مجلة كلية الشريعة).

٤- الوزير العالم ابن هبيرة، مجلة الأقلام، عدد ٤ سنة ١٩٦٧.

٥- رجل الشارع في بغداد، مجلة المكتبة، ١٩٦١.

٦- الحركات التقدمية في العراق، مجلة الأجيال، العدد الثالث، ١٩٦٣.

٧- مع الموسيقى العربية، مجلة المعرفة السورية، أيلول ١٩٦٤.

٨- شكوى الزمان وأهله، مجلة الأجيال، عدد١ ، سنة ١٩٦٨.

٩- الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، مطبعة الإرشاد ١٩٧٢.

١٠- العسجد المسبوك والجوهر المحبوك، مجلة الأقلام جزء ٧ سنة، ١٩٦٩.

١١- مضمار الحقائق وسر الخلائق، مجلة المورد، العدد الأول والثان، ١٩٧١.

١٢- أدب القضاء، مجلة المورد، العدد الثاني، السنة الثانية،١٩٧٣.

١٣- ابن الدبيثي وكتابه تاريخ بغداد، مجلة المورد، العدد الثالث ١٩٧٤.

١٤- مع المخطوطات العربية، مجلة الجمعية التاريخية، ١٩٧٥.

١٥- المهور عبر التاريخ الإسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٧.

١٦- القهرمانات في التاريخ العباسي، مجلة المناهل المغربية، العدد ١٤ سنة ١٩٧٩.

١٧- المؤرخ ابن النجار البغدادي وكتابه تاريخ بغداد، مجلة المناهل، العدد ١٧ سنة ١٩٧٩.

١٨- تراث المسلمين القضائي، مجلة المورد، العدد الأول ١٩٧٩.

١٩- المؤرخ يحيى التكريتي، مجلة البحث العلمي المغربية، العدد ٣١، سنة ١٩٨٠.

٢٠- الهمذاني وكتابه تكملة تاريخ الطبري، مجلة كلية الآداب بجامعة محمد ابن عبد الله، فاس ١٩٨٠.

٢١- المؤرخ ابن المارستانية، المجلة العربية السعودية، السنة الرابعة، عدد ٦، سنة ١٩٨٠.

٢٢- المؤرخ صدقة بن الحسين، مجلة المناهل، العدد ٢٠ سنة، ١٩٨١.

٢٣- تاريخ أمراء الحج، المورد، العدد الخاص بمرور ١٥ قرن على الهجرة مجلد ٩ العدد٤، سنة ١٩٨١.

٢٤- منهج الثقاة في تراجم القضاة، مجلة جامعة الموصل، ١٩٨١.

٢٥- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مجلة المناهل المغربية العدد ١٩، السنة الخامسة ١٩٨٠.

٢٦- المؤرخ ابن القطيعي البغدادي، المجلة العربية السعودية، العدد ٤ السنة الخامسة ١٩٨٠.

٢٧- إن أبي زيد القيرواني، مجلة أوراق الإسبانية، العددان، ٥، ٦ للسنتين ١٩٨٢، ١٩٨٣ (في مجلد واحد).

٢٨- المختار السوسي رائد العروبة في السوس، مجلة المؤرخ العربي العدد ٢٩، سنة ١٩٨٩.

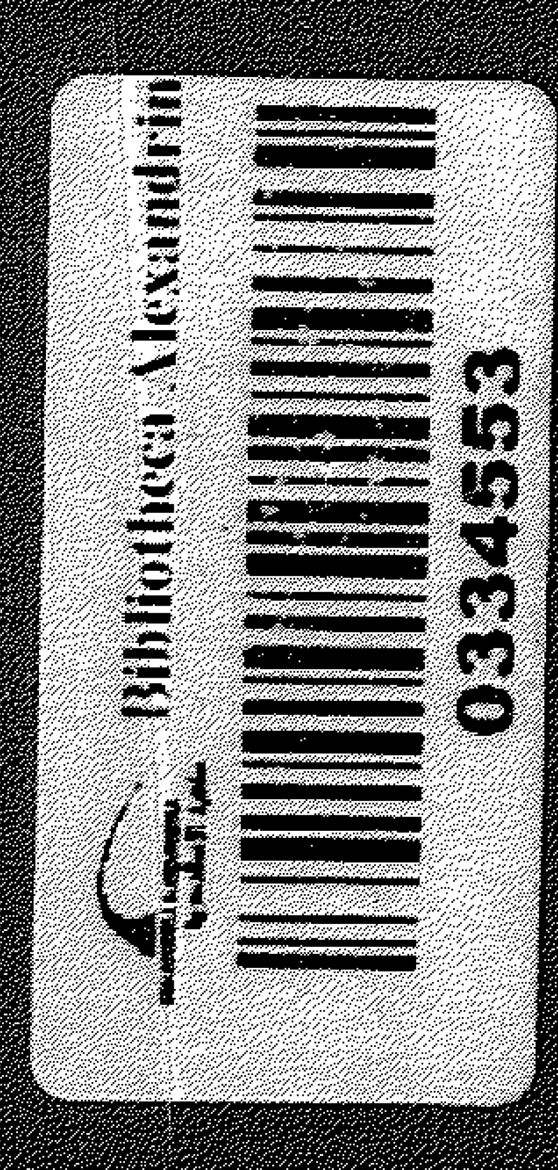
٢٩- الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي، بحوث ودارسات ندوة النظم الإسلامية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

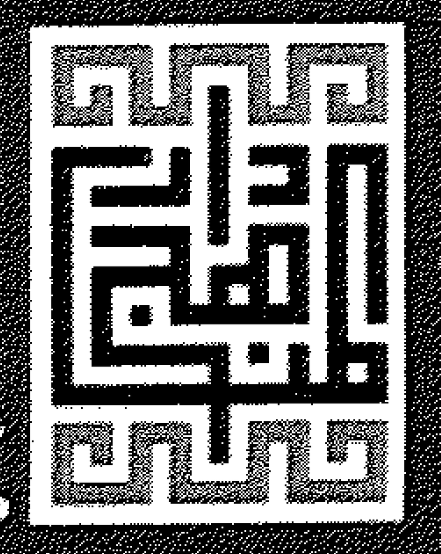
٣٠- الحياة الاجتماعية، في العراق خلال العصر العباسي، فصل في كتاب حضارة العراق، ج٥، بغداد ١٩٨٥.

٣١- عمرو بن العاص، مجلة المؤرخ العربي، ٢٨، سنة ١٩٨٦.

٣٢- المؤرخ ابن الساعي البغدادي، نشر في الكتاب التكريمي للدكتور الدوري، الجامعة الأردنية ١٩٩٧.
٣٣- الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية خلال العهد العباسي، ضمن موسوعة، المدينة والحياة المدنية ج٢، بغداد، ١٩٨٨، بغداد، وزارة العلام.
٣٤- الدكتور محمد صالح القزاز، العدد الخاص بالمؤرخين الرواد في مجلد المؤرخ العربي ١٩٩٨.
٣٥- أثر الإسلام في انتشار العربية في أفريقيا، حولية الجامعة الإسلامية بالنيجر ١٩٩٨.
٣٦- ياقوت الحموي البغدادي، مجلة بيت الحكمة، بغداد ١٩٩٩.
٣٧- الصلات التاريخية بين العرب والهند، معد للنشر.
٣٨- المؤرخون والمعرفة الطبية، أرسل إلى مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد.
٣٩- الأطباء المؤرخون. - مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد.
٤٠- أحمد فارس الشدياق، معد للطبع.
٤١- المطبوعات العربية في مطابع تركيا أرسل إلى مؤتمر عالم الدولة العثمانية.
٤٢- الرسوم المتبعة في مجالس ذوي السلطان معد للطبع.
٤٣- آداب مجالس العلماء -مجلة المنهل- العدد ٥٧٤، مج ٦٣، (سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

# الصلات بين العرب وإفريقيا







عمان - تلفاكس: ٤٦٥٠٦٢٤
ص.ب ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الاردن